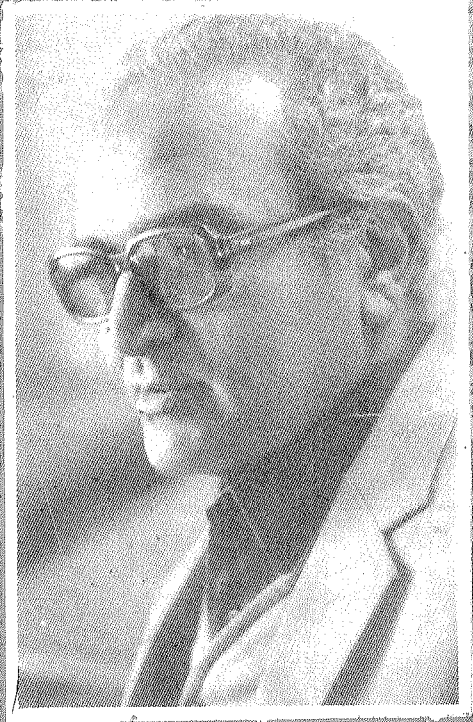
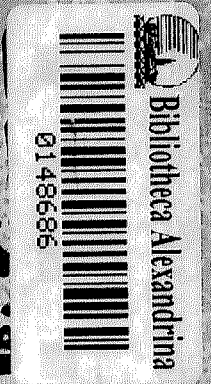


مجيد طويها - الأعمى  
صحة الكمال



١

الوليف  
الأيام التالية  
خمسة جرائد لم تقرأ  
فوسنوك يصل إلى القمر



# الأعمال الكاملة

---

١

## مجيد طوبيا

---

■ الوليفا

■ الأيام التالية

■ خمس جرائد لم تُقرأ

■ فوستوك يصل إلى القمر

قصص قصيرة

---



بيروت: دار النشر  
بيروت

١٩٩٢



---

الوليفة

---



## الوليف

### ● العضلات :

قرب مصنع السكر وعلى شاطئ الترع والشمس تميل الى الغيب جلس الصبية يتسامرون ، ليس بينهم غير بنت واحدة وهى نرجس ، تنصت ولا تجرؤ على المشاركة فى الكلام ، اذ كان الحديث يدور حول عضلات الرياضيين التى تبرز لهم من المران فى الدراعين والساقين وفى جانبى الصدر .

ضحك الولد ذو السنة المكسورة مشمرا عن كفه مثنيا ذراعه اليمنى زاعما ان فيها عضلات قوية ، وفعل مثله الجالس الى يساره ثم ثلاثة آخرون وكذلك اقصرهم ، فتعالت الضحكات الساخرة المنكرة .. وبعد ان سكتوا قال بدر - اطولهم - وهو يحملق فى عيونهم ان له عضلات كبيرة فى صدره وساعديه ، فسكتوا على مضض ولم يجرؤ احدهم على الاعتراض ، عدا منيدور الذى تحسس موضع هذه العضلات وقبل ان يعلن تكذيبه لوجودها كانت نرجس قد شممت بين كعها لترتهم ما لديها ، فضحكوا منها لأن البنات لا تنبت لهن عضلات .

لم يعجب الحال مندورا ، نهض وخلق جلبابه وقفز الى التربة سابحا الى الضفة الأخرى ، وتبعه اثنان آخران ، ثم نرجس التي لحقت بهم فرأى مندور في صدرها بروزين خفيفين ظن انهما عضلات ، وغازله الا يملك مثلهما ، فوجد كفه فجأة تجلب شعرها بسرعة وفي عنف صامت ، فلما تعشرت تركها تقع وخرج يرتدى جلبابه وانصرف والبنت تبكى وهي لا تفهم لماذا فعل بها ذلك !

### ● الكباش :

مضى عابرا شريط القطار مخترقا أرض الكلا قرب أبراج الكهرياء الشاهقة . عند اصنام الفراعنة رأى ماعز العجر وكباشهم فظل يلاعبها ويحاورها حتى شبع لهوا ، فعاد الى داره مع أول الليل متوقعا لوم أمه لاتسأخ ملابسه .

وقبل ان ينام تأمل السماء من نافذة الغرفة ، اختار أنصع النجوم وقال هذه نجمتى . . وفي اليوم التالي كان قد نسي ما فعله مع نرجس ، لكنها لم تكن قد نسيت اذ جفلت مبتعدة عنه مقتربة من بدر ، ولم يعجبه هذا ، وفكر في السياحة لكنه سمع قطار القصب الطويل يقترب بطيئا كعادته ، فجرى نحوه وما أن بدأت عرباته في المرور أمامه حتى تسلق الرابعة وصعد فوق حمولتها ، رآه بدر فلحق به وظلا يتسابقان فوق القصب في عكس سير القطار قافزين من عربة الى أخرى حتى وضلا الى الأخيرة فسحب كل منهما عودا ووثبا على الأرض .

كسر مندور عوده نصفين وتقدم من نرجس يريد أن يهدبها النصف الأسفل الأظلي مذاقا ، لكنها تراجعت خائفة وقد برأت

نصف العود في يده كالعصا ، واتجهت الى بدر الذي قدم لها  
نصف عوده فأخذه . . نهرها مندور مفتاظا بحجة تمحكها في  
الأولاد وأمرها بأن تنصرف لتلعب مع البنات أمثالها ، لكن بدر  
جذبها من يدها فجلست معه وراحا يمسان القصب . .  
وأعطاهما مندور ظهره وجلس يمص عوده والضفادع تنق من  
حولهم ، وبعد أن انتهى غسل كفيه في مياه التربة ومضى عائدا ،  
وفي طريقه تجاهل كباش الفجر وراح الى منزله رأسا فلم  
تسخ ملبسه ولم تؤنبه أمه . . ثم استلقى على سريره يتأمل  
نجمته الناصعة ، وبعد أن نام جاءت أمه وأغلقت النافذة خوفا  
عليه من برد الليل .

### ● الثعبان :

في الصباح طلبت منه والدته ان يطعم الطيور فوق سطح  
الدار ، صعد اليها وألقى فولا وذرة للدجاج ، وقمحا مدشوشا  
للكناكيت وكان يحب أن يطعمها من كفه ، وكان يعرف عددها  
فاكتشف نقص احداها ، بحث عنه في داخل الأقفاص وفي أركان  
السطح ولم يجده ظن أن الحدأة قد خطفته لكنه سمع صوصوة  
خافتة عند السور القبلي ، ووجد الكتكوت هناك ملتصقا بطوبة  
يجاهد في الابتعاد دون جدوى ! . . اقترب منه فاكتشف ان  
جناحه الأيسر محشور في أحد الشقوق ، مد يده يجذبه وأدهشه  
أن يجد مقاومة لجذبه ، شدد الجذب فانسحب الكتكوت معه  
مسافة فاذا به يفاجأ بثعبان ممسكا بالجناح وكان يحاول جر  
الكتكوت الى جحره ! .

بسرعة التقط مندور قطعة خشب هبط بها فوق رأس  
الثعبان - وكان قد رأى رجلا يفعل مثل هذا مع ثعبان آخر -

وظل بضغط ويشدد الضغط حتى كف الثعبان عن الحركة ..  
وعندئذ فحص كتكوته فوجده قد مات ، وأحزنه موته .. لكنه  
رفع الثعبان متديا بنصف جسده فوق الخشبة وهبط به  
الى امه !

صعقت المرأة وأخذت تتحسس جسده ملهوفة ، وهي  
تسأله ان كان الثعبان قد لدغه في قدمه او في أى مكان آخر ونفى  
ذلك في هدوء الواثق ، فقبلته في كل وجهه والتقطت الثعبان  
وألقت به من النافذة الى الحارة .. تساءلت الجارات فتفاخرت  
امامهن بأن مندور الشجاع قد قتل الثعبان دون خوف وتقلت  
الجارات القريبات الحكاية الى الجارات البعيدات .. ومن  
هذا الاهتمام ادرك الصبي انه قد اتى بعمل مدهش ، فانتعش  
سعيدا مزهوا ، وهبط الى الحارة مختالا ليجد الجارة بهانة  
تخطو فوق ثعبانه رائحة آتية عدة مرات ! .. تعجب ونظر الى  
امه متسائلا فلم يجدها بالنافذة ، صعد اليها ووجدها بالمطبخ  
وسألها عن سلوك الجارة بهانة ، قالت :

- لأن المسكينة عاقر .

نظر محتارا .. قالت :

- العاقر هي المرأة التي لا تلد .

- وهل خطوها هذا بجملها تلد ؟ !

- هكذا قال الاسلاف .

ولم يكن يعرف ان لثعبانه كل هذه القوة ، واراد الانصراف  
لكن الام احتجزته حتى اشعلت القوالمح واطلقت البخور ، وطلبت  
منه ان يخطو من فوقه سبع مرات ، هتف معترضا :



– لكنى لا اريد ان الد .

### ضحكت :

– الثعبان ، والفرعون ايضا لجلب الحبل ، اما هذه  
البخور فهى ترد الحسد .

### ● الشجعان :

طاوعها على مضض كى ينطلق الى اصحابه ، شاعرا بقوة  
غير عادية وباقدام لا حد له وبانه قادر على طرح أقوى الصبية  
أرضا . . وعند مصنع السكر لم يجدهم وأدرك انه وصل  
مبكرا ، فأخذ يتأمل أبراج الكهرباء الشاهقة والللمبات الحمراء  
المضاءة ليلا ونهارا فوق قممها ، وواعد نفسه بأن يطلب من أبيه  
لمبة مثلها يركبها فوق سريره .

ثم تذكر ثعبانه فركض عائدا الى الحارة باحثا عنه وكان  
يريد ان يريه لأقرانه ، لكنه لم يجده وعلم أن سيد الاسكافي قد  
سلخه وأخذ جلده والقى بالباقي للقطط . . وفوق باب الاسكافي  
وجد الجلد مشدودا بأربعة مسامير ، فشعر بالأسى وسار مطرقا  
لكنه تنبه الى أن الجلد هو خير دليل على عمله الخارق ، فشد  
من طوله وأخذ شهيقا عميقا ورفع رأسه وسار يدق الأرض  
بقوة ، الى ان صادفه ثلاثة من أصحابه ثم لحق بهم عند اطراف  
البلدة اثنان آخران ، وبدأ الشمل يكتمل ، ووجدهم جميعا  
يعرفون .

عندما عبروا من جوار ماعز الفجر هجم فجأة على أكبر  
الكباش والقاه أرضا ، غير أن الكباش نهض بسرعة وكاد أن ينطحه

لولا أنه تفاداه . وعند مصنع السكر انضم اليهم بدر ثم نرجس  
التي رمت مندور طوبلا ، وطلبوا منه أن يحكى الواقعة بالتفصيل  
فحكاهم لهم وهم مشدوهين مهورين بفعلته ، وسألوه عن طول  
الثعبان فبالغ فيه .. وسأله الولد ذو السنة المكسورة من كثرة  
اكل الجلاب :

- ألم تخف ؟ !

**قال :**

- لم أخف .

شعر بدر بالفيرة وقال :

- أنا أيضا قتلت ثعبانا .

لكن احدا لم يعره التفاتا ، وتزحزحت نرجس من جواره  
مقتربة من مندور ، وعندما شعر بها تكاد تلتصق به نظر اليها  
فابتسمت له لكنه لم يبتسم وان كان قد شعر بالراحة ..

### ● الوليف :

هبطت الشمس كثيرا وعلا تقيق الضفادع ، وقال صبي :  
ان جلد الثعبان يباع غالبا فتضابق مندور لفقدانه .. ولما دخل  
الليل انتقلوا الى الضوء الساقط من سور المصنع .

وقال صبي :

- سمعت عمى ذات مرة يقول لأبى ان لكل ثعبان وليفا .

- وليف ؟ !

- وليف ينتقم له اذا قتله انسان .

نظروا لمندور ، ارتبك لكنه سأل :

— وكيف يعرف الوليف هذا الانسان ما دام لم يره ؟ !

— قال عمى ان الوليف يتعرف على القبائل ولو بعد سنوات . وحكى عن وليف ظل يتشمم ثلاثة أشخاص نائمين في غرفة واحدة دون أن يمسهم بأذى ، حتى وصل الى الرابع وكان هو القاتل فلدغه وهرب .

برقت عيون الصبية واقشعرت ابدانهم ، نظرت نرجس الى مندور الذى ظل صامتا .. وفجأة تلفت أحدهم محمقا الى بقعة مظلمة ، وارتفع من بعيد عواء طويل .. ثم روى بدن ما سمعه من أن فم الثعبان له نابان مثقوبان كأبرة الحقنة يدخل السم منهما الى جسد الملدوغ فيموت .. ورغم ضجيج المصنع الا أنهم سمعوا حفيفا خافتا صادرا من الحشائش القريبة ، فحملقوا جميعهم وكنموا أنفاسهم ، وبعد برهة رأوا ضفدعا يقفز بين العشب فاسترخوا لكن التوتر ظل يسيطر .. وتساءل مندور في داخله ان كان بإمكان وليف ثعبانه ان يكتشف مكانه وهو بعيد عن الدار ؟ !

حدث حفيف آخر فوجموا متوجسين ثم قفز صبي من مكانه بفتة ، وهبوا جميعهم أيضا والتصقت البنت بمندور وكأنه هو الكفيل بحمايتها من الثعابين .. وانقضت الجلسة وهروا الى عائدين الى ديارهم بخطوات خائفة ليتلكأ مندور عنهم فوق الطريق الأسفلتى .. فلما وصل الى داره وجد نرجس تحوم ، وأنه فجاءت وتمسحت فيه بابتسامة ودودة ، لكنه لم يكن راقئا فتجاهلها صاعدا ، ليستقبله والده مهللا في أعزاز :

.. هذا هو ولدى الهمام مندور .

## ● الاتكماش :

الا ان الصبي سآله :

– احقا ان لكل ثعبان وليفا ياخذ بثآره ؟

بهت الاب واخذ يطمئن ولده منكرا وجود الوليف ، لكن الام هبت مرتجفة معيدة اشعال القوالخ ثم طافت ارجاء الدار ببخور الشيخ النفاذة .. ومع العشاء سآلها مندور عن السر في هذا البخور ، قالت :

– لان رائحة الشيخ تطرد الثعابين .

وعلى الفور عاد الخوف يملأ قلبه ، اذن فحكاية الوليف حقيقة !!

ولم يتناول عشاءه جيدا .. وعندما استلقى على السرير لم ينظر الى نجمة السماء وكانت اقل نصوعا بسبب اتساع القمر ، بل ظل محمقا الى حواف النفاذة قلعا من ان يآتبه الوليف منها ، فاتحا عينيه على آخرهما مقاوما النوم .. لكن الثعاس غلبه وغفلت عيناه وقتا ثم سرعان ما هب مدعورا صارخا وقد شعر بشيء املس يلمسه ، وثب الى الارض وظل يتقافز في مكانه مرعوبا .

اتته امه ملهوفة واضاءت النور واخذته في حضنها فشعرت بجميع جسده يرتعش ، وجاءه والده وظل يقنعه بان ما شعر به ليس الا توهما ، وكى يطمئنه فحض امامه كل مكان في الغرفة ،

لكن الخوف أزاغ عيني الصبي ، ولم تجد معه اوصاف الشجاعة  
والجراة ولا اغلاق شيش النافذة وزجاجها . . فزاد حزن الأب  
وركبه الكمد ، وزاد جزع الأم وقررت ان تبينه الى جوارها ،  
فنام الأب في سرير الابن ، وذهب مندور الى سرير امه حيث  
تكور منكشا في حضنها ، وهي تربت عليه في حنان شاعرة  
برجفات جسده المنكمش .

## اغماض العين

### ١ - الغربال

ولما كان اليوم السابع - وفيه تنائرت بللورات الملح في الهواء ، تحرق عين الحسود - جاءوا بالغربال فوق الأرض ، وفوق الغربال فرشوا حبات الغول لتسد الثقوب بين الأوتار ، ومن فوق الغول نثروا حبات الأذرة الصفراء ، ومن فوقها القمح والأرز والشعير ، وقرب الحافة الدائرية بعض الحلوى في أغلفة برافة من لون الذهب ولون الفضة .

خرجت أمى من غرفتها ، بالوليد في حضنها ، حافية القدمين ، ناعمة الخطوة ، في رائحة عطرية وثوب جميل ، ينساب شعرها في خصلات سوداء تاهت فيها الشعرات البيض القليلة . اهتزت كل اللسنة في الأفواه ، بالدعاء ، بالزغاريد ، نساء وبنات وبعض الرجال . . ضحك أبى . احمر وجه أمى فتحول لونه القمحي الى لون نحاسى ، ضوى تحت نور الصباح فاخفت كل التجاعيد ، وصار وجهها أخاذا في جمال نادر ، هادىء قرير كوجه مريم في صور المسيحيين .

بين هالة الحبوب والخطوى تركت أمى أخى الوليد فوق  
الغريبال ، لم تتركه بنظراتها . . واذا ذلك دقت امرأة بالهون  
النحاسى ، ونقرت فتاة بغطاى وعاءين ، وارتفعت الزغاريد من  
كل الأفواه ، وصار الصوت صخباً وضجيجاً .

بعد أن تنبه الوليد الى كل ذلك ، ونظر الى الهون والى  
النساء والبنات الأبيكار ، وضع أصبعه فى فمه وغرغى برهة ،  
وصار يركل الهواء بقدميه . ثم فجأة ابتسم فابتسمت أمى ،  
وفجأة قطع ابتسامته فوجمت أمى وقطف لونها وحملت حولها ،  
وعلى الفور ركبها ذعر عظيم : كانت عيون النسوة تتسع  
مجدوبة فى الحاح الى الجسد الصغير ، حيث الوليد ملفوفاً فى  
بياض من حرير ، بطن قدميه فى رقة خديه ، يضاوى الوجه ،  
مسحوب الذقن ، دقيق الفم صغير الأنف ، لكن عينيه واسعتان  
بشكل غير مألوف ، بأهداب طويلة سوداء وجفون تنسدل فى  
بطء ثم تتهادى منفرجة كاشفة عن دائرتين فى لون مبهم !!

نقلت المدرسة القصيرة مكانها عدة مرات ثم هتفت :  
- عجيبة عيونه عجيبة !! من هناك رايتها غسلية ومن  
هنا أراها سوداء !

قالت الجارة ، وكانت أمى تنفر منها :

- ومن هنا بنية !!

قالت الجدة ولم يكن طقم الأسنان فى فمها :

- عيونه فيها من كل ذلك ، عجيبة هذا الولد !!

فقالت الجارة التى تنفر منها أمى :

- ولدت من الأطفال سبعة ، وأبدا لم أر مثل ذلك ،  
لا فيمن ولدت ولا فيمن رايت !!

تقلقت عينا أمى واسود وجهها . أخرجت نظارتها من  
جيبها وتبتتها ، دقت النظر الى الوليد نم الى عيون النسوة ،  
ونوقفت على عيني الجارة وصرخت :

- الملح . انثروا الملح .

اعترضت الجدة :

- ليس الآن .

ثم حملت الوليد فوق غريال الحبوب ، من فوق كفيها ،  
ممدودة اليدين ، تسند حافته بذقنها . انحسرت الطرجة  
البرتقالية فبان شعرها الأبيض القصير . وكان وجهها خيوطا  
غائرة من حول الفم ومن حول العينين وفي الخدين والجبهة ،  
وشعيرات رهيقة نابثة تحت الأنف وفوق الذقن .

لكن أمى رأت عيون الجميع لا تفادى الطفل . ارتعش رأسها  
فبان كل تجاعيدها ورايت نور الصباح يلمع فوق شعراتها  
البيض . عادت تصرخ :

- قلت الملح . !ين الملح ؟ احرقوا به عين الحسود .

تناثرت البللورات في الهواء ، برقت تحت ضوء الشمس ،  
تساقطت فوق الرعوس وبين الأرجل ، اصطكت مع زجاج  
النافذة المفتوحة ، تطاير بعضه خارجا وسقط الى مياه النيل  
اسفل دارنا .



وبعد الملح أشعلوا الشموع الطويلة ، وطاف بها طابور  
الأطفال المنشدين من خلف الجدة ، هبطوا الى الطابق المعتم  
فتلألاً ، صعدوا الى سطح الدار فعاكس الهواء لهبها ، وبهت  
نورها في نور الشمس .. وذعر البط والدجاج ، ومدت الأوزة  
البيضاء عنقها وكاكت .

ساروا في محاذاة السور الشرقي ، فجاء تل المقطم من  
خلفهم ممتدا على الضفة الأخرى ، في بطن صخوره توجد قبور  
موتانا .. وتساقط الملح مرة ثانية الى النهر .

استداروا الى السور البحرى فأطلوا على حقل القصب  
الكبير الذى لم يعد به قصب ، والذى يتحول الى بيوت زاهية  
الألوان يسكنها الأثرياء وكبار الموظفين .

وبعد السور البحرى جاء السور الغربى ، ومن أسفله ديار  
الأهالى باهتة كالحة ، والشوارع ضيقة مكتظة تسير السيارات  
فيها بسرعة المشاة ، وفي أقصى كل ذلك الشريط الحديدى يحصر  
المدينة بينه وبين النيل .

ثم اتجهوا الى السور القبلى والبيوت تمتد في القدم ، الحى  
العتيق المتلاصق المتداخل ، وديار الأجداد القريبين تتساند  
بيوتهم ويتساقط الصف منها بتساقط احداها ، ومن بعدها  
أرض الكلاً وخيام الفجر وأغنامهم ، ثم أصنام الفراعنة البعيدين،  
ياكل المساعز الكلاً ثم يلهو قافزا فوق صخور المعبد .

طافوا السطح سبع مرات ، في انشاد مستمر ، وملأت  
حبات الملح أرض السطح فبرقت وتلألأت ، في البداية جرت

الطيور والتقطت بعضها ثم كفت عن ذلك ، وصاحت الأوزة  
البيضاء وصاح البط عند الأقدام بصوت مزعج ، واختلط كل  
ذلك مع انشاد الأطفال . وفي النهاية اطفأ الهواء كل الشموع .

وكان الوليد قد نام فتلقفته امي وخبأته في صدرها ، ثم  
اختبأت به في غرفتها . . ورعت الجد الحاضرين وضايقتهم ،  
واكلوا جميعا أرزا باللبن .

ثم حدث بعد انصرافهم ان خرجت امي من الغرفة ،  
واصرت على تبخير الدار . . كان صوتها جافا مرتعشا ، ومازال  
شحبها يزداد ووجهها يمتقع . قالت لأبي :

— هل لاحظت نظرات تلك الجارة اليه ؟؟

ضحك وقال ان هذا الكلام لا يليق بناظرة بروضة  
الأطفال ! . . ومن فورها اعطته ظهرها متقدمة نحو باب الشرفة ،  
وقالت :

— دعك من مهنتي . هل نسيت الشوطة التي جاءت  
للأرناب علم اول ؟؟

نظرت الجارة الى الأرناب المديدة فوق السطح ، وهتفت :  
يا لكثرتهم !! . . وبعد ذلك بأسبوع ماتت الأرنبة الجدة ، وفي  
الصباح التالي ماتت الأرنبة السوداء والأرنب الأبيض المبقع  
بالأسود ، ثم مرضت الأرنبة ذات اللون الأجرى والتي كنت أحبها  
وأطعمها كثيرا من يدي ، وماتت في المساء فالقيتها الى النيسل  
( ووبخني ابي من أجل ذلك ) . . ولم تمض الا أيام حتى لم يكن

بالسطح عدا أربعة لحقتهم أمى بالسكين ، ورفضت أنا إن أذوق  
لحمها .. ومن يومها صارت أمى وجدتى تنفران من الجارة ،  
وتنشأمان من زيارتها لنا .

قالت أمى :

– هل نسيت هذه الشوطة ؟ !

ولما سخر أبى من كل ذلك نهرته الجدة فى حدة ، وصارت  
تضم الشال البرتقالى من حول رأسها .

## ٢ – المناجاة

فى الفجر المبكر تصعد الشمس واهنة من خلف الجبل  
الصخرى ، وما أن تتركه بغدة أمثار حتى تكون قد حمت  
واشتدت وزاد سطوعها ، وفور غروبها يدخل اليوم فى لحظات  
مبهمة من تداخل الليل على النهار ؟ ثم يقترب الجبل من السواد ،  
حتى يسيح تماما فى كل ما حوله ، ويأخذ لون السماء ولون  
الأرض ولون النهر ، الى أن يبرز القمر متسللا من ورائه فيحدد  
منحنيات قمته .

طلع القمر كامل الاستدارة ، بدرا شديد النضوع ، ففادرت  
جدتى الشرقة ، مؤمنة بأن اطالة القعود فى طلعه تصيب  
الانسان بلطفة فى العقل .

انارت اشعة البدر قدم المويجات بلألة فضية ، وصبغت  
جلباب والذى الأبيض بزرقه باهتة ، وأذابت التجاعيد فى وجه  
أمى فعاد لون النعومة الى بشرتها ، وصار شعرها رماديا  
غامقا ، ولم تكن تشعر به أو بنا ، مشغولة بوليدها النائم فى

حجرها ، يفرغ في صوت عذب ، فترعش له ساقبها من تحته  
في هزات رتيبة .

وكان والدى هائما ووجهه شرقا الى جبل الضفة البعيدة .  
ركن سيجارته فوق سور الشرفة ، فأزاحها الهواء الى النيل  
( وسمعتها تنطفئ ) . كان الوقت فيضانا وفيه تملو مياه النيل  
فتفرق جزر التحاريق من وسطه ، وتقرب موجاته من رصيف  
الشارع ، وتظل تضرب جدار دارنا في حركة دعوب .

كنت مستلقيا فوق شلثة جدتي ارقب استدارة القمر  
وتناثر النجوم - يقظان نعلان - والسكون والصمت في كل  
مكان الا من نقيق الضفادع الرتيب ووشيش المريجات المتصل  
الخافت ، لذلك كنت اسمع مناجاة امي للرضيع ، في همسات  
غير مالوفة ، تلاغيه :

- ايها الابن الحبيب ، حبك في قلبي حار وعظيم ، انت  
شمس نهاري ودفتها ، بدر ليلي ونجومها ، انت مولدى الجديد ،  
خلصت حياتي من الظمأ ، أنت نيلي ، ترويني .

وكانت حافة ثوبها تتحرك قريبة من الأرض صعودا وهبوطا  
في خفة مع هزة ساقبها ، وكانت تهمس في ترتيل حنون :

- ايها الابن العزيز الذى لا شبيه له ، من أجلك تفرق  
عصافير الفجر ، وتشدو البلابل عند العصر ، وتصمت الدنيا  
بعد الغروب ، أنت جميل بديع ، أدفات قلبي ، فصار لا ينبض  
الا من جمالك .

وكان نصف جذعها الأعلى حانيا فوقه ، وكان البدر يحيط  
راسها بهالة قمرية :

– أيها الابن الرضيع الذى به سررت ، جئتني والمشيب  
يدخل شعري ، وكنت اغلق رحمى وكنت اجفف ثديى – أيها  
الابن الذى لا مثيل لعينيه – وكنت نسيت الحمل والارضاع ..  
أنت فريد حتى فى موعد قدومك .

### ٣ – البخور

ليلة السبوع كان القمر فى نصف استدارته ، وفى صباحه  
التالى علقتم أمى أعلى باب الدار فردة حذاء طفل قديمة ؛  
قالت :

– كيما تخطو الينا أقدام السعد .

وهز أبى كتفيه .. وجاءتها احدى الجارات للزيارة وحيث  
المولود بزغردة طويلة . ابتسمت أمى فى غير ارتياح . وتحت  
الحاح الجارة احضرت لها الوليد لتقبله ، ولما اطالت النظر  
اليه اختطفته وأدخلته الغرفة .. ثم قامت – عقب انصراف  
المرأة – باطلاق البخور وطافت بطبق الجمر فى غرفة الضيافة  
وفى غرفة النوم ، ثم ادارته من فوق الوليد سبع دورات .

وقبل الليلة التى كان القمر يستدير فيها علقتم بعض  
سنابل القمح أعلى الباب وقالت :

– وهذا يجلب الرزق والخير .

وجاءها ثلاث مدرسات للتهنئة . وكلهن يحملن بعض  
الهدايا : مع واحدة ملابس اطفال ، قبلته وقالت :

– جماله قلته !

ومع النانبة عابجة حلوى مزركشة الألوان . حملت مبهورة ،  
وهمست :

– هاتان عينا ساحر !!

والثالثة وضعت قرب بده لعبة تصدر أصواتا عالية  
وقالت :

– سوف نكون معبودا من البنات ؛ مرهوبا من الفتيان .  
فشكرتهن أمى على مفضى ، وتحدثن عن مستوى التعليم  
الهابط وعن سفن الفضاء وغلاء المعيشة وأمور عديدة .

وتكررت الزيارات وتكرر تصاعد البخور ، ولما قال أبنى  
انها ستتسبب فى ارتفاع اسعاره ، تجاهلت المزحة والمحت الى  
ازدياد عدد الزائرات منذ يوم السبوع ، قالت بأن هذا لم  
يكن يحدث من قبل . دهش والدى وقال :

– لأنك ببساطة حديثة الولادة .. ومن قبل لم تكونى  
كذلك .

لم نفتتح . قال :

– والسبب أيضا أن معظمهن مدرسات تحت نظارتك .

قالت :

– انما السبب هو جمال المولود المدهش .

أصرت :

– سوف يحسدنه .

ضحك :

- يا لضيعة التعليم !!

ثم جاءت الليلة التي انتصف فيها القمر ، وفيها زارتنا الجارة التي تكرهها جدتي ولا تحبها أمي ، وجلست طويلا وشربت الشاي ، ثم طلبت احضار الوليد لالقاء نظرة اليه ، لكن أمي قالت في هدوء انه في بيت جده ( وكان من حسن حظها انه لم يك في مهده طوال مدة الزيارة ) .. ورغم ان الجارة لم تره الا ان البخور ملأ جو الدار .

وجاء ضيف مع زوجته - وكان ذلك قبل ان يصير القمر هلالا - ورحب بهما أبي ترحيبا شديدا ، بالمثل فعلت أمي .. وكانت جلسة ذكريات بينهم ، سخروا بعدها من كل الأجيال الجديدة ، ثم قالت المرأة وأظن ان اسمها هانم :

- سمعنا عن طفل تحكى عنه البلدة ، فجننا نبارك وجننا نمتع الأنظار .

فاهتز جلدع أمي يمينا ويسارا تندب وتنوح في همهمات غريبة .

وجمت مع الجميع ، وبتر أبي ضحكته . قالت :

- مرض المسكين ، أصابته عين .

التفت أبي في حدة . قالت :

- منذ الصباح لم يدخل فمه شيئا ، رافضا للأكل رافضا للرضاعة لا يمض الا في أصبعه ، أصابته عين .

ثم أخذت تصف الأعراض التي ظهرت عليه ، وذكرت تفاصيل دقيقة وغريبة ، وكانت تتكلم في حرارة وثقة ( لكنها حرصت على الا تدير نظراتها نحوي أو نحو أبي ) .

دعت الضيفة بالشفاء والصحة ، ورمت بالنار والدمار على كل حسود غدار ، وقبل أن تمضي وصفت بعض الطقوس ، قالت انها لمنع الحسد : وبالفعل نفذتها امي رغم أن الطفل كان يكركر في صحة جيدة .

#### ٤ - الوحم

كلما تأكل القمر زاد تلاؤ النجوم من فوق سماء تزداد قتامة .

ومن برهة لأخرى تتجمع المياه المتسربة من مسام الفخار أسفل قعر القدرة ، وتكور ساقطة في قطرة صغيرة .

كنت مستلقيا فوق أرض الشرفة وقرب أذني حفيف ثوب امي يهتز في عصية ، وكان والدي حانقا من وسوستها ، فجلست صامتة لا تحادثه ، ولم تلاغ الطفل ، وانما داعبت شعر رأسه الخفيف وهي تهدده بهميمات منغمة ليسر بها كلام أو مناجاة ، لذلك بكى الطفل فخالته بالهزات العصبية ، سكت بفتة ثم عاد بكى حتى نام ونهضت به الى فراشها .

وفي عودتها نهضت انا الى سريري ، وكل ظهري تنميل وؤر رأسي صداع بعاند ثقل النعاس .

في سكون الليل لم أسمع سوى الضفادع والصادبن ، ثم سمعت امي تجيب على عتاب أبي بكلمات قليلة جافة ، جعلت صوته يعلو في لوم عنيف فلم ترد عليه . صمت وربما يكون قد أشعل سيجارة .



ابتعدت همسات الصيادين وبقي تقيق الضفادع ووشيش  
المويجات الواهنة ، وسمعت صوت أبى رتياً لكنه متهدج :

— ذلك لأنك لم تلحظ ما حدث !

اهتز مقعده . قال صوتها :

— فى الشهر الماضى زارتنى فاطمة ، وبعدها سعدية وهى  
التي لم تزرنى منذ سنوات !! ثم جاءتنى زوجة حسن دكرورى ،  
وفى الأسبوع الأخير زارتنى امرأة ابن خالتك وتعرف انها تكرهنى،  
ثم سناء المدرسة وهى الآن فى اجازة وضع ، وبالأمس ابنة  
المقدس حنا ، وصباح هذا اليوم هانم مع زوجها !!

ولما لم يرد أبى قالت :

— كى تعذرنى !!

فأبدى دهشته فأكدت :

— كل واحدة منهن تشتهى ولدى .

جلست انصت . كررت أمى :

— تشتهى ولدى وتريد مثله .

لايد ان وجه أبى احمر . قالت :

— ألم تر أن كلهن حوامل؟؟

طار النوم من عينى تماما : كلهن ؟ .. سأل أبى :

— كلهن ؟ !

— وفى الشهور الأخيرة من الحمل .

بعد الدهشة سأل أبى فى برود :

- وما الضرر من ذلك ؟

- لأن الحامل ان اشتهدت شيئاً ارتسم شكله على بدن مولودها ، وكل واحدة منهن اشتهدت ولدى الذى لا مثيل له ، توحدت عليه كى يأتى طفلها فى مثل حسنه .

اهتز مقعد والدى . سمعته يتجه الى القدرة ويملاً الكوب ويعيده بمد برهة فوق القطاء ، ثم اهتز مقعده ثانية .

وبعد ذلك عادت الرتابة الى الأصوات فى الموجات ونفيق الصفادع ؛ وفى غناء خافت لصوت غريب ناء ، ربما حملته المياه من الضفة البعيدة حيث قبور موتانا .

## ٥ - الحدأة

فى بيت مثل بيتنا يجد الانسان نفسه متيقظا عند الفجر .

سمعت صوت الحدأة قريبا جدا منى . فادركت انها فى الشرفة .. مشيت حافيا ونظرت من وراء الشيش ، وكانت واقفة فوق السور والهواء يداعب ريشها ، وكنت احب ان أتأمل وجهها واجده اكثر جمالا من وجه البطة او الدجاجة او الديك الرومى ، واستغرب نفور الناس منها ، والدتى وجدتى يكرهانها بسبب انها خطافة . وما زالت امى كلما رأتها أو سمعتها تهتف فى غل :

## - الخطافة .

ذات يوم ذبحت جدتى بطتنا ذات الريش الأسود وتفتت ريشها ، وكان الوقت غروباً ، ثم ملحتها امى تمهيدا لطهيها ظهر

اليوم التالي ، وخشيت عليها من حرارة الصعيد فوضعتها فوق طبق في الشرفة الشرقية حيث الهواء طوال الليل ، وغطتها بالمصفاة الكبيرة .. لكن عند الفجر جاءت الحداة التي تنام في الشجرة العالية وهبطت الى الشرفة . ( ولا أعلم كيف رأت البطة تحت المصفاة !! ولا كيف تمكنت من ازاحتها جانبا ) لتبدأ في تمزيق الذبيحة والتهامها اربا . استيقظت انا على قلقلة الطبق فوق الأرض ، تسللت ونظرت من خلف الشيش ، كانت الحداة تقف على مخلب وتضغط بالأخر على البطة النيئة نافثة جناحيها نصف انتفاشة ، ترمق ما حولها في حذر ، وبهرتني مهارتها وقوتها ، فجمدت مكاني شقوقا بما أرى ، حتى تنبعت الى أمي تقترب شاهقة مستنكرة فرجتي ، وتفتح الباب في صيحة مخيفة ، إزعجت الحداة فخطقت البطة وطارت هاربة ، لكن الغنيمة أفلتت من بين مخالبها ، وسقطت الى النيل وسرعان ما غاصت محدثة دوائر كثيرة اتسعت حتى ضاعت في رتابة المسار . اغتاظت أمي وظلت تشتم وتسب كل حدآت الأرض وغربانها ، ومكثت الحداة حتى الظهر تحوم فوق المياه صائحة نالحة ، لذلك الحت أمي على أبي أن يستدعي راميا يخلصنا منها بطلق نارى ، فمأطل أسبوعا كاملا وفي اليوم الثامن اشترى ثلاجة كهربية لتحفظ فيها ذبائحها ، وظل هو يفضل الشرب من مياه القدرة التي في الشرفة ، ورغم ذلك ظلت كلما سمعت الحداة أو رأتها ، تبرطم ساخطة :

### ـ الخطافة ـ

استيقظت الدار على صباح الوليد باكيا . يريد الطعام أو تغيير الملابس . وهرولت الأقدام في خطوات مسرعة أو واهنة ، ثم سمعت السيفون أكثر من مرة ، وفكرت في حديث الليلة الماضية ، فاكشفت أن أمي تناقض نفسها : انها تخشى على

الطفل من الخسد بسبب تفرده في الجمال ، والناس يحسدون  
الإنسان النادر ولا يلقون بالا للمتكرر ، فيكون من المفيد إذن أن  
تدع الخوامل تحملقن اليه وتتوحن عليه لتلدن أشباهه فلا يعود  
فريدا ، وبصبح شائع العينين وعندئذ لن يحسده أى إنسان .

على مائدة الافطار قلت لها هذه الفكرة ، فلم ترد على  
ونهضت تلم المائدة ساخرة منى ومن الكلية التى أدرس بها ،  
فضحك أبى كثيرا لكنه كتم ضحكته فجأة واكتأب .. وبعده  
بقليل - وكنت اقرأ فى جريدة الصباح - رمتنى أمى بنظرة  
مكتومة الغضب ، ولاحظت الخطوط تزداد غورا فى بشرتها وتزداد  
عددا يوما بعد يوم ، قلت انها لو ظلت على هذه الوسوسة  
للحق وجهها بوجه الجدة الذى يشبه الغربال تجعدا .

فلما انصرفت الى مدرستها صار الطفل فى عهدة الجدة ،  
فرحت أتأمله مليا ، الوجه شاحب ، لكنى ارتجفت من عينيه :  
اتساع مدهل وعمق مريب وسحر غير مألوف !

خرجت الى الشرفة منقبض القلب ، فى السماء كانت  
الحداة الخظافة تطير من عشها الى ارتفاع شاهق ( مرة رأت  
فارا فهبطت كالصاروخ ثم علت وكان بين مخالها ) .

تأملت مياه النبل تحرى : الحسر الحجرى يحده فى مسار  
موتى مدننتنا وشيعهم الى الضفة الأخرى للنهر ، بدفنون  
لا يهبط عنه .. الا انى رأت وجه الطفل الشاحب يتموج فوق  
صفحته ، فعادت الرغبة الى قلبي ، وعادنى الوحوم .

أخذت أتأمل الصيادين يعدون الشباك ، ويخيطون تفرقاتها  
انتظارا لمقدم اللطام ، حيث يطفئن السمك لسكون الليل ويضعّد

الى السطح ، فان اكل الطعم تعلق في الشص ، وخرج يتلوى  
بعيدا عن الماء حتى يختنق في الهواء .

وفي السماء كانت الحداة لا تحرك جناحيها ، سابحة  
بجناحين مفرودين وذيل مثني الى اسفل ، وهى تهبط الى عشاها  
في اعلى شجرة الكافور المخضرة طوال العام ، الباسقة من فوق  
جذع سميك عتيد ، يربطون اليه المراكب ، ويونقون فيه قارب  
الموتى الكبير .

## ٦ - القارب

على نوبتين يوميا يرحل هذا القارب من مرساه حاملا  
موتى هدينتنا ويشيهم الى الضفة الأخرى للنهر ، يدفنون  
موتاهم في قمة التل ويرجعون بأسي الفراق ، الأحياء في ضفة  
الغرب والموتى في ضفة الشرق ، مناقضين دورة الشمس ،  
مخالفين مسيرة المصريين القدماء .

واكثر من مرة ياخذنى هذا القارب الى اسفار من التأملات  
اقول لنفسي : مكتوب على كل المدينة ان ترحل فيه ، واقول  
ايضا : فوق قمة التل تراب كان في الأصل أحياء في غرب النهر  
يزداد التراب ولا ينقرض الأحياء .. ومرة واحدة سألت  
نفسى : كم من امرأة حسناء تحولت الى تراب ؟ .. وعصرنى  
الألم : لماذا لا يبقى الحسن وحده ؟

وبعد التفكير اجابنى أبى مترددا ، كنا في جلسة المساء :

— ربما لأن الحسن لا يظهره الا القبح .

فنقلت عيني الى حجر امي متفحفا وجه الوليد ، فهالني  
شدة سحوبه .. قلت ان ذلك فعل نور القمر الهزيل ، لكنى في  
الصباح نأكدت من ذلك ، وتيقنت من بياض وجه امي مع تزايد  
التجاعيد من حول عينيها .

لذلك كنت في غاية القلق عندما سافرت الى الجامعة  
بالمدينة ، تم وترتني خطابات ابي حتى ركبني الخوف .

في خطابه الأول قال ان الوسواس تملكك عقل امي وقلبيها ،  
فتحولت الى اعصاب مشدودة ، واخذت تحرص على أن يبدو  
الطفل عيلا دائما في اعين الناس !!

ثم قال - في خطاب مبسر ان الأمور تدهورت تماما ،  
وانها صارت تتحذر حتى من نظرتي ، وانه يظن أن العلة أصابت  
الولد بالفعل .

مرت فترة طويلة انقطعت فيها خطاباته ، ولم يرد على  
رسائلي ، حتى جاءني مكتوب صغير ، حذنتني فيه عن القطعة  
التي خافت على أطفالها من الغرباء خوفا طاغيا ، فأكلتهم لتخبئهم  
في جوفها .

وبعد ذلك حدث أن جاءتني برقية قصيرة تستدعيني .

ووجدت امي جالسة امام الطفل المسجى ترمقه محمقة ،  
لا تبكي لا تتكلم ، ذاهلة عن الدنيا ، فقط تحمق الى عينيها  
المفتوحتين دون انفلاق .

وعندما دخلت المرأة العجوز الى المهد ومدت اصابعها لتسسل  
العينين ، ثارت امي رافضة ، وهاجت وكادت تلقي بالعجوز  
ارضا .. فارتمش ابي في وقفته ، واجهش صوته ينهرها :

— أنت السبب ، بحرصك المجنون تسببت في ذلك .

كأنها لا تسمعه . تهدج صوته :

— عاملتيه معاملة شاذة فقضيت عليه !

وظلت تحملق الى العينين المفتوحتين في هدوء وسكون

( نظرت انا اليهما فانتفضت نبضات قلبي ، مازال السحر

فيهما .. فهمست لنفسى : انه لم يمّت ) .

سحبت ابي بعيدا ، فقاومنى وهو يصرخ :

— رعاء معتوهة ، ظلت تحجبه عن العيون حتى حجبتة

عن الحياة !! وكان اجمل من كل الحياة .

( وكان السحر ما زال في العينين )

.. ثم حدث ان امسكوا امى ودخلت العجوز واسبلتهما ،

وعلى الفور صار ميتا ، وعلى الفور وقفت امى مذهولة ، وصرخت

صرخة واحدة ارتعشت لها قلوب الجميع — وتركها ابي — وظلت

تبكى حتى لم يعد لديها بكاء ، وصار وجهها كوجه الجدة تجعدا .

وعندئذ صعب حالها على والدى ، فأخذ يحايلها ويطيب

من خاطرها :

— نحن اتيينا به وباستطاعتنا ان نأتى بغيره ..

**قال :**

— جاءنا على كبر ، وكنا سنموت قبل ان نتم تنشئته .

**قال :**

— وهل الأحياء تسعداء ؟؟

## ٧ - الأميرة

.. لكنه بعد كل هذا الكلام المطيب انهار فجأة وبكى -  
وكننا في قارب الموتى نسير شرقا - وأخذ يهدى :

- لا يعيش الجميل ، لا يعيش ، فان أصبح قبيحا عاش .  
نظر للنعش الضئيل وكانت الحدأة تحوم فوق المرفأ :

- لا توهب الحياة الا لناقص الجمال .

ملأت الدموع عينيه :

- يولد الجميل وفيه بذرة الدمامة ، فهو لم يعد كامل  
الحسن ، وهو يموت لنعيش دونه .

بللت الدموع جفنيه ، ربت الجار على كتفيه ، لم احتمل  
ذلك ، نظرت الى النهر اسفلنا ، فرايت ظلى وظلال الرجال  
تتموج من فوق المويجات .. وكان القارب يفرق هذه المويجات  
الى شطرين ، وجاءنى صوت ابى :

- القبح فى الأم والأب .. والقبح لا يلد الا القبح ، وأن  
انجبنا الحسن فكيف يعيش ؟ !

وبعدها ظل صامتا لا ينطق . وطفعت زمجرة آلات القارب  
على صوت انفاسه المجهدة ، لكنها لم تقدر على حجب  
عويل أمى .

كانت أمى فى الشرفة الشرقية ، تنظر الينا تعول وتولول -  
ولم تكن جدتى بجوارها - والنسوة يجذبنها الى الداخل ، لكنها  
تقاوم ونصف جذعها مائل خارج السور .



- غامت الدنيا في عيني ، لكنى رغم المسافة رأيت الدموع تنهال  
من عينيها فوق الخدين ساحبة معها قطرات العرق ، رايتها  
ننساظ الى مياه النيل القاتمة ، نلمع في الشمس وهي تتساقط  
الى النهر العريض .

فتذكرتها وهي امرأة جميلة ، ناضجة الحسن - وكنت  
طفلا تبهرنى كل الأشياء - لاحظت ان النهر عند الجفاف تظهر  
في وسطه جزر صغيرة يزرعونها خبارا وبطيخا ، وكانوا يتركون  
البطيخ يكبر ويتضخم لتصل الواحده منه الى حجم قدرة  
المياه - وكان هذا يعجبني - وكانت فرق الكسافة تقيم معسكرات  
الميت في هذه الجزر ويجلسون في دائرة من حول الفوانيس  
يتسامرون - ويظل الأمر كذلك شهورا قليلة ، بعدها تسود مياه  
النيل فيهجر المزارعون الجزر ويفيض النهر ويرتفع ويأتى الى  
جدر منزلنا يضربها ، وبقرب سطحه من شرفنا .

سألت أمى مبهورا عن سر هذا الفيضان فأخذتني الى  
حجرها وداعبت شعري الخشن بأناملها - وكنت أحب ذلك -  
وحكت لى عن أميرة فرعونية اسمها ايزيس ، كانت تحب زوجها  
الجميل الطيب ، لكن حدث أن دبر له أخوه الخبيث حيلة شريرة ،  
وقتله ومزق جثته قطعا نثرها في أنحاء البلاد ، فحزنت الزوجة  
على حبيبها وصارت تبكى ولا تكف عن البكاء ، ودموعها تنسال  
دون توقف ، وتسيل لتتجمع وتترايد وتنحدر الى النهر حتى  
حدث الفيضان ، فارتوت الأرض ونبت الزرع واكل الأحياء ..

.. وكنت أغالب النوم ، وكانت أمى تقول ان الأميرة ظلت  
تفعل ذلك بانتظام في نفس الموعد من كل عام ، وأن موسم

الفيضان هو موسم البكاء عند إيزيس ، ومياه النهر هي دموعها  
الغزيرة ..

.. وكانت أصوات غناء شجية تأتي من بعيد ، وكف أمي  
بذلك ظهري ؛ وساقها تهتزان بي هزات منتظمة ، ورائحة  
صدرها في أنفي ، وكانت النجوم فوقها ناصعة متألقة ، وكان  
وجهها لطيفا باسم بلا تجاعيد .

## بعض المنحنيات

---

### ● منحني القمة

ازداد ظهري غوصا في مسند المقعد الوثير ، كانت السيارة تمرق صاعدة نل المقطم ، منحنية عن الطريق الأفقى ، مخلفة من ورائها حى القلعة ، والطريق الى فوق وعمر ، كثير التعاريج ، لكنى لم اتعر بمطباته ، والسيارة تتسلقه مكتومة الزمجره ، وسامى يفودها في هدوء وعلى وجهه بسمة باهتة ، ربما كان يسترجع بعض ايام الماضى .

تأملت القاهرة ، رغم اننا في أول الليل الا اننى ميزتها راقدة في اتساع ، وجميعها في مدى الرؤية ، ونحن نعلو عنها ونرتفع ، ومقابر الموتى تأتى من تحتنا ، وعند قمة التل تلوح مدينة المفطم ، قلت لسامى :

– تسكن في مكان له هدوء القمر

ضحك ، وخيل لى ان بضحكته رنة ساخرة :

– لم تخلص بعد من نزعتك الخيالية !

- لماذا اذن سكنت هناك ؟؟

-- رأت زوجتى ذلك فوافقتها

وبعد برهة سألتنى :

- هل تظن ان شجرة الكافور ما زالت قائمة ؟؟

- اظن ذلك

- اذن فاسمك مازال مخلدا !!

تأكدت من السخرية فى ضحكته ، وكنا فى المرحلة الابتدائية  
عندما رآنى منهمكا فى حفر اسمى على جذع هذه الشجرة ،  
وسألنى عن السبب ، أشرت الى أطلال الأثار فى وادى الكلا ،  
قائلا اننى افعل مثلما فعل الفراعنة ، فمط شفتيه عجبيا ومضى  
يلقى الفروع بالطوب ليسقط ثمرها ويأكله .

ومنذ تزامن الدراسة لم أقابله ، وعندما لقيته مصادفة  
كدت أحسده على المنصب الذى قفز اليه ( ولما سألتنى عن نفسى  
أجبتة فى صوت خفيض ) .. ودعانى الى منزله فى قمة القاهرة  
ليعرفنى بزوجه ، ومن قبل ان أراها خمنت انها سوف تكون  
رائعة الحسن .

انحسر الطريق بين مرتفعين ، فارتد صوت المتحرك من  
فوق الصخور ليتضاعف فى أذنى :

- وعربة الأسطى صابر ، اتظنها ما زالت تسير ؟؟

- من المؤكد انها تسير .

- اظنها اعتق عربة تدب فوق سطح الأرض !!

بطيئة لكنها أكيدة الوصول ، بخط سير واحد لا تغيره  
ابدا ، من قربتنا الى حدود المركز جيئة وذهابا ، حتى تندرنا  
بانها لو تركت في آخر الطريق بمفردها لعرفت كيف تعود دون  
سائق ، ولا اظن احدا غير عم صابر قادرا على قيادتها ، فكل جزء  
فيها اصيغ من اختراعه الخاص ، الفرملة تقوم بعمل ضاغط  
البنزين وضاغط البنزين يقوم بعمل الفرملة ، ولدنا فوجدناها  
بصاحبها ، الذي فشلت دائما في تقدير عمره ، وعندما تجرأت  
وسالته اکتفى بتأكيد انه اقوى منى ومن كل الراكبين معى ،  
اكتظ رأسه بالعديد من الحكايات والدكریات التي تعتقت في  
رأسه فساح الواقع على الخيال ، يعرف الأيام بالمناسبات ،  
يوم زواج أو ظهور أو مولد أو يوم التطعيم ضد الكوليرا ،  
أو يوم أن أكل الولد مسعود اللحم الضأن لأول مرة ! ..  
وكنا ننحشر في عربته للوصول الى ثانوية المركز والعودة منها ..  
لكن سامى لم يكن يركبها معنا ، كان يذهب الى المدرسة ويعود  
منها في سيارة والده ، ويخرج من داره بعدنا ويصل الى  
المدرسة قبلنا .

## ٢ - منحنى الجراد

« منحنى خطر - هدىء السرعة » .. لكنه لم يهدئها ،  
وزعقت الاطارات محتكة بالأسفلت الخشن ، وعادت الى ذهني  
عربة عم صابر ، وهى تتهادى مخترقة وادى الكلا ، خطر لأحد  
كباش الفجر أن يلحق بها وينطح مؤخرتها بقرنیه الملقوفين ،  
مما افرقنا في ضحك لا آخر له ، ومما اغضب عم صابر ، فأوقف  
عربته وصرخ قينا أن ننزل وأن نبحث لنا عن سيارة أخرى ،  
وظللنا نحايله ونتملقه راجينه أن يحكى لنا قصته مع زوجة

الموظف الانجليزى ، وكيف انها اعجبت به وبفحولته ، وكنا نعرف ان ذلك يسعده جدا ، وكنا نحن أيضا نحب سماعها ، فأدار المحرك ونهاتت العربة على صوت يقول :

- حدث ذلك فى عام الجراد الأجرى ، وهو الذى يأتى من الصحراء ، فهو ان جاء من فوق الوادى يكون لونه أخضر اللون ، أما الذى يأتى عابرا الصحراء فيجىء فى لون الرمال ، لكن كل الجراد تراه فى السماء وهو سد عين الشمس أسود اللون . والجراد الأصفر يتحول الى الأخضر بمجرد ان يأكل زرع الفلاحين .

- لماذا يا عم صابر ؟ !

- لأن الزرع الذى يأكله أخضر اللون .

هزنا رءوسنا دون اعتراض ، فقال :

- الجراد الذى جاء بعد موت سعد باشا زغلول بثلاثة أو أربعة أعوام كان لعينا ، لونه أخضر لأنه أتى على الخضرة فى طريقه ، فأدخل الفلاحين فى كرب وضيق جعلهم يقترضون من المرابين الخواجات بالربا الفاحش ، وكان هؤلاء النصابون منتشرين فى كل القرى من فرنساوية على يونان على انجليز على اتراك ، لم يكن فيهم أى مصرى لأن المصريين فقراء .

ثم صمت عندما سبقنا سامى فى سيارة والده ، والتي أبطأ عم صابر حتى يتعد غبارها والى ان استحثه مصطفى من المقعد الخلفى ، مطالباً بالدخول فى حكاية المرأة الانجليزية ، فانتعشت ملامحه بطريقة لم تقدر كل التجاعيد على اخفائها ، واخذ يقول :

- كانت امرأة كالبطة البيضاء التي اطعمت جيدا .

اعتدلنا جميعا ، والذين كانوا في الخلف مالوا الى الامام .

— كان وجه زوجها في لون عرف الديك الرومي ، اما هي فكانت بيضاء ، ممتلئة وليست سمينة ، وطويلة وشعرها في لون القمح ، وكان الجراد يهدد البلاد ، جراد أصفر من الصحراء ؟ !

— كان ذلك بعد معاهدة ٣٦ بحوالى الحول ، امرت الحكومة بعمل تجريدة من اهالى اربع قرى لايقاف الجراد عند حدود الصحراء ولتطفيشه مرة اخرى اليها ، وكانت قريتنا من هذه القرى ، وجاء الرجل الانجليزى من البندر ليشرف على التجريدة ، ومعه زوجته للفسحة — كان الانجليز يحكمون مصر ويهمهم أن يكون محصلوها وفيرا — وكانت امهاتكم لم تحمل بكم بعد عندما اشتركت في نقل الاهالى .

هتف سيد :

— كل الناس ؟ !

— عدا ثلاث عائلات تعرفونهم ، منهم عائلة هذا الولد سامى الذى سبقنا في سيارة والده .

بصق الى الطريق :

— كان اجر النفر قرش صاغ في اليوم ، وانهمك الرجال في حفر الخنادق ثم في اطلاق الدخان الكثيف مع صياح النسوة ، بينما الاطفال يحركون النباتات وافرع الأشجار ، والقصد من كل ذلك هو اطلاق الجراد وتخويله كي يعود الى الصحراء ثانية ، وقد ضايق الضجيج والدخان المارة الانجليزية ، فأمرنى زوجها بكلام ركيك ان آخذها لأفرجها على آثار الفراعنة ، ومضيت بها .  
— تنحى ابن المقدس حنا بجوارى فلكرته بكوعى كي يصمت .

– ولما ابتعدنا عن الدخان والصراخ شعرت بشيء يلمس  
قفاى ، ظننتها جرادة هاربة ، لكن اللمسة كانت ناعمة ، وكانت  
من اصابع المرأة : ففهمت غرضها وركنت العربية وأخذتها بين  
الخصوص .

صفق رياض :

– عم صابن يا جن !!

– كانت قوبة الجسد ومعطرة وامتعتنى كثيرا ، لكن عند  
عودتنا انقلبت المتمة غما ، اذ وجدنا فلاحا تعول ملطخة رأسها  
بالطين وأمامها طففا منهوش الجسد !! كانت قد غفلت عنه اثناء  
العمل ، فحط عليه الجراد وظل ينهش بدنه الصغير ، وبكاؤه  
يضيع وسط الضجيج والصخب ! وعندما تنبتهت اليه امه كان  
قد مات ولم يكن هناك من يداويه ، وقد ألهب عويل الأم غضب  
الفلاحين فانهالوا على الجراد حتى هج ونجحت التجربة .

– واين ذهب بعد الصحراء ؟؟

احتار :

– ذهب الى حيث جاء .

وعدت اسأله عن الانجليزية وان كان لم يرها بعد ذلك ،  
فقال :

– ظللت أحمل البيض والزبدة والدجاج الى سكنها  
بالبندر ، وكان رجلها كثير الغياب بالقاهرة .

وكان فى كل مرة يضيف الى قصته حواشى وتفاصيل لم  
يات ذكرها من قبل ! .. تأملنا الغيطان المنبسطة وسألته ان  
كانت المرأة قد انجبت منه فأجاب :



— كانت عاقرا ، وقد فشل معها الأطباء ، وعندما افهمتها بأن الفلاحة العاقر عندنا تلد اذا لمست صنم الفرعون ، جاءت خلسة من وراء زوجها ولسته .

— وهل ولدت ؟؟

— قال لى شيخ كبير ان ذلك مستحيل لأن صنم الفرعون يولد نسوة الفلاحين فقط ، ولا يولد ابدا نسوة الخواجات .

### ٣ - منحى الجهول

سرعان ما نكائف ظلام الليل واخفى تماما المقابر اسلفنا ، وتحولت القاهرة الى نقط مضيئة منتظمة فى خطوط او متناثرة على ارتفاعات شتى ، لكنى عدت ارى الأوز يسبح فوق مياه الترعة ، بينما عم صابر يحكى لنا عن زوجة المراهبى ، قال ان زوجها كان روميا والذي قبله كان شركسيا .

سأله حسين محتارا :

— شركسيا من اى بلد ؟؟

— من بلاد الشركس ، اما هو فقد كان روميا من بلاد الروم ، وكان يقرض الستين قرشا أول الشهر ليستعيدها جنيها كاملا فى آخره .

— هذه سرقة !

— كان الفلاح فى عوز دائم ، فائناء الحرب العظمى حدث ان زاد سعر القطن بطريقة مربحة جدا ، جعلت معظم الفلاحين يزرعون اراضبهم قطناً فى الحول التالى ، منصرفين تماما عن زراعة الحبوب ، وايامها كانت سوق القطن مجنونة ، اليوم

القطار بمائة ريال وغدا بعشرين !! فتخرب بيوت ويشل رجال ،  
ولذلك لجئوا الى السلف ، ومن بقرضهم غير المرابين ؟ ! بنك  
التسليف كان يقرض كبار المزارعين فقط ، وكان هذا المرابي  
الرومي طماعا بقلب كالحجر ، بينما دين الفلاح يتراكم بالفائدة  
المركبة ، وان كان في الأصل جنيها يصير بعد شهر جنيهين ،  
وبعد شهرين أربعة ، وطبعا عجز معظم الفلاحين عن الدفع ،  
فحجز الرجل على دوابهم ، لكنه قبل اليوم المحدد لبيع البهائم  
سقط في الخلاء بعيان نارى أصابه في القلب تماما ، وظل ملقى  
مكانه فوق التراب .

#### – من قتله ؟؟

– جاءت الحكومة ، وحط الجميع اقوالهم ، وسألوني  
مع من سألوا ، وقلت لهم اننى لا اعرف شيئا ولا اشك في أحد ،  
تعجبوا : فهل قتل الرومي نفسه ؟ ! .. قلت لهم ان الله وحده  
يعلم ، وفي النهاية قيدوا الحادث ضد مجهول !

#### – ولكن من قتله ؟

– المجهول .. قالت النيابة ان الذى قتله هو الفاعل  
المجهول .

#### نسحكنا ، قال :

– واقربة جميعها كانت تعرف الفاعل ! .. لكن حتى  
الرومية نفسها لم تحزن على زوجها ، كان عندها كعدمه وكانت  
نختار من تسبان القرية من يعجبها ، وتأخذها الى دارها وتجعله  
يستحم ثم تأخذه الى سربرها لقرض غير خاف .

#### – وزوجها ؟؟

— كان يحب المال فقط ، وقد جربت هي الكثيرين من  
اهل البندر ومن الروم والشركس والانجليز ، فلم يعجبها سوى  
الفلاحين .

تخابت عويس بقصد ايقاعه :

— وهل كانت البلهارسيا منتشرة ايامها بين الفلاحين ؟ !  
— طبعاً .

— وهل كانوا يشكون من الفقر ، ضعفاء لا يأكلون جيداً ؟ !  
— وجم برهة ، ثم قال في عصبية :  
— قلت ان الرومية كانت تطعم من تختاره ببطء كاملة .  
مازحته :

— فهل اكلت من بطها ؟؟

ضحك ، ثم دار بعربته مع انحناء الطريق ، الذي كان  
ينحني مع انحناء التربة .

٤ — منحني كلب، الوادي

أضاء سامي مصباحي السيارة فسقط نورها على الصخور  
الجانبية ، واوحات المرور تشير الى منحني قريب ، ورأيت  
فيه مفارقة كبيرة ، وقات انها تنفع مكمنا لبعض الوحوش  
او لعصابة من اللصوص .. لكن المدهش حقاً هو اصرار عم صابر  
على فساد الزوجة الانجليزية وزوجة المرابي ، ومن بعدهما زوجة  
عرفان باشا ، وجميعهم ممن اذلوا الفلاحين !! .. فهل هو نوع  
من التعويض ونوع من الانتقام المعنوي .

جاءت سيارة في طريقنا وسقط نورها على وجهينا ، لكن  
سامى لم يخفض من سرعته . وفي برهة النور ضيق من عينيه ،  
ثم سرعان ما راح وجهه في الظلام وسألنى :

– لماذا لم تتزوج حتى الآن ؟؟

ربما لضالة راتبى ( اكنى لم أخبره بذلك ) وسمعته يضحك  
بضحكة غريبة :

– هل تعقدت من صنف البنات ؟ !

فهمت قصده ، وعاد يقول مجاملا :

– كان ذلك فى الماضى ، ولم نكن أياما سيئة ، معنى فى  
ذلك ؟؟

وكان يقصد حادثة التلميذة سناء ذات القم الواسع ، وكنت  
قد صادقتها ، وكثيرا ما تفسحت معها على الترفة خارج حدود  
المركز ، وكان هو يعرف علاقتى بها ، وكانت المظاهرات أيامها  
كثيرة ، وكنا نهتف بسقوط من نشاء وبتحية من نشاء . وكانت  
الحكومة قد فتحت كوبرى عباس وطلبة الجامعة من فوقه فقتلوا  
العشرات منهم – ولا أذكر جيدا ان كان ذلك فى عهد « النقراشى »  
أما فى عهد « عبد الهادى كلب الوادى » – الذى أذكره اننا قمنا  
بمظاهرة احتجاج كان سامى معنا فيها ، لكنه ما أن لمح البنب  
سنا حتى تلكأ وانسحب ، ولم يخطر على بالى انه لاحق بها  
الا بعد ان عاملتنى فى جفاء ، وبعد أن ضبطتهما خارجين معا  
من سينما المركز ، حيث ارتبكت هى أما هو فقد غمز لى بعينه  
اليمنى ، وفى اليوم التالى أخبرنى ان لقبلائها طعم الشهد رغم  
سعة فمها !!

تأملت لوحة السرعة المضاءة ودائرة عداد البنزين ، وسهمي الانحراف الى اليمين والى اليسار ، واحد أخضر والأخر أحمر :  
وخيل لى ان منحنيات الطريق قد زاد عددها ، ونوجست من العتمة الكثيفة وتوقعت الهوة عند كل منحني حيث أعرف ان فى القاع مقابر الموتى .

## ٥ - قمة الكف

كما توقعت تماما وجدت زوجته انثى ساحرة ، داعب هواء المقطم شعرها فتسممت عطرها الرائع ، باغتتنى بعينها وهى تعطيني كاسا ، فاخذت أرنسف منه وأنا أتأمل أضواء القاهرة من تحت اقدمنا : بإمكان رجل واحد من هذا الارتفاع أن يهزم العشرات عن السفح .

ثم حكيت لهما - بعد الكأس الثالثة - اننى ، ومنذ هاجرت الى القاهرة ، وكلما شعرت برغبة فى حك راحتي اليمنى توقعت زيارة مفاجئة من أحد أهالى قريتي ، فابتسم سامى ، ورفعت الزرجة حاجبها دهشة :

- وهل تصدق فراستك ؟ !

- على وجه العموم .

مالت بجسدها تجاهى فى بسمة آسرة ، غدزة فى كل خد :

- لعلك تجيد قراءة الكف أيضا ؟؟

ظهر كفها فى بطن كفى ، ناعمة تجرحها أقل خدشة ، ارتجفت وبحثت فى ذهنى عما يقال فى قراءة الكف .. بينما سامى يقول :

– المؤكد ان هناك علاقة وثيقة بين رغبتك في حك كفك وبين دورتك الدموية وأعصابك وآخر وجبة تناولتها وحالتك النفسية ، تماما مثل رفة العين ، ولكن الأكيد أيضا انه لا علاقة لها اطلاقا بزيارة احبابك ؛ فهل تؤمن بالخرافات ؟ !

– لنقل مثلا شفافية ، أو بقايا من نقاء ريفي داخلي .

لكنها عادت لتحداثي بانساعى عينيها فتنبعت الى كفه .  
في كفى .. قلت :

– يقول كفك ان العمر مديد والحظ سعيد وان أسعد ايامك هو الخميس .

– النهار منه ام الليل ؟؟

ثم بضحكة مستخفة :

– هل رايت سكرتيرة زوجي الحسناء ؟ ؛

لا توجد امرأة تفوقك حسنا ، قلت ذلك في سرى :

– اما أسعد ألوانك فهو البرتقالى ، وأسعد أرقامك هو رقم خمسة ، وهذا خط القلب وسأقرأه لك .

زمت شفيتها :

– الا هذا

– اسرار ؟؟

– دع خط القلب في حاله !

ولما سحبت كفه رايت كفى العريض ، خشنا ، باهت الخطوط قصر الأصابع .. وفي فصل ٢ علمى خامس مددته

فانهالت عصا المدرس فوqe ، وكانت كراسات الانشاء قد وزعت وفوجئت بدرجة سامى أعلى من درجتى فهتفت بان هذا ظلم !! فعضب المدرس وضربنى بالعصا على كفى ، جلست اتمتم فى عناد بان موضوعى افضل من موضوع سامى فضربنى ثانية .

ضممت قبضتى بشدة ، فلت للزوجة :

– ذكرينى فى يوم لاحق أن اقرا لك الفنجان .

فتنارت ضحكاتها فى اجواء المقطم ، وبعثرها الهواء الى سواد القاهرة المترامية تم سمعت عواء خافتا يأتى من بعيد واصطكاك بعض النوافذ ، وعندما رجعت بظهرى الى الوراء رأيت ساقبها : جميلة هذه المرأة ، كيف احتكرت لنفسها كل هذا الحسن ؟ ! لو رآها عم صابر لتناقص اعجابه بالزوجة الانجليزية وبالرومية وبامراة عرفان باشا !! فهل خطفها سامى من رجل آخر ؟ ! .. كنت اظل محتفظا بتفوقى طوال العام الدراسى ، وفى الشهرين الأخيرين يشرح له كل مدرس الأجزاء الهامة التى منها الأسئلة فقط ، ويدفع والده بسخاء ، وينتهى الأمر بتفوقه هو !!

كان الهواء منعشا ، وتحدث سامى قليلا عن أحوال البلاد وتوقعاته ، وعن رحلاته التى قام بها فى الخارج ، وذكر الآراء فى السياسة الدولية ثم سخر من موظف لديه هاجمه فى اجتماع عام للمؤسسة متهما إياه باحتلال منصب لا يستحقه – ورأيت فى السماء نقطة خضراء مضيئة تتحرك فى صمت ، إدركت أنها مركبة فضاء تدور حول الأرض – فشربت بلعة جديدة من الخمر ، ولما سألتنى سامى عن أحوالى فى العمل أفلت لسانى ، وشكوت له من رئيسى ، فوعد بان يوصيه خيرا بى ، وعزت على

نفسى وفكرت ان اخبره باننى فى غنى عن توصياته ، لولا اننى سمعت حفيف ثوبها وهى تناولنى كأسا جديدة ، فتأملت ذراعها وعنفها ، وتصورت بشرتها ملساء عطرها ، وسرت التهنئة الى مفاصلى - وكان المقعد مريحا - وتغلغل الخدر الى كل رأسى ، وشطح خيالى فرايتها تتبادى داخله الى شقتى ، ثم الى حضنى - وأشم عطرها - وتفك أزرار بيجانتى ، وهى شرهة ، وهى تهمس بأن سامى لم يقدر ابدا على اشباعها بمثل ما افعل ، وتوشوش مأخوذة : باننى وحدى القادر على ارضائها ، أنا وحدى ، وليس سامى .

## ٦ - جميع المنحنيات - هابطة

.. لكنى تنبعت على أصبع سامى امام عينى :

- نحب ان نعرف ما دار فى هذا الرأس ؟ ! الى ابن شردت بأفكارك ؟ !

الهواء ، لم انظر فى عينيه :

- الى قريننا .

هز رأسه ، ويبدو انه عاد بقول بانها لم تكن أياما سيئة وبأن المدينة لم تفلح فى تغييرى ، وغاص الدم من كل وجهى وبردت أطرافى ، وصار مذاق الخمر فى فمى مرارا ، فألقيت نظرة أخيرة من فوق ، وكانت الزوجة تبسّم فى ود محمرة الشفتين ، وتضاعفت المرارة فى فمى وشيرت بضرورة انصرافى ، وكان سامى مهذباً اذ نهض معى متوجها الى سيارته وهو يقول :

- سوف اهبط بك .



## جميلة مثلها

---

### • المنظر

---

الوعاء الصغير الصدىء يمتلىء ، يرتفع مهتزا مع ارتعاشة الكف المعروفة ، ثم يميل لتنسكب منه المياه القاتمة ، يمتلىء ثم يعلو بطيئا مرتعشا ثم يسكب الى النهر ، يحاول المراكبى العجوز أن ينزح المياه من قاع القارب ، تقيس عيناه ارتفاعها ، متقرفضا غائص القدمين فى مياه الرشح ، محنى الظهر فوق قاربه الصغير المربوط بحبل ليفى بال الى وتد مثبت على الشاطيء قرب اقدامنا واسفل قدمى سمر المهزتين فى توتر عصبى .

بللت الرطوبة ملابسنا فالتصقت بأجسادنا - ولا نسمة هواء - والعجوز فى محاولاته الرتيبة غير المنتهية ، كأنه لا يلحظ عدم نقصان الرشح فى قاربه ! .. من قبل ان نأتى وهو يحاول نزحها بكوزه القديم ، تأملت كفه المعروفة المرتعشة. ، ولاحظت تساوى سطحى الماء داخل وخارج القارب !!

## ● من جميع الجهات

فجأة زام سمير ساخطا :

- غير معقول !! عبث ما يفعله هذا العجوز المعتوه !!

ثم صاح مناديا :

- يا ريس ، يا ريس الا تلاحظ ؟ ! ماتنزحه يتسرب

ثانية !! كف عن هذا ، كف .

نظر اليه العجوز متأنيا ثم عاد الى فعله فزاد حتى سمير  
وأدار مقعده بحركة غاضبة معطيا ظهره للمراكبي ، أحسنى  
الرشفة الأخيرة من قهوته ثم عادت الهزة المتوترة في قدميه ثانية .  
ومنذ جاء الى جلستنا لاحظنا ضيقة ، سألناه عما يحنقه فانكر  
ذلك بطريقته الهازئة :

- أنا على العكس تماما ، فقد نما الى علمي هذا الصباح  
من عليم ببواطن الأمور ، ان الحياة جميلة ، الحاضر فيها  
أفضل من الماضي ، والمستقبل أكثر اشراقا من الحاضر ،  
أبلغني بذلك الرجل ذو المقعد الوثير الدوار ، ولذلك تروني  
متفائلا ، وهانذا ابتسم .

ثم وضع ابتسامته على شفثيه ، ولم نعلق على كلامه اذ  
كان صوته قد تهدج ، وكنا نعرف مشاكله في العمل ، طلب منه  
رئيسه في الجريدة ان يكف عن النغمة الزاعقة في مقالاته ، وأن  
يكتب مثلما يكتبون ، فرفض سمير ( وقال لنا : كيف أكتب  
مثله وأنا لست هو ؟ ! ) .. فاتهمه رئيسه بانه يكتب كلاما  
لا يقرؤه احد ( وقال لنا سمير : أولا ليس عنده دليل على هذا  
الزعم ) ! ( وكان منفعلا فلم يقل لنا ثانيا ) .. وقال لرئيسه :

— اننا لو نصبنا منصة عالية في اوسع ميادين القاهرة ،  
ووضعنا من فوقها احدى الفوازي وتركناها ترعش اردادها  
فان الميدان سيمتلئ فوراً بالناس ، وسيتعطل المرور طالما  
هذه المرأة تهز وسطها ، فهل تريد منى ان اهز وسط قلمى ؟ !

وقال لنا :

حملك الرجل نحوى ثم ادار مقعده الوثير الدوار ،  
فارئيسى مقعد وثير دوار استخدمه كى يعطينى ظهره ، وكما  
كرهته من وجهه فقد كرهته من قفاه ، اننى امقته من جميع  
الجهات .

ثم ظل فى عصبيته حتى نقل مقعده وجعل ظهره الى  
المراكبى ، ولم يتكلم وتركناه فى صمته .

### ● المياه الراكدة

اما فريد مبروك فقد مكث وقتا يرمق سمر بنظراته الرصينة  
( كنا نفيظه ذاكرين انه يبالح فى رزاقته لتعويض القصر فى  
قامته ) ثم اخرج من جيبه جواز سفره وقلب صفحاته وتأكد  
من وجود تأشيرة الخروج فى احداها ، اقلقه فى عناية واعاده  
الى جيبه ، وكانت جلستنا فى الاصل لوداعه بسبب قرب  
هجرته .

نظر الى سمر ثانية ثم الى المراكبى ومحاولاته غير  
المجدية ، ثم تاهت عيناه الى مياه النيل شبه الراكدة ، ورايت  
على وجهه مسحة اسى ، وبدا واضحا عزوفه عن الكلام :

## ● نزوة عابرة

هتف اسامة :

- بالأمس فقط نجوت من وطأة الامتحانات والليلة احب ان اسمع كلاما عن العشق والعناق . . وهذا الرجل القادم يحب .

تلفتنا خلفنا فراينا حسين يهبط الى الكازينو في بطء ، وأشعة الغروب تعطى وجهه لونا شاحبا ، وكنا نعرف أين له قصة حب مع فتاة لطيفة قمحية اللون طويلة القامة ، ظل يعاند حبها ويقاومه لفترة وانتهى بان نوى الزواج منها رغم قراره السابق بعدم الزواج نهائيا .

بادره اسامه :

- انت لمسة النور في هذه الجلسة القاتمة ، جدثنا ايها العاشق عن حبك العظيم .

افتعل ضحكة قطعها ثم قال :

- انسوا كل ذلك ، كانت نزوة خرجت منها مستعيدا حريتي .

دهشت وسألته ان كان يقصد انهما قد افترقا ؟ ! . .  
فارتجفت وجنتاه ويبدو انه فشل في افتعال ابتسامة اخرى ، ويظهر انه عاد يقول انها كانت نزوة عابرة . لكنى اقتربت منه :

- ما الخير ؟

زاغت نظراته .

- ودعتها بالأمس .

— أسافرت ؟

— وداع الفراق

همست محتارا :

— يقينى انك احببتها ، فماذا حدث ؟ !

ارتعش الثقاب فى يده وانظفا دون ان يشعل سيجارته :

— ادركت اننى لن اسعدها

— وحبكما ؟

— كان سيتبدد مع وطاة الأيام

وضع الجرسون امامه كوب ليمون نظر اليه ولم يتناوله ،  
وعندما حاول العودة الى الحديث اختنق صوته . . فتركناه  
لصمته الحزين .

### ● بعيدا عن الشرق الأوسط

طلب اسامه سيجارة فقدمت له واحدة ، رأى ماركها  
فرفضها قائلا :

— هذا هو النوع الذى يفضله أبى .

ثم التقط واحدة من علبة حسين ، بينما امتدت يد فريد  
مبروك لتحسس جواز السفر فى جيبه ، وعيناه لا تتركان مياه  
النيل ، حيث امتد ظل الكوبرى فوقها والشمس قد زاد ميلها  
ناحية الغرب .

سيطر الصمت على الجلسة عدا تقيق الضفادع وهمسات  
خافتة لبعض الجالسين عن قرب .

فاخذ ضجرى يتزايد ، لذلك تنفست ارتياحا عندما وصل  
حجازى ، أخيرا جاء ظريف الشلة الذى لاحظ اغتمام حسين ،  
ولما عرف السبب عاتبه مازحا :

- احزين لأنك لن تتزوج ، كان الله فى عونى أنا وقد  
نجحت وتزوجت حبيبتي !!

ضحكت واسامه معه ، لكن حسينا لم يتبدل ، وأبتسم  
سمر . . وعندما انضمت الينا سعاد وطفلتها خرج فريد مبروك  
عن رصانته لينهمك فى مداعبة الابنة ، بينما حاول اسامة أن  
يفتح حديثا عن الشرق الأوسط فلم يتجاوب معه أحد .

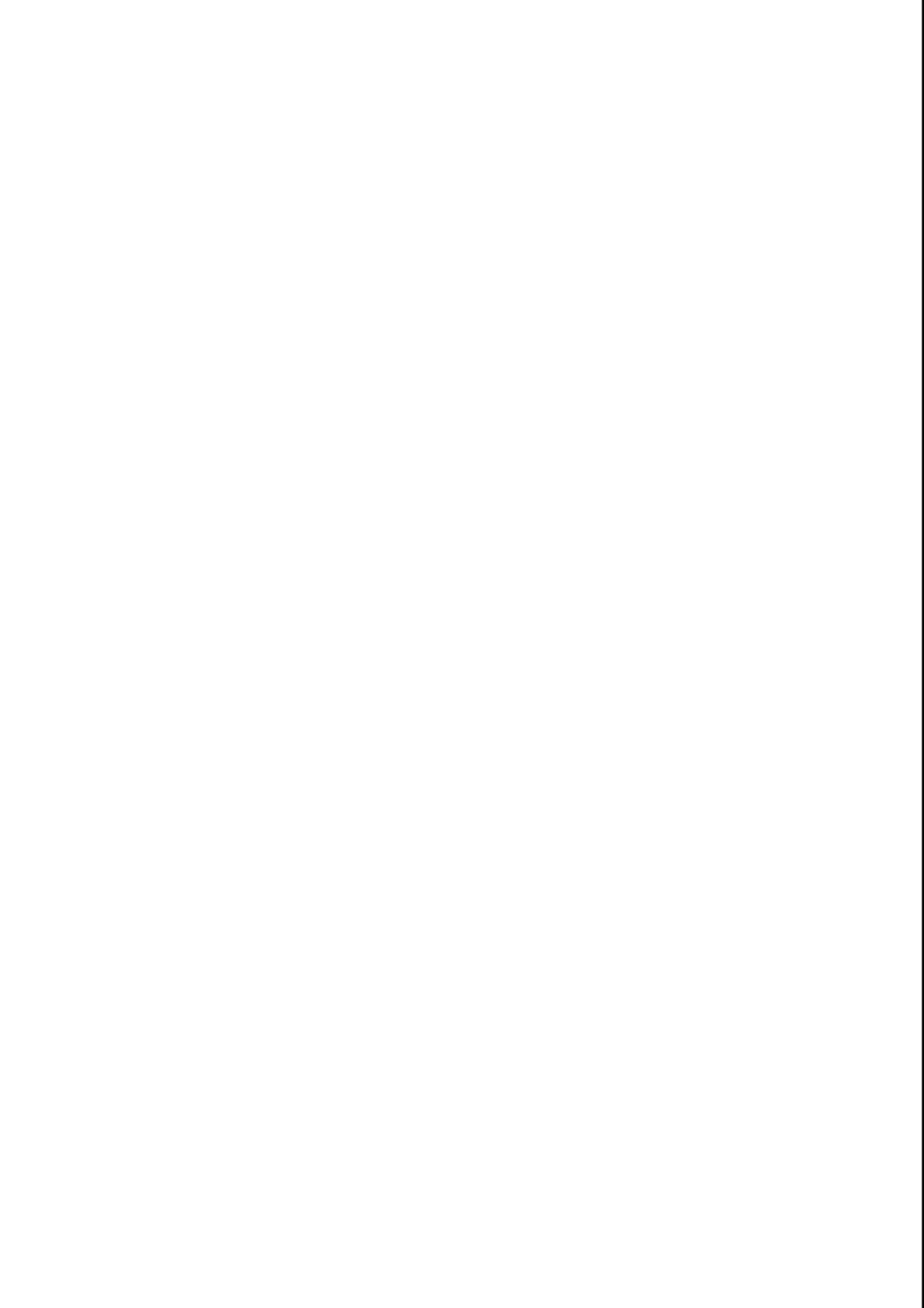
### ● بين قوسين

عندئذ صاح حجازى :

- سوف أخفف عنكم هذا الجو الكئيب بحكاية مدهشة .

قال :

- لزوجتى هيام رغم أنها زوجتى ! ملاحظات ذكية تفاجئنى  
بها من حين لآخر ، ومنذ أسبوعين اخبرتنى باحدى هذه  
الملاحظات العجيبة ، قالت انا نستيقظ كل يوم فى الصباح  
الباكر ، ندخل الحمام وتتناول فطورنا على عجل ، ونرتدى  
ملابسنا فى هرواة ، وعيوننا ترقب الساعة من لحظة لأخرى  
فى عصبية ، ثم نهول خارجين والنوم لم يفادرننا لتزاحم مع  
باقى الناس عند ركوب الأتوبيس ندفعهم ويدفعوننا ، متوجهين  
الى مقasar أعمالنا حتى لا نتأخر عن التوقيع فى دفتر الحضور  
دقيقة واحدة والا كان لفت النظر والتعرض للخصم من المرتب  
وبعد هذه الجهود الجبارة نتنجح فى الجلوس الى مكاتبنا .



تعمل به ، وبالفعل رصدوا المبالغ اللازمة للطلاق من الخارج والداخل ، اذ ان داخل المبنى صار متهدما ومثيرا للاكتئاب ، وكالعادة نلكت الأمور حتى نفلت الأموال بعد طلاء الجدران الخارجية وحدها !! وظل الداخل على حاله !!

قلت معلقا :

— وما هو العجب في ذلك ؟ ! هاكم قاعدة أخرى : سر من رأى واكتاب من دخل !

### ● وود النيل

سأل فريد مبروك سعاد عن أحوال زوجها ، وان كان مازال قويا جسورا ام أن الشيخوخة المبكرة قد لحقت به ؟؟ فهزت كتفيها في غير مبالاة :

— لم يعد الرجل الذى كان !

دهشت ، وكنا بين لحظات الليل والنهار :

— لكن راتبه زاد فجأة بقفزة واسعة ؟ !

مطت شفتيها ثم تلعثمت باحثة عن كلمات ملائمة لم تقلها وانما تشاغلت بطفلتها التى انزلت من مقعدها متوجهة الى حافة النهر .. فنهضت سعاد وسحبته من كفها محذرة اياها من هذا النهر الذى يبتلع البنات الجميلات !! .. ثم التقطت حقيبتها من امامنا وهى تقول :

— سئمت طفلتى منكم ، سأختلى بها على ترابيزة خالية .

ومع هبوط الليل غادر المراكبى العجوز قاربه ، وماء الرشح كما كان ، وتحامل صاعدا في بطء نحو الشوارع ، وزاغت .



عيناى الى المياه ، كسر السد العالى من حدة الأمواج ، فصارت صفحتها قريبة من الركود ، وموجات واهنة تتلجلج في موضعها مخفية اتجاهها ، فسكنت انعكاسات الأنوار ، وسمعت تنهيدة بجوارى ، ولما رأى حجازى ان سمر وفريد مبروك واسامة وحسين قد سهموا راغبين عن الكلام ضاع منه مرحة ولزم الصمت كذلك .

### ● احاول جاهدا وبكل طاقتى

ومع ركود الماء والهواء تحول تقيق الضفادع وحديث التراييزات المجاورة الى أصوات مبهمه غير واضحة ، تباعدت ليحل محلها صوت صديقتى منى ، ثم بدأت أرى صورتها ووجهها الهادىء اللطيف ، فراعنى فيه أسى عميق يطل من عينين واسعتين قليلى الانغلاق .

وكانت قد زارتنى فى مقر عملى - بلا مساحيق كمادتها - سحبت مقعدا وجلست قرب مكتبى ، وقلت لنفسى باننى على استعداد للارتباط بها . وعندما تكلمت كانت فى غاية الهدوء ، حدثنى عن نيتها فى طلب اجازة طويلة من عملها ، فقلت لها ان هذا غير مضر ، ازدردت قرص الصداع ثم اعربت عن رغبتها فى الرحيل الى مكان لم تحدده بعد . ثم ظلت تتأمل كوب الماء وهى تحدثنى عن فيلم عجيب شاهدته مؤخرا ، ولخصت لى حكايته ، بان البطل وهو فيلسوف وقور تفاهم مع زوجته اللطيفة التى تحبه ، واتنقا على الانتحار ، وبالفعل نفذا فكرتهما فى شجاعة كاملة ، فاماتا اطفالهما الثلاثة بأقراص منومة ثم انتحرا بعد ذلك لينتهى الفيلم .

رق صوتها الخافت في عذوبة آسرة :

– كانت اللقطة الأخيرة جميلة بديعة بالحزن ، جميع  
الأسرة مستلقية في طمأنينة ، الأب والام وفوق وجهيهما مسحة  
من ابتسامة وادعة .

ترفرت لحظات صمت ثم سألتني فجأة :

– ألم تفكر في الانتحار يوما ؟؟

تحدرت في الاجابة . قالت في هدوء :

– عن نفسي فقد راودتني هذه الفكرة اكثر من مرة .

قلت متصنعا الوقار :

– ان اكثر الناس تحدثنا عن الانتحار هم اكثرهم تمسكا  
بالحياة .

تمتمت مستاءة في هدوء مقلق :

– أرجوك لا تدعى الحكمة ممي !

فأخذت اصابعى تعبت في الأوراق أمامى ، وشعرت  
بساقي تهتران في هزات عصبية ( وشعرت بها تراقب وجهى ،  
لكنى لم انظر اليها ) . . تذكرت هدوء صوتها فارتعت بشدة  
وأخذت طوال باقى زيارتها القصيرة أحاول جاعدا وبكل طاقتى  
اقناعها بأن جميلة مثلها يجب أن تعيش .

### ● على الرغم

تنهد حجازى ثم قال لفريد مبروك بصوت واثق :

– الأکید المؤكد والذى لاشك فيه ، ان هذه الجلسة  
سوف تذكرها كثيرا في غربتك ، وان هذا النهر سوف  
تشتاق اليه اكثر .

## للذكرى

كانت الشمس نائمة واهل البيت لم يستيقظوا بعد عندما  
صحا الجد من نومه ، فقام بترتيب سريره ، ويروي زرعة  
اللبلاب في الأضيص الكبير منزعجا من اوراقها الذابلة ، ثم تشاغل  
بتأمل عسكري الداورية في نهاية نوبته وبعض المسرعين الى قطار  
الفجر .

وعندما علت الشمس وفرشت الطريق ملا الجد ساعة  
الحائط وكانت السادسة والنصف تقريبا فقدمها نصف ساعة  
كى يوقظ اهل البيت ، لكنهم كانوا يعرفون لعفته فاستيقظوا  
حسب ساعاتهم الخاصة : الابن وزوجة الابن التي اخذت اللبن  
من البائع وقامت بغليه ، بينما الجد يوقظ حفيذه الذى كان  
يحب ملازمته ويرى فيه نبوغا مبكرا على ولد مثله فى العاشرة .

وعندما ملأت السيارات بدخانها وضجيجها الشارع العمومى  
كان الأب والإم قد توجهها الى عملهما والحفيد قد هرول الى

مدرسته ، فجلس الجد وحيدا يطالع الجريدة بادئا بصفحة  
الوفيات فصفحة الحوادث واخيرا اخبار الصفحة الاولى ،  
ولما فرغ ذهب الى مقهى الناصية وجلس مع بعض رفاقه السن ،  
وتحدثوا عن الماضي وتعجب معهم من الأجيال الجديدة ومن  
غلاء المعيشة ، ولما عبرت جنازة أحد الموتى من امامهم سألوا  
عن اسمه وظلوا يتحدثون عن أصله وفصله وممتلكاته ، وعن عمره  
الذي عاشه والمرض الذي مات به ، غير أن الجد لم يشاركهم  
وقد أحس بانقباض شديد شاعرا بشيخوخته وبثقل أعوامها ،  
فتحامل الى المنزل حيث قبع وحيدا حتى عاد ابنه وزوجة ابنه  
ثم حفيده الذي التقى بكتبه ثم تناول غدائه على عجل وهو  
لا يكاد يجلس في مقعده ليجرى هابطا الى أقرانه اللاعبين أسفل  
البيت متقافزين الكرة فيما بينهم .

بعد صمت طلب الجد - فجأة - من ابنه الاستعداد للذهاب  
الى المصورتى لالتقاط صورة تذكارية تضمهم جميعا ، وحاول  
الابن تأجيل التنفيذ لكن الجد أصر قائلا انه يريد صورة  
للذكرى .. فرضخ الابن على مضض للرغبة الطارئة وقد لاحظ  
رنة الأسى في صوت الشيخ ، وتبرمت الزوجة وكانت مجهددة  
تريد أن تستريح .

لكنهم في النهاية كانوا امام آلة التصوير فوق أربعة مقاعد  
متجاورة : الجد في كامل ملابسه بالكرافتة العتيقة ، والابن  
متضايق وقد اضطر الى مجاراته رغم حرارة الجو ، والزوجة  
مستسلمة والحفيد أكثر ضيقا لا يكف عن القلقلة وقد سحبوه  
سحبا من وسط اللعب مع أصحابه واحاطوا عنقه بكرافتة صغيرة  
لم يألفها من قبل .

نظر الابن الى ابيه فوجده مشربًا بعنقه في جلسة صارمة  
فقلده ، وغمز الى زوجته أن تفعل مثلها ففعلت بعد أن بذلت  
مجهودا كبيرا في تثبيت ولدها على نفس الوضع ، ثم أراح  
الجد كفيه فوق ركبتيه مكملا جلسة التصوير ، ففعل مثله الابن  
ثم الزوجة التي لا حظت هذا التعديل من نفسها ونفذته منتظرة  
أن يقلدهم الولد ، فلما لم يفعل أخذت كفيه بعصبية ووضعتهما  
على فخذيته ، غير أنه أبعدهما ضجرا فأعادتهما وفي النهاية  
رضخ متمللا .

وبعد ان صار الأربعة في وضع التصوير انهمك المصور في  
إضافة لمسات الاضاءة الأخيرة ، وقبل أن ينتهي منها كان زهق  
الحفيد قد تضاعف فتحرك بغية الانصراف ، لكن الأم نهته  
وثبتت وضعه على شاكلة أوضاعهم ، وتوعدته بالضرب ان هو  
تحرك قبل التقاط الصورة ، وعاد المصور يستعد بينما ضيق  
الولد يتزايد واحساسه بخنقة الكرافتة يتضاحم فمد يده في  
عصبية وفكها ، وتوقف المصور مستاء ، واغتازت الأم وشعر  
زوجها بالحرج ، واستفزع الجد هذا الخروج عن الوضع !!

بسرعة اعادت الأم ربط الكرافتة من حول عنق الولد  
وكررت وعيدها له بالضربات ان هو كسر سكون اللقطة .. ثم  
عادوا الى وضع الثبات محاكين جلسة الجد .

وعندما هم المصور بالتقاط الصورة لاحظ التجهم على  
الوجوه فطالب بابتسامات خفيفة .. وفي حذق وضع الجد  
ابتساما من فوق تجاعيده الفائرة ، ثم الابن ، ثم رسمت الزوجة  
ابتسامتها الخاصة ، بينما الحفيد على وشك الانفجار بكاء

وقد تذكر انهم حرموه من لعب الكرة مع رفاقه ، وحايلوه والحوأ عليه طويلا بالابتسام .

وفي الوهلة التي خيل فيها للمصور ان الحفيد قد امثتل وابتسم سارع بلبقظ الصورة ، لكنه عندما حمضها وطبعها وكبرها وجد الدموع تملأ عينيه . . ورغم انه لجأ الى الرتوش الا ان لمعة الدموع في عيني الولد ظلت واضحة الى جانب ثلاث ابتسامات مصطنعة لوالديه ولجده .

## شكاوى ملاك الموت الفصيح

---

- ١ -

الظلام يحيطه من كل صوب ، الصدر يلهث ، وصوت  
المطر ينهمر في الخارج .. قال في بسمة تودد :

- اتعرفنى ؟؟

قربت الشمعة منه : الملبس أنيق ، الملح وسيم ! وانحناءة  
مهذبة كشفت عن سترة بللها المطر .. قال في توجس :

- اتخافنى ؟ !

أطرقت صامتا مداريا لهب الشمعة بكفى عن الهواء  
الساقط .. فهمس في أسى :

- تخشاني اذن !!

شكله ليس كما في الرسوم ، ومازال يلهث - العجيب  
انه يلهث ! - قلت :

- الطابق مرتفع ، لماذا لم تستعمل المصعد ؟ !

نظرة رصينة منه الى الشمعة ذكرتنى بانقطاع التيار  
الكهربائى . برفت عيناه :

- لعلك كنت تترقبينى ؟ !

تضاعف صوت القطرات الثقيلة ، هزرت رأسى منكرا قال :

- لا تفزع ، انها زيارة ودية ، لا اكثر .

تراجعت على مضض مفسحا له الباب .

- ٢ -

الشمعة بيننا فوق الترايبزة الواطئة ، احدثت ظللا لأنفه  
وسوادا فى تجويفى العينين وهبوطى الخدين وبقعة عند الفم -  
صار وجهه كما فى الرسوم - دق قلبى رهبة .. عاد يقول :

- لعلك كنت تترقبينى ؟؟

انكرت بهزة رأس عصبية ، والظلام كثيف خارج الشرفة ،  
وخياله لا ينعكس فوق الزجاج !

عند اول تساقط المطر توهمت سماع ثلاث نقرات فوق  
شيئش الناقدة ، فتحته واجفا فلم أجد أحدا غير المطر الغزير ،  
ثم انقطع تيار الكهرباء وانسحب النور من لمبات المنازل  
والشوارع فشعرت بالتوتر ، ثم دوى الرعد ولم يكن فى السماء  
برق فدام الظلام ، رعد بلا برق فتملكتنى رعشة كبيرة ، وظللت  
أتحسس طريقي حتى ثثرت على موضع الولاعة ثم الشمعة  
التي تنصهر الآن ، فلما سمعت طرقات على الباب كذبت أذنى  
لأنها كانت ثلاث طرقات أيضا ، ثلاث دقائق .



مددت يدي بعلبة السجائر ! -

- سيجارة؟؟

- لا ادخن

- هل أعد لك قهوة؟؟

- لا أشربها

- شاي؟؟

لا أشرب جميع المنبهات

يحافظ على أعصابه !! - ولكن هل له أعصاب؟؟ -  
سألته :

- شيء مثلج أذن؟؟

- المثلجات تتلف الأسنان

ويحرص على أسنانه !! - فهل له أسنان أيضا ؟! - خرج  
صوتي مرعشا :

- فأي شيء أقدمه لك؟؟

- لا نقلق ، مجرد وقت للحديث

- احساس بالملل اذن !!

اشعلت شمعة اضافية فصار له ظلان فوق الحائط ،  
وتعجبت ان كان هو أيضا يشعر بالملل مثلنا .. لكنى جاملته :

- تحت امرك

قال :

٦٥:

( ٥٢ - الوليف )

- فلنبدا بالسؤال التقليدي والكلام يجرب بعضه ، كيف ترى الحياة ؟؟

- الحياة ؟ !

- نعم الحياة

احترت بماذا اجيب ، قلت :

- لا بأس ، وهذا هو الجواب التقليدي

- والجواب الحقيقي

انسال زذاذ المطر متعرجا فوق الزجاج وقلت :

- من اعرفهم مأزومين مهزومين ، ومن لا اعرفهم يتشاكون همسا أو جهارا من مر الأيام

- الجميع ؟ !

أومأت ..

- كل الرجال وكل النساء ؟ !

- نعم .. تقريبا ، صارت الحياة نارا ولا نار جهنم

- غريبة !!

فكرت ان اسأله عن جهنم ان كان قد رآها ، لكنني اكملت :

- المصائب تقع كل يوم ومصائب الغد لم تأت بعد ، واكتظت الأرض بأمراض العصر وهي كثيرة .

- احقنا ؟ !

– منها على سبيل المثال غلاء المعيشة والانفجار السكاني  
وازمات المواصلات والمساكن ، وتناقص الغذاء وتزايد الضجيج  
والدخان والأربئة والحروب .

قاطعنى فى سأم ليكمل فى رتابة :

– ومنها أيضا انكماش الحب بين الناس وطرد الزيف  
للحقيقة ، واحساس الفرد بانه نكرة تحسم جلائل الأمور فى  
غيابه ، وتطاحن الأجيال وقمع الكبار للصغار ، والقنوط وضغط  
الأحذية الثقيلة .

زادت دهشتى ، وزاد ضجره وهو يردد :

– ومعظم الناس تعميهم نفاهات اللحظة الراهنة ،  
ما يسمعونه اليوم تكرر لما سمعوه بالأمس ، وأحدث مشاهداتهم  
تكرر لأقدمها ، ركود ورتابة ، وهذا هو حال البشر ، يتوهمون  
انهم يمارسون دورا وهم فى الحقيقة بلا دور !!

– أنت تعرف كل شيء فلماذا تسأل ؟ ! هذا هو حال  
البشر ؟

فتح كفيه فى حيرة :

– فالمنطقى اذن ان يرحبوا بى ، اليس كذلك ؟ !

- ٣ -

لم أرد وكانت السُّمعة الأولى قد قاربت الدبول فتشافت  
باشعال الثالثة ، ومع ارتعاشة يدي اهتز له ظلًا ثالثًا باهتا ،  
لكنى لم أقدر على تمييز عينيه ! .. وقال سامان شاكيا :

- قبل أن أجيئك قابلت آخرين من شتى الأعمار والأجناس ، قالوا لى نفس كلامك بشبيه عباراتك ، فهل معنى هذا ان جميع الناس تعساء ؟ !

- انها الحياة وغرير من يكابر .

- المتزوجون منهم والعزاب ؟ !

- المتزوجون يعانون السأم والندم وفتور العاطفة وذبول الرغبة ، والعزاب تضجرهم برودة الوحدة وتوهان العاطفة وحصار التقاليد السخيفة لهم .

- ٤ -

هز رأسه امتعاضا وتنبهت الى ان المطر قد كف ، عدا قطرات ثقيلة ظلت تتساقط فى تواتر ممل ، يبدو انها من افريز الشرفة العلوية .. صوت قطرة فبرهة صمت .. ثم قطرة .. ثم ذبلت السمعة الاولى وترنح لهبها وانطقات ، وصارت ظلالة اثنين ، وهمس :

- تلك صورة شديدة القتامة للحياة !

- بل بشعة ، وقد نشرت الجرائد بعض الصور لفتيان ظهرت عليهم دلائل الشبخوخة المبكرة ، فشابت شعورهم وتجعدت وجوههم وانحنى ظهورهم رغم أنهم عند العشرين !

- اعرف هؤلاء الفتيان الشيوخ وقد زرت واحدا منهم ، ولكن هل أنا المسئول عن كل هذا ؟ !

- لا تندهش ان قلت لك ان الحياة صارت هى المرض ، والموت هو الشفاء كمجرى الماء للتائه فى الصحراء .

تشاكى جسده مهتزا :

- فهل تمنون ذلك جيدا ؟ !

ارتبكت وبردت اطرافى ، وكان يحملق بشدة نحوى  
فارتجفت .

- ٥ -

.. بينما النقرات الرتيبة فى الخارج : قطرة .. فضمت ..  
ثم قطرة .. ثم سألنى فى انفعال اليم :

- لم تجبنى : هل انا المسئول عن حياتكم هذه التى  
تسميها فظيعة وكثيية ؟ !

انكرت بهزة رأس متوجسة ، فقرب الشمعة من وجهه -  
ارتجفت - وسأل :

- هل خلقتى مرعبة منفرة ؟ !

انكرت بهزة مرتعشة ، وسمعت قطرة خافتة تبعها صمت  
ممدود .. ثم أخذ يسعل شرقان - هل أصبح معتل الصحة ؟ ! -  
واحضرت له كوب ماء نظر اليه ولم يشرب ، والشمعة ترتجف  
فى يده ، وأنسال المنصهر منها على كفه منزلقا الى الأرض ، دق  
قلبى رهبة لولا انه تساءل شاكيا :

- ان لم يكن هذا او ذاك فلماذا اذن يمقتنى جميع الناس  
ولماذا يرضعون أطفالهم كرهى ؟ !

قلت اعزبه :

- لملك واهم !

تباكى :

- كيف اكون واهما ولقد زرت احد هؤلاء الفنان الشيوخ  
الذين تحدثت عنهم ، وكان كما وصفته مجعد الوجه شائب  
الشعر غائر العينين وفي نفسية منهارة ، ورغم كل ذلك فما ان  
واى حتى اصيب بنفس ما اصابك عند رؤيتى : دعر وانظرات  
كارهة وتحفز للمقاومة ، ولم اكن ابغى منه سوى رفقة سهرة !!

حملق نحوى فلزمت الحذر متراجعا الى ظهر المقعد ..  
والقطرات تتلاشى وانفاسى تتسارع .

- ٦ -

.. ثم اعاد الشمعة فى عصبية فانطفأت ، وبقيت الواطئة ،  
واللفور عاد الظلام الى تجاوبف عينيه وفمه وهبوطى خديه ،  
وناح يشكو ، وانا الهث :

- كيف اكون واهما وانتم ترسموننى فى الصور بتلك  
الهيئة البشعة ، مشوها كالهكل العظمى ، برأس فى شكل  
الجمجمة ، ثم تضعون فى يدي منجل الحصاد الكئيب ؟! كم  
انتم قساة ابها الناس !! كم انتم غلاظ !!

وكان الظلام قد حط ، وقد تهدل كل جسده ، فتصببت  
عرقا باردا ، وضباب رمادى يفضى عينى .

- ٧ -

ثم ساد صمت ثقيل عدا صوت نحيبه الكتونم .. و ..

## دموع

مع اقتراب النهار من نهايته ، سارع الاله رع الذى خلق نفسه بنفسه الى اداء مهمته اليومية ، بأن اغمض عينه المشمسة ، ليعم الظلام فوق أنحاء الأرض . . حيث كان شاب نحيل يتباطأ فى الدخول الى داره ، اذ كان يعرف ان سحارة الخبز خالية من الطعام ، وكان جائعا ولم يكن معه ما يحضر به اكلًا ، ولم يكن فى سراجيه زيت ليضئ المكان فتحسس طريقه الى فرشته واستلقى عليها منهكا محاولا النوم ، لكن معدته الخاوية منعمته ، وحاول أن يشغل نفسه بالتفكير فى مواضيع شتى عله ينسى جوعه فلم يقدر على التركيز ، واخذ يبتهل الى الاله قائلا :

— اى رع يا من خلقت نار الحياة وانهار المياه ، معدتى الخاوية تملأ راسى بالام الصداغ فاشمئنى بمطفك ، انت يا من انشأ الأيام والساعات وجعلت التناسل ، صراخ معدتى يطن فى اذنى فاشمئنى بمطفك وارسل برحمة النعاس الى عينى . .

وظل يتقلب في رقدته متأملا حاله وحال الناس ، وخطرت على باله اسئلة محيرة لم يحسمها بأجوبة مقنعة ، وظال الظلام وظن ان الليل الذليل لن ينجلى ، فخشى ان يكون رع قد أسرف في احتساء جمته الالهية وغفى وغفل عن فتح عينه المشمسة .

لكن هواجسه تددت عندما فتح الاله عينه فتسلل ضوء النهار ، وصاحت دبكة الفجر موقظة الدواب والزواحف ، ورحل سلطان النوم عن اعين الناس فراحوا يفادرون دبارهم ، وعند ذلك هجر الشاب فرشته ، وتوجه الى عمه الكهل ، فوجده جالسا امام داره تحبفا شديدا الشحوب والسمره والتجاعيد ، جلس الى جواره ، وبعد ان حياه وأبدى احترامه سأله :

- يا عمي الطيب ، لماذا خلق الاله الانسان ؟؟

تأمله الشيخ برهة ثم رد في ابتسار :

- لأنه حدث ان بكى الاله رع فخلق البشر من دموعه .

طفحت مرارة الشاب :

- ولماذا لم بخلقنا دون الحاجة الى الطعام ؟ !

ادرك الشيخ ان ابن أخيه لم يوفق بعد في العثور على عمل جديد ، ولاحظ عليه هزال الجوع ، وحز في قلبه انه لا يملك ما يطعمه به .. وهتف الشاب :

- ان كان لا يلد للاله ان يبكى وأن يخلق البشر من دموعه فلماذا جعلهم قراء واغنياء ؟ !

تلقت الشيخ حوله في حذر ، وكان يخاف ان يكون هناك من يتقل الكلام الى مسامع الفرعون الفارشن جناحيه على الوجهين



القبلى والبحرى ، او الى اسماع كهنة المعبد المبجلين الفارقين في خيرات الاله الفانية ، فلم يشأ أن يتكلم .. بينما كان الحزن قد غلب الشباب فسالت دموعه على وجنتيه ، ولما تساقطت فوق ظهر كفه نظر اليها وقال متحسرا :

— اما دموعنا نحن فهى لا تخلق شيئا !!

بعد حين خرج الشيخ عن صمته مخفضا من صوته :

— منفردين لا تخلق دموع البشر شيئا ، اما مجتمعين فيمكنها أن تفعل وأن تغير .

وظن الشباب أن العم قد عاد يتكلم بالاحاجى كماداته كلما شاء انهاء الحديث ، فنهض وسار على شاطئ النيل دون هدف ، وعند حدود المدينة وجد نفسه قريبا من قصر الفرعون المرهوب ، ونلصق بنظرانه الأنسية الى حديثه فرأى الأميرات والوصيفات تحت ظلال ريش النعام ، والشعب باد عليهن ، فحدث نفسه : « لكن الفرعون ليس مثل البشر فهو منحدر من نسل رع وليس من دموعه » .. ثم اضطر الى الابتعاد متعشرا تطارده نظرات الحراس المسترربة .

وبينما أشعة الاله الحارقة تلهب نافوخه ، وخواء المعدة يعصر ماء الرؤبة من عينيه ، اذا به يشاهد الأشياء تفرق في نضوع شديد ، والسماء تنفرج عن أصناف من الطعام لذيدة برائحة شهية — وكان النهر زاخرا بالتماسيح من مختلف الأحجام — وتابع المسير طويلا حتى خارت ساقاه فتوقف وانهار في مكانه وبدنه يرتجف برعشة عجيبة .

وعندما كان زورق الشمس في السماء يسبح بالاله صوب الغرب ، خرج من النهر تماسح كبير نفخ الماء عن جسده

الضخم ، ثم استرخى على الشاطئء مثائباً وهو يرمق الشاب بنظرات كسول ، وقد تجمعت حول عينسه عدة قطرات بدت كالدموع .. وخرجت كذلك من قصر الفرعون محفة ملكية ، يحملها أربعة من العبيد وبداخلها أجمل أميرات القصر ، وكانت تهوى مشاهدة مياه النهر وقد اصطبغت بلهب الغروب ، وقد الف ان تجد المكان خالبا الا من التماسيح ، لكنها هذه المرة وجدت انسانا يجلس في مواجهة التماسح ، والائنان يرمقان بعضهما ، ولاحظت ان التماسح بتشاب وانه في تناؤبه يقترب من الانسان ، وان قرصة هذا الانسان تعكس حزنا مريرا وبأسا كبيرا .

وقد رآها الشاب وهي ترنو اليه في عطف ، وهي توقف المحفة وتنساب نحوه كالطيف الرقيق ، وتداعب شعره في حنان ، فابتسم لها وهو يظن ان ما به حلم لأن جسده كان مازال يرتجف وكأنها رعشة الحمى .. لكنها أخذته الى المحفة التي حملها العبيد الأربعة الى القصر ، وهناك شاهد عن قرب الوصفيات بأجسادهن الجميلة والشبع باد عليهن ، ودخل مخبز القصر وراقته رائحة الخبز ، وزار المطبخ الملكي فوجد من الطعام ما ملاء معدته بأشهى المذاق ، وتمنى لو أرسل بعضا الى عمه النحيف . ثم دخل معصر الجعة ، ورشف قدرا منها وخبم أن لذة مذاقها لا تفوقها لذة انة جمة أخرى ما عدا جعة الاله رع بالطبع .. وبعد ذلك جعلته الأميرة يستحم ويتعطر ، ثم أخذته الى غرفتها الرائعة ، ولاحظ أنها جميلة وقوية وفي صحة جيدة ، وان شذى عطرها الملكي بدبعا .. وعند الفجر نام وهي في حضنه ، وبعد ظهر اليوم التالي استيقظا على مهل ، سارع هو بزيارة المطبخ مرة ثانية حيث ملاء معدته متدوقا من كل وعاء ،

ثم هروا الى معصر الجعة وشرب .. وقبل الغروب لاحظ أن  
الأميرة تتجمل وتزين استعدادا للخروج ، وفهم أنها خارجة في  
نزهتها المقيبية ، وتوقع أن تجد عند ضفة النهر شابا حزينا  
يأثسا فتعطف عليه وتحضره الى قصر أبيها الفرعون الموقر فيفقد  
هو مكانه ، لذلك تجرا وطلب منها عدم الخروج ، واستهولت  
سهوها جراته ، وعندما أصر أمرت عبيدها بضربه ، فتكالبوا عليه  
منفذين ارادتها التي لا ترد ، ثم حملوه الى الشاطئ حيث القوه .

فعادت الرجفة تنتاب جسده المتقرفص ، وملاأت الدموع  
عينيه ، بينما التمساح المثائب يزحف بطيئا ناحيته ، وعندما  
دنا منه انقض عليه بفمه الواسع .. وبعد أن ابتلع جميع بدنه  
شعر بالعطش ، فنزل الى النهر حيث ارتوى ، ثم عاد يسترخى  
فوق الشاطئ وقد تجمعت حول عينيه بضعة قطرات ، بدت  
تحت اشعة المغيب كالدموع الذهبية .. بينما عند أقصى غروب  
الافق كان الاله رع الذى لم يولد ولا يموت يسارع باغماض  
عينه ليعم الظلام فوق أرجاء المعمورة .

## رحيل

### جاءنى الرنين ..

كصوت مبهم فى حلم ، كهاتف من مكان ناء سحيق ، اقترب  
رويدا حتى علا فتقلبت فى نومى ، وتأكدت أنه جرس الباب .

تسالت فى خفة كى لا اوقف زوجتى ، واضأت نور الصالة  
وسالت :

- من ؟؟

جاءنى جوابه :

- أنا ..

لم اتنبه الى رنة الحزن ، وان كان الصوت شبيه صوته .  
فتحت الباب فوجدته :

- اخى الأصفر !!

احتضنته في شوق ، لم يبادلني الحزن وظلت ذراعاه  
متهدلتين الى جانبه .. لكنى رحبت به :

– يا الف اهلا والف سهلا ..

همس :

– اهلا بك ..

صدمتني الأحزان المرتعشة مع رنين صوته .. تراجع  
أتامله لكن زوجتي خرجت من غرفة النوم تلمم ثوبها .. ارتبك  
واعتذر عن إيقافها . كررت ترحيبها وسارت نحو باب المطبخ :

– ساعد لك العشاء ، لا بد أنك جائع .

قال :

– لا . اشكرك ..

قلت له :

– بعد سفرة طويلة يجوع المسافر .

قال :

– بعد سفرة كثيفة تسد شهية المسافر .

ثم توجه زائغ البصر صوب غرفته ، فأسرعت وأضأتها له .  
وقف عند مدخلها متفحفا : على حالها كما تركها منذ سنوات ..  
رفت على جانب فمه نصف بسملة اسيانة ، وساحت عناه الى  
كتبه القديمة داخل المكتبة ، وصورة له خلف زجاجها يضحك  
مرحا وسط زملاء رحلة مدرسية .. ثم تقدم الى الشماعة  
حيث بتلونونه الرمادي البالي ، وتحسس الشرخ في زجاج  
النافذة .. استدار ونظر طويلا الى صورة الكباش الأبيض القافز

الى الهواء من فوق الصخرة الكبيرة - وكان هو الذى علقها -  
تم مال ونظر تحت السرير وسحب التيشبب الجلدى : نفخ  
التراب من فوقه وجلس يخلع نعليه . . ولما صاحت زوجتى  
من الصالة بان انعتاء قد اعد قال :

- ليست لى رغبة .

فجاءت وغمرت له ملاة السرير وظلت تنح عليه بالأكل  
فكرر كلامه بعدم رغبته ، اسمعته بعض عبارات الترحيب  
واستأذنت لتنام وبقيت أنا معه .

استلقى على ظهره ناظرا الى سقف الغرفة ، وكان صوت  
مذياع الجيران يصل الينا واخفا ، قلت له :

- جميل ان تزورنا بعد كل هذه الأعوام . .

اوما بهزة واحدة . سألته :

- كيف حال العاصمة ؟؟

مط شفتيه . قلت :

- عل أحوالك كانت حسنة ؟؟

ابتسامة قانطة عند جانبي فمه . . وساد الصمت بيننا ،  
وسمعت ضحكات كثيرة مصدرها راديو الجيران . سألته :

- هل تذكر ليلى ؟

قرب من حاجبيه . قلت :

- لقد تزوجت وسمنت وصار شكلها بشعا . انقذك منها  
ذلك الذى تزوجها .

ظل عازفا عن الكلام . بعد صمت قلت :

- في الأسبوع الماضي زرت قبر أبينا فوجدته منبوشا  
والعظام مننورة ، وعثرت على آثار أقدام بعض الدئاب او الضباع،  
ولم أجد فائدة من ابلاغ الشرطة .

الصمت لفترة اطول ، عدا الضحكات في مدياع الجيران .  
سألته :

- هل احضر لك الترانزستور ؟؟ في المدياع تمثيلية  
هزلية ..

رفض ذلك . قلت :

- اراك حزينا ؟ !

- .. .. ..

راعنى امتقاع وجهه . كررت :

- ان التمثيلية في المدياع تضحك !!

ان صوته :

- اعمل معروفا . اتركنى الان ..

لم تهن على مفادرتة . اقتربت منه :

- ليس حالك على ما يرام ؟ ! هل احضر لك طبيبا ؟ !

هز رأسه رفضا فاهتز السرير .

- اتمر بأزمة مالية ؟؟

الابتسامة البائسة . هتفت :

- ان كانت النقود فانا في خدمتك .
- تحركت شفطاه لكنى لم اسمع صوتا . سألت :
- ماذا تقول ؟؟
- همس :
- أقول شكرا ..
- أهى مشكلة عاطفية اذن ؟؟
- لم ينطق . ملت نحوه :
- لاشيء يستحق الألم فى هذا العالم .. ان كان حزنك من اجل فتاة غادرة فالجميلات كثيرات و ألف فتاة تتمناك وتسعد بك ..
- خرج صوته مكلوما :
- أرجوك اتركنى الآن ..
- امتاعب فى العمل ؟؟
- هزة عصبية نافية . احترت :
- ان كان المسال والحب والعمل على ما يرام فمن أين تاتى الأحزان اذن ؟ !
- توسل هامسا :
- أرجوك دعنى بمفردى ..
- الا تريد ان تتكلم ؟ !
- .. .. ..



- أرجوك تكلم ..
- .. .. .
- الا تريد ان تقول شيئا ؟ !
- ابتلت عيناه . الحفت :
- ليس لديك ما تقوله ؟ !
- تعب انا . اتركنى وحيدا ..
- قل .. الكلام يريحك ..
- نغد الصبر في صوته :
- اعمل معروفا ..

فتركته يستريح وقلت الصباح رباح .. وقبل ان اطفىء النور شاهدته يتأمل صورة الكباش الأبيض المنساب في قفزه الرشيقه الى فراغ الصورة ، نم القى بكفيه فوق صدره وحملق في سقف الغرفة .

استلقيت الى جوار زوجتى مهموما مكدودا ، ارادت ان تحادثنى عن مشاكلها مع تلاميذها ومع ناظر المدرسة ، فلم ارد عليها .. سكتت حينئذ ثم شكت لى من الباعة ومن الأسعار . وقالت ان كل نىء صار مقرفا ، فلزمت الصمت .. سكتت وقتنا آخر ثم تنهدت ويبدو أنها قالت بان الانسان عجيب حقا سعد الى الفسء ولم يهزم الامراض ، لم أجبها وابتعدت عنها فكفت عن الكلام .. وعدت أفكر فى عزوف أخى عن الحديث وعن الطعام ، وتذكرت أمى وهى تهتف حاتقة : « الولد الشيطان !! غافلنى مرة أخرى وذهب يلعب عند الفجر !! » ..

ثم وهى تطلب منى ان احضره لها . فتوجهت جنوبا ووجدته  
عند المعبد القديم منكوش الشعر يتقافز مع الماعز ويحاورها  
بين الكلا ومن حول اصنام الفراعنة المتهدمة .

انتهى الضحك فى مدياع الجيران ، وبعد موجز الاخبار بدأ  
السلام الجمهورى بعزف ، لكن الصمت عم قبل نهايته ، فبدأت  
اسمع صوت انفاسى المضطربة .. تقلبت زوجتى وسألتنى :

- إيجافيك النوم ؟؟

تهددت ولم انطق التصقت بى موشوشة :

- جربت من قبل وسيلة ناجحة للنوم ، حاولها الآن ..

ثم احاطتنى بذراعيها ومدت أناملها تعبت فى شعر صدرى .  
استدرت نحوها وشممت رائحتها وشعرت بثدييها فى صدرى .  
جامعتها ، وبعد ان فرغت سألتها ان كانت قد تناولت حبة  
منع الحمل ؟ ! فزامت واعطتنى ظهرها وانكمشت على نفسها ..

وعند الصباح توجهت اليه .. فتحت بابه فى هدوء ،  
فوجدته فى نفس رقدته ، محمقا فى سقف الغرفة بكفيه فوق  
صدره ! .. ارتعت : كانت عيناه محمرتين ووجهه شديد  
الصفرة وتنفسه طويلا بطيئا ، والفظاء لم يمس جسده !! ..  
سألته :

- ألم تنم ؟؟

- .. .. ..

توسلت اليه ان يحادثنى :

- ماذا فعلو بك ؟ ! ألا تتكلم ؟ !

ظل ساكنا .

– الا تقول شيئا ؟ !

رمشت عيناه .

– تكلم أرجوك ..

فطلب منى كوب ماء . اندهشت : على الريق ؟ ! .. فكرر رجاءه واحضرته له ، وتحامل في نصف جلسة وازدرد بلعة واحدة ، استلقى بعدها .. وسألته ان كان يذكر ضاربة الودع؟؟ فاتجهت عيناه نحوى لكنه لم يكن ينظر الى ، قلت محاولا الابتسام :

– ضاربة الودع الفجرية التى قرأت لك طالعك ثم أعطتك الحجاب ؟ !

تحركت شفثاه ، لكنى لم أسمع همسة واحدة .. فتهدج صوتى وهتفت :

– ماذا فعلوا بى ؟ ! ماذا فعلوا بك ؟ !

وعندما أغمض عينيه عادنى صوت أمى تصيح متبرمة :  
« لا فائدة في هذا الولد ، غافلنى كمادته وذهب يلعب عند الفجر » !!

امتلات عيناي بالدموع ورايت الكبش الأبيض يسبح بعيدا عن الصخرة السوداء ، وشعره المتهدل يتموج منسابا أسفل ذقنه وبطنه ، وبياضه يروح ويشحب بطيئا ليذوب في بياض الفراغ الناصع .

## النظرة فالابتسامه . . والعمر القصير

---

- مصرى ؟؟

- نعم

ازاحت شعرها الذهبى ، غائصة فى عينى :

- يعجبنى لون عينيك ، أهو بنى ؟؟

- اظن ذلك

اربكتنى زرقه عينها ، مالت نحوى مبتسمه :

- فانت من بلد الأهرامات وأبو الهول ، أهو جدك ؟؟

- من ؟؟

- أبو الهول .

- أبو الهول أسد له وجه انسان !!

- وهل هناك جد أروع من هذا ؟ !

- وهل هناك شفاعة ابدع من هذه ؟ !

سحرتنى حيوتيتها . قلت :

- كان زهوهم الأكبر انهم من نسل الملوك الحكماء

- من هم ؟؟

- جدودى القدماء

نضارة بلا مساحيق ، وصفاء مريح ، وطيبة ..  
سألتنى :

- لماذا تكلمت معى ؟؟

- رأيتك تنظرين لى أكثر من مرة فنشجعت وخاطبتك

- وهل محادثة الآخرين تحتاج الى شجاعة ؟ !

- مجالستك أنت تحتاج الى شجاعة .

- لا بد اننى مخيفة ؟ !

- بل لأنك جميلة وراقية

بسمة راضية ، وعيناها لا تفارقنى ، فهربت بنظرانى الى  
عاملة المقهى والزبائن واكواب الشاى وزجاجات البيرة ، وسمعتها  
تقول :

- امتلاً المكان بدخان السجائر ، فهل نخرج لنتمشى ؟؟

النور الأخضر ، وعبرنا الحديقة الفسيحة ، حيث الزهور  
والنافورات ، والأطفال فى ركنهم الخاص بالمراجيح والزلاقات ..  
قالت :

- تعجبنى ابتسامتك ، لماذا لا تبسّم يوماً ؟؟

- تعجبني عينك ، لماذا لا تنظرين لى دوما ؟؟

واجهتنى بنظرة ثابتة ، متراجعة أمامى بنفس مشيتى ،  
والى أن لامست المقعد الخشبى فجلست ، وجاورتها ،  
واستدارت ، فعدت أهرب من زرقة عينيها .. قالت فى مرح :  
- لا تدع امرأة تنفرد بعينيك طويلا ، الم يحذروك من  
هذا ؟ !

- من ؟؟

- جدودك الملوك الحكماء !!

- أظنهم قالوه فى جلسة خاصة

تشاغلتنى عنى بأحد الأطفال ، راحت تداعبه وتلاعبه  
وتقبله وتلاعبه ، ثم سلمته الى أمه وجاءتنى متوردة ، تقترح  
زيارة أثر قريب .. قالت تغربنى :

- شيدته جدودى البسطاء منذ مائتى عام

لم اتحمس ، قالت :

- الآن جدودى لم يكونوا ملوكا أو حكماء ؟ !

- بل لأن دارنا فى الصعيد له نفس العمر تقريبا

- هكذا اذن ، نسيت انك من مصر !

عيناها .. قالت :

- قبل أن تجالسنى كنت تكتب بطاقة لشخص ما ،  
اكانت لزوجتك ؟؟

- ليست لى زوجة

- حبيبة اذن ؟؟

- صديقة

مسكت معصمى تنظر الى الساعة :

- يمكنك الان اكمالها ، يجب ان اعود الى عملى فورا

- وبعد العمل ؟؟

- ان كنت تعنى ان نلتقى بعد ذلك فانا غير مرتبطة

مضت .. وتسكمت وقتنا دون هدف ، الناس من حولي  
مسرعون ، عدا ثنائيات المحبين ، بالنضارة والصفاء ، وشابة  
عند الناصية حائرة النظرة بين ساعة المعصم والترقب فى اتجاه  
معين ، لاح منه صديقها اليافع ، فاندفعت تقبله ، متدفقة  
وهو واثق .. لاحظت اننى الوحيد الذى يراقبهما ، فشعرت  
بالخجل والبلاهة ، واستدرت منصرفا ، ورحت انتشى بالحسن  
والتناغم ، والتلاؤم بين الناس والأشياء ، جاءت على ذهنى  
شوارع القاهرة فأبعدها على الفور .

مع اقتراب الموعد توجهت الى مكان اللقاء ، جلست انظر  
الى ساعتى مشتاقا ، وعندما مددت يدى الى جيبى وجدت  
البطاقة الناقصة ، فقلت املا الوقت باكمالها ، قرأت المكتوب :

« خطيبتى العزيزة ، اكتب لك بمجرد وصولى ، كما  
وعدتك .... » .

أمسكت القلم افكر ، وتذكرت لقاء الوداع ، وكفى خطيبتى  
فى صدرى ، تصدان رغبتى فى تقبلها ! .. والخيبة فى وجهها

وانا احدثها عن شقتى ، قالت : « غرفتان فقط ؟ ! هذا امر جديد على اسرتنا !! » . ثم صدت رغبتى الصادقة بكفيها !!

تأكدت من هروب الكلمات ، ركنت القلم والبطاقة ، ووجدتني افكر فيمن انظرها ، والتي لم أعرف اسمها بعد ، شاعرا بشوق عجيب اليها وحنين !

احبر وجهي مع بسمه مجيئها ، ولمحت هي البطاقة فتمعنت فيها محتارة :

- تكتبون من اليمين الى اليسار ؟؟

- نعم

- يبدو كالرسم ، هل تأخرت عليك ؟؟

- في موعدهك تماما

تأملت الخط :

- يبدو انك لم تكمل بطاقة صديقتك ؟ !

- خطيبي

- قلت انها صديقتك ؟؟

- كذبت

- واين الدبلة ، الا تستعملونها ؟؟

- مع المفاتيح في السلسلة

- ولماذا الكذب ؟ !



اطرقت خجلا . قالت فى سماحة :

– هل خشيت الا اقابلك الان ؟؟

– اظن ذلك

– لم تكذب اذن ، كنت تحرص على ، وهذه رقة منك

احسست بتجاعيدى الدقيقة تتلاشى

شاهدت رموشها رمشا رمشا .. وضعت امامى علبه

صغيرة :

– كولونيا لبعء الحلاقة

– لى ؟؟

– لن تكون لى !!

ابتسمت مأخوذا . قالت :

– كم تعجبنى ابتسامتك !!

– اشكرك على هذه الهدية الرقيقة

– رقيقة ومأكرة ، كى تتذكرنى بعد حلاقة كل صباح

تأملت شفيتها ، فاشمت خدى :

– وقد تداوم على استعمال هذا النوع

سألتها :

– لماذا لم تتزوجى حتى الان ؟؟

– كدت افعها مرتين ، لكنى فشلت

– أمر مؤسف

– لماذا ؟ ! ان نكتشف عدم التوافق قبل الزواج افضل  
من ان نفجع به بعده .. أليس كذلك ؟؟

– .. !!

– الا توافقنى ان اكتشاف عدم التوافق قبل الزواج  
افضل واصدق ؟ !

– طبعاً طبعاً ..

اشاحت بيدها متذكرة :

– اوه .. نسبت انكم تهتمون كثيرا بالعشاء !!

بعد العشاء ، بدأت الموسيقى بالرقصات الهادئة ،  
البطيئة .. ومعظم الراقصين من كبار السن وعدد قليل من  
الصغار ، الكبار منضبطون تماما مع الايقاع ، خطوة وخطوتان  
حسب القواعد والأصول ، أما رقص الصغار فأربع ايد تحتوى  
جسدين متآلفين .

دعتنى الى الرقص .. واحتوتنى ناعمة ، النظرة فى النظرة،  
ثم الخد على الخد ، شممتنى وشممتها وتساوت حرارة جسدينا،  
الخطوات بطيئة والأحاسيس نشطة ، حلوة متفاهمة .

التهب الايقاع وجن ، فتى أرعن ، فاشتعل جسدها ،  
واتقدت نظراتها ، وخلت الساحة تماما للشباب ، متقاربين تأججا  
ومزاجا ، كأنهم راقص واحد وراقصة .. شرد ذهنى الى  
جلسات المقاهى والشيشة والطاولة ، لكنها اعادتنى هاتفة :

- ابتسم

ابتسمت فلثمت خدى .

وجاءت الاستراحة وجلسنا الى المائدة ، والى احاديث  
التعارف ، عن حياتها وعن حياتى .. وانخطفت السهرة ، من  
رقص هادىء رزبن ، الى لهث صاحب مشحون ، الى جلسات  
ناعمة هنية ، واخذنا الوقت صدقا وتلقائيا ..

\*\*\*

جاءتنى من الحمام كالطيف ، وديعة حانية ، مشتاقة  
كاننى حبيب عمرها ، تؤكد النظرة بلمسة الأمل .. وفى نفس  
الاشراقه كان التدفق ، منها ومنى ، ولهفتها فواحة الأثوثة ،  
وقد نقص طولها بمقدار حدائها المخلوع .

لحظات وامضة وزالت ربكى ، وطافت هى بى الى  
أحاسيس عذبة تقيه ، خالية من التصنع فأشعرتنى كاننى حبيبها  
فى لقاء أول ، عشيقها فى تفاهم متجدد ، زوجها فى شهر العسل ،  
كاننى رفيق سنواتها الحلوة والمره .

فى الصباح الباكر راقبتها ترتدى ، وتزين فى بساطة  
وخفة . القت لى قبلة عبر المرأة ، سألتها :

- متى نلتقى ؟؟

- فى نفس موعد الغداء

تناولت حقيبتها :

- هذا ان شعرت بحنين لى ورغبة

لثمتنى :

– وانا بدورى سانتظرك ان شعرت بلهفة اليك وشوق

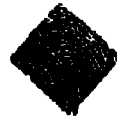
عند الباب قالت :

– اذا لم يجد احدنا الآخر فلا داعى لأن يجهد نفسه في

البحث عنه ..

انصرفت .. وراقبتها من النافذة تعبر الحديقة ،  
وتغيب .. ثم رابت اما تؤرجح طفلتها فوق الأرجوحة ، ثم الطفلة  
بدورها تؤرجح دميتهما ، لتمضى بعد ذلك في أعقاب أمها ،  
ووجدت نفسى اهتف فى اسى : « أين أنت يا شوقى بك ؟؟  
يا شاعر النظرة فالابتسامة فالموعد فاللقاء ؟ ! هاندا قد عشت  
تجربة شهورك المبددة فى يوم واحد ، دون افتعال ، دون وقت  
ضائع ، دون صد كفين » .

بعد الحلاقة تذكرت هدية الكولونيا .. وعلى مائدة الافطار  
اكتشفت ان البطاقة مازالت فى جيبى ناقصة ، واننى لم ادون  
التاريخ فى بدايتها !! .. سجلته ، ثم رحى أفكر ان كان هناك  
كلام يمكن ان أضيفه ، فلم أجد سوى ثلاث كلمات : « الناس  
هنا يعيشون .. »



---

# الأيام التالية

---



## لا يذكر البداية

يلوم نفسه لأنه لم يحدد مواعده في وقت مبكر ، لماذا بعد الظهر واليوم عطلة ؟ !

يعود الى جريدة الصباح محاولا القراءة لكنه لا يقدر على التركيز ، يقرأ طالعه اليوم ويبتسم ، ويركن الجريدة ليتابع خطوات زوجته المنشغلة في شؤون البيت ، لا تعلق بقدميها كثيرا عند السير ، وانبعاجات عديدة أثقلت جسدها ترهلا ..

يسمع صوت « السيفون » ، ثم يرى ابنه الكبير يخرج من دورة المياه وفي يده احدى الروايات ، يتأمل نحافته وابيضاض وجهه ويتعجب . تأتي ابنته الصغيرة لتجلس لصقا به ، تعبت بالجريدة بعض الوقت ثم تترك لخيالها العنان منطلقة في أسئلتها المحلقة المربكة .. على عكس المرات السابقة لا يستجيب لها ، ويضيق بشرئراتها وبحلولها الغريبة التي تقترحها لأعسر المشاكل العالمية والكونية .

يدخل الحمام ليحلق ذقنه . على غير عادته ينظر طويلا الى  
المرأة . يطالعها وجه شاحب اللون وأنف مستطيل ، ويكتشف  
تجاعيد خفية صغيرة تحصر بينها فما لا يعلوه شارب .. وبقعتين  
سوداوين فوق كل منهما عين جاحظة تحملقان نحوه !!

يخرج الى الطريق - حتى اللسان رأى به بعض التشققات  
الصفرة !! أصبحت مفاصل الساق اليسرى تؤلمه - يجد على  
المقهى شاة العجائز المبكرين فينظر الى ساعته ، ويفكر ان كان  
يجلس مريهم ام يسرع الى حفلة الصباح للفيلم الهندي ..

سرعان ما يسود الظلام في صالة العرض ، وتبدأ الجريدة  
الاخبارية . يخرج علبة السجائر ليشعل واحدة .. قال له  
الطبيب : اظمن أنت بخير ، لكنه امره بالاقبال من التدخين ،  
فيعيد العلبة ، يرى في الجريدة لقطة لأحد السفراء الأجانب  
يقدم اوراق اعتماده الى رئيس الجمهورية .. ثم لقطة لصاروخ  
يبيض فوق سطح القمر ليقلع منه نائبة عائدا ، يدهش جدا  
ويثنى في سره على عظمة هذا العمل .. ثم يشاهد فقرة مصورة  
في هيئة الأمم المتحدة لم يفهم تماما المقصود منها .. وبعد ذلك  
تطالعها بعض الوجوه الصفرة فيرجح أنهم اما من اليابان او من  
الصين تم يكتشف أنهم من فيننام ، فيعرب للجالس الى جواره  
عن شدة اعجابه بكفاح هؤلاء الناس ، لكن جاره بهز رأسه في  
اقتضاب وعزوف عن الكلام .. ويتعمر بضيق شديد عندما  
ينتهض هذا الجار لينزوي في اقصى الصف ! .. ويجد نفسه  
يشعل سيجارة رغما عن اوامر الطبيب ورغما عن تعليمات ادارة  
السينما .

بعد الاستراحة والاعلانات يبدأ الفيلم الكبير . قالوا له في  
المكتب : انه فيلم ظريف بالألوان الطبيعية ، وانه من أطول



الأفلام الهندية ، وبه رقصات مسلية واغان كثيرة ممتعة الى جانب أنه يحكى عن حياة بعض المساكين الشرفاء .. وطوال مدة العرض ، لم يمنعه استمتاعه بتكييف الهواء من أن يحزن في حرارة وصدق على فقراء الهند حزنا شديدا .

يخرج من السينما وقد قرب موعده المنشود . يستقل إحدى سيارات التاكسى مخبرا السائق عن وجهته ، يستعبد السائق اسم المكان فؤكده له .

في الطريق يتساءل : متى كانت اول مرة فكر فيها في هذا المشروع ؟ ! لكنه يأخذ في مراقبة السائرين : تسبقهم الأقدام اليمنى مع الأيدي اليسرى ، ثم تتبادل معها تلقائيا الأقدام اليسرى والأيدي اليمنى ، يتكرر ذلك دائما طالما هم سائرون!! . يتسم ابتسامة نصفية تكتمل عند رؤيته لبعض الأطفال يلعبون .. وتمتلىء نظراته بالاعجاب من بعض النساء الصغيرات ، يهمس في شيء من الحسرة والأسى : أنيقات وفتيات ... وبعد قليل يضيق صدره من رؤية بعض الأماكن القذرة البائسة .

يخف ضجيج المدينة .. ثم يحيط الخلاء بالطريق من الجانبين . وقال الطميب : عليك ألا تجهد اعصابك كثيرا ... ثم يترامى عن قرب المكان المنشود ، خفيضا كالحا مهجورا .. فمتى فكر في الابتعاد عن مكان الأجداد ؟ !

عند نهاية الطريق يتوقف به التاكسى ويسأله السائق ان كان سيعود فيرد في غضبة مباغثة :

— طبعا يا اخى ..

— آسف يا سيدى .. أقصد هل ستعود سريعا حتى  
انتظرك ؟؟

— كما تحب .. لن اغيب طويلا ..  
وتدوس قدماه فوق التراب .

عند نهاية الحارة الترابية بجد المفاول فى انتظاره مبتسما  
مرحبا ، يتقدمه ليريه الطريق . لا احياء غيرهما والشمس حامبة  
والظلال قليلة ، معظم البنايات من حوله واطية لا تعلق كثيرا عن  
سطح الأرض ، بعضها عال فاخر الى حد كبير .. طليت الغالبية  
بالجير الأبيض وزركش القليل فى بذخ ظاهر .. يتسم فى داخله :  
الفوارق الطبقيّة حتى الرمق الأخير ! .. يتجهم وجهه فى قسوة :  
التقطيبة هى المظهر الملائم لهذا المكان .. لكن كيف بدأت فكرة  
هذا المشروع ومتى كانت أول مرة ؟ !

يتوقف المفاول فيسأله :

— هنا ؟؟

— نعم . موقع ممتاز كما ترى .

يتأمل مساحة الأرض الصغيرة الخالية ، تقرب من مساحة  
غرفة الأولاد .

يندهش :

— لكنها لن تكون فسيحة ؟ !

— بل فسيحة بما يكفى يا سيدى ..

ربما .. وقد تكون غرفة الأولاد بادية الضيق لازدحامها  
بالأثاث . المفاول يسأل :

- وای لون تفضل ؟؟
- ماذا ؟ !
- ابيض !م ازرق ام سماوى ؟؟ .. جارك هنا جعل اللون في الداخـل بنيا ..
- البنى كئيب ، انا ارتاح الى لون السماء .
- اختيار ينم عن الذوق .
- اشكرك .
- يدون المقاول ملاحظاته في نوتة صغيرة نم يقول :
- لكن جارك هذا طلى السقف فقط بلون السماء ..
- أريد السقف والجدران ..
- فهل تريد أية رسوم على السقف ؟؟
- ما الداعى ؟ !
- هو رسم بعض النجوم وأربعة ملائكة يتسمون . مسألة مزاج ..
- أريده بلا رسوم .
- فهل تريد بعض التماثيل ؟؟
- للملائكة أيضا ؟ !
- يمكن أن تكون للملائكة ، ويمكن أن نجهز لك تماثلا نصفيا أو بالحجم الكامل .
- لا داعى ...

... فسوف أتواجد بنفسى .. وعندما كان طفلا سمع  
أخاه الأكبر يقول :

(( ماما ماتت ، ماما ماتت )) .. ثم رآه ينتحب باكيا فبكى  
مثله ، وبعد ذلك صعد الى سطح الدار وطارد الدجاجة الفيرومى  
.. لكنه بعد سنوات انفرد بالبنت فتحية فزئقها فى أحد أركان  
السطح وأخذ يقبلها ويصيح بشديها الصغيرين ، وقاومته يومها  
بضراوة ، لكنها صعدت معه فى الأيام التالية .

المقاول يسأل :

- وفى الخارج؟؟ أى لون تفضل؟؟

- الأبيض .

- بالزيت أم بالجير؟؟

- الأفضل بالرخام .

- يكلف كثيرا .

- أبيض بالزيت .

- عظيم .. واللافتة؟؟

- أبة لافتة ؟ !

- لابد أن نضع لافتة بالاسم . جارك هناك كتب عدة

آيات على الرخامة وتحتها حفر اسمه ..

- فلتحفر الاسم فقط ..

يفاجأ بوجود كلب أسود كبير ، يتودد اليهما بهزات ذيله  
المتسخ بالطين ، يلقيه المقاول بطوبة ثم يعود ويبتسم ابتسامة  
العمل :

- اعطنى الصيفة من فضلك حتى اكلف الخطاط  
بتجهيزها .

- فلنقل مثلا .. فليكتب اسمى فقط ، لا اكثر ولا اقل .

متى كانت اول مرة فكر فيها فى الابتعاد عن مكان الأجداد ؟ !

- باللون الأسود ام المذهب ؟؟

- الأسود اليق .

- تريده بالخط الكوفى ام بالنسخ ام بالرقعة ؟؟

- بالرقعة .. اعتقد بالنسخ افضل .

- اجمل واسهل فى القراءة ..

- السهولة مطلوبة فى هذه الأحوال .

يرمق المقاول وهو بومىء فى جدية ، ثم تحول عيناه الى  
امراة وحيدة فى سواد ، تقف خاشعة فى مواجهة احد الأبنية :  
زوج ام ابن ام أخ ام حبيب ؟؟ .. يشرذ ذهنه الى زوجته : من  
سيكون الأول ؟؟ لا توحى تجاعيدها ونسبة الشيب فى رأسها  
بأنها سوف تكون البادية .. يهز كتفيه : العلم فى الغيب ، وعندما  
كان صغيرا كان يظن أن الموت يأتى للآخرين فقط ، اما الآن ! ..  
( فجأة يجد نفسه وقد فارق الحياة توا ، وهو مكفن فى ثوب  
ابيض وزوجته تبكيه بكاء مرا وهى فى لباس يشبه السارى  
الهندى ، بينما العمال فى الساحة يعدون الحطب والوقود استعدادا  
لحرق جسده ، بينما واحد منهم يتأمل جسد الأملة الحزينة ) .

يعود الى وجه المقاول ليجد أن ابتسامة العمل قد عادت

الى وجهه وهو يقول :

- نحن ننفذ بكل دقة طلبات الزبائن يا سيدى ..
- هذا واضح ..
- فلا تتضايق من كثرة أسئلتى ..
- أبدا أبدا .

( ثم يرى زوجته تبكى حزينة أمام قارورة صغيرة بها رمداد كل جسده ) .. الا ان المقاول بسأله :

- فهل تحب ان نزرع حوضا صغيرا من الزهور امام الباب؟؟

- لا يضر .. ولكن من سيعاه؟؟

- سندبر ذلك .

- حسن .

- فأى نوع من الزهور تحب أن نزرع؟؟

- لا افهم فى الأنواع ، أريده وردا بألوان جميلة ورائحة عطرة .

- هذا له سعر وهذا له سعر ، لكن الفرق ليس كبيرا .

- لون جميل برائحة عطرة .

- سنفعل لك ذلك ، فهل تريد نباتات متسلقة؟؟

- لبلاب؟؟

- لبلاب أو فضيية ، فى شهور قليلة يمكن لشجرتين أن تغطى أوراقهما كل البناية .

يومئذ في ملل : الخضرة طيبة . يتابع النوتة وهى تعود الى الجيب .. ويذكر نفسه بالمانجو ، عليه ان يتناع - وهو في طريق العودة - بعضا منها للأولاد ، زاد سعرها كثيرا عن سعر آخر مرة اشتراها ، لكنه سوف يتناع منها ما يكفي أسرته ، الأولاد يحبون المانجو ، خاصة البنت الصغيرة ذات الأسئلة المربكة ، تظل في شرفة البيت تراقب الشارع حتى تراه قادما فتلهل بأعلى صوتها : « بابا عاد .. بابا عاد .. » .

يرجع الى وجه الماويل فيجد ابتسامته التى لا تتغير ، وفمه يقول :

- سوف ننفذ كل ذلك على اكمل وجه يا سيدى ..

( ومن فوره يتخيل البناء مشيدا مطليا وقد ثبتت الالفة باسمه واسم أسرته ) - ورأى قفصه الصدرى وهيكله العظمى فى صورة غريبة ، فلما أنزل صورة الأشعة عشى الضوء عينيه ، وعندما استبان له وجه الطبيب رآه يتسم قائلا : « اطمن . عليك فقط بالاقبال من التدخين والابتعاد عن الاجهاد وتجنب الترفرة ومناطق الضجيج » - فقط !!

يشعر بانتقباض قاس وبدوار خفيف . يبادر قائلا :

- اشكرك . يمكننى الآن ان أمضى ..

- سؤال آخر من فضلك

- تفضل ؟؟

- القفل ؟؟

- ماذا ؟ !

- طبعا نشتري للباب قفلا ثقيلا متينا ؟
- وما الداعي ؟ !
- لصوص هذه الأيام يتاجرون في كل شيء .
- يبتسم مستسلما مزمعا الانصراف :
- لن يسرقوني !!
- غير أن المقاول يقطب في جدية :
- سيدى .. كلية الطب تقع قريبا جدا من هذا المكان .

نوفمبر ١٩٧٠



## الوباء الرمدي

كان ما رأيته غريبا حقا !! لم أر مثله من قبل ، رغم أنني  
رأيت الكثير .

كنت منصرفا عقباً أن أنهيت زيارتي للمدرسة الثانوية  
بالمدينة ، وحدث أن دق جرس الانصراف ، وبدأ التلاميذ  
يهربون خارجين من فصولهم صاحبين مهلين . . لكنني لاحظت  
أن تلاميذ فصل ثانية علمي خامس كانوا أسرع التلاميذ هرولة ،  
فراذى ، وفي هدوء مريب !! وقد تشاغل كل واحد منهم عن  
باقي زملائه بترتيب كتبه !! . . وليس هذا هو الأمر الغريب الذي  
لفت نظري ، العجيب حقا أن معظم تلاميذ الفصل كانوا يضعون  
فوق عيونهم نظارات سوداء !!

لأول وهلة ظننتهم مكفوفين الا أنهم كانوا يعرفون طريقهم  
جيذا . . قلت ربما « وباء رمدي » ، سألت الإخصائي  
الاجتماعي فقال :

- هذا الفصل الآن اهدأ فصول المدرسة ..
- وقبل ذلك : هل كانوا يضعون هذه النظارات السوداء ؟؟
- على الاطلاق ..
- مددت زيارتي لعدة ايام وقد صممت على معرفة الحقيقة ،
- فتقمصتني شخصية المحقق ..

### ● ماذا قال الطالب فتحي عمار ؟؟ :

- سر الباب . اندفع الناظر . كنت اجلس في الصف  
 الأمامي . وقفنا . رأيت خدشين في ذقنه حديث الحلاقة .  
 جلسنا . قفز بطنه نحوي بشدة ( في البداية قال : قفز كرشيه  
 نحوي بشدة ، ثم استدرك وقال : قفز بطنه ) فسمعت صوته  
 نهرنا في حدة : « ثانية علمي خامس . كل المدرسين اشتكوا لي  
 منكم » . ارتج بطنه متذبذبا منتفخا مسحوبا حسب عنف  
 التثائم . دار علينا بضربنا بالخيزرانة . واحدا بعد الآخر .  
 أربع ضربات اكل تلميذ . قسمت الضربات ، اثنتين على الكف  
 اليسرى واثنتين على الكف اليمنى . كان في عنفوان قوته معي  
 لأنه بدأ بي ..

- ما سبب هذا العقاب في رأيك ؟؟

- لا اعرف

- لا تعرف ؟ !

- حتى الآن لا اعرف

- لماذا تستخدم هذه النظارة السوداء ؟؟

– لأنها تناسب وجهي .

– ألم نحاول أن تسأل عن سبب هذا العقاب ؟؟

– لماذا أسأل وأنا قد عوقبت بالفعل ! .

● ماذا قال الطالب حامد الأشقر ؟؟ :

– غاظني أن الناظر يضربني بلا سبب ، مددت له يدي ؛ وكان قد ضرب صفا كاملا ، ضربني مرتين على كفي اليمنى ، وانتظر أن أنقل البه كفى اليسرى ككل التلاميذ لكنى لم أفعل . ضرب الثالثة فلم أغير كفى وظللت مركزا عيني في عينيه فهبطت الضربة الرابعة عنيفة مفرقة عصبية ..

– آه .. حسن ..

– ما هو الحسن في ذلك ؟ !

– لا شيء ، ولكن ما سبب كل ذلك في رأيك ؟؟

– قال ان المدسين قد شكونا اليه .

– ولماذا فعلوا ذلك ؟؟

– لا اعرف .. لا اعتقد ..

– سؤال آخر : لماذا صممت على تلقي الضربات الأربع على كف واحدة ؟؟

– قبلي صرخ الولد أشرف حتى من قبل أن تلمسه العصا ، تماما كالأطفال ، وأردت أن أثبت للناظر أن هناك رجلا .

– هل كنت تستعمل هذه النظارة ؟؟

– ماذا ؟؟

– هل كنت تستعمل هذه النظارة من قبل ؟؟

– لا ..

– لماذا اشتريتها ؟؟

– أعجبتني ..

– الا يوجد سبب آخر ؟؟

– ابدا .. أعجبتني فاشتريتها .

### ● الطالب عماد اسماعيل :

– عندما جاء دورى فى الضرب رفضت مد يدي . قلت :  
ان القانون يمنع الضرب .

التفت الناظر الى المدرس وقال له : « هذا الولد يتحدث  
عن القانون !! » .. ثم اوقفنى عند السبورة فوقفت . كانت  
حصة كيمياء عن المركب والمخلوط ..

– وهل هناك فرق بين الكلمتين ؟؟

– طبعا .. المخلوط يتكون من عدة عناصر ليس بينها  
تفاعل ، ويظل كل عنصر فيه محتفظا بخواصه دون تغير ..  
اما المركب فهو نتج من التفاعل الكيمائى بين عنصرين أو أكثر .

– فهتمت فهتمت ، المركب فيه تفاعل اما المخلوط فمجرد  
تجاود .

– شيء مثل هذا . المهم أن الناظر بعد أن انتهى من ضرب كل الفصل امرهم بالوقوف ثم اختار الخمسة الطوال فيهم وأخرجهم الى جوارى .. لكن المدرس همس اليه فعاد واستثنى من بيننا رسمى الديق ، اسمعت عن والده ؟؟

– سمعت ..

– قلت للناظر : لماذا نحن ؟ ! .. قال : أنتم مفصولون .. قلت له : هل لاننا طوال القامة ؟ ! قال : اخرجوا .. قلت له : ولكن رسمى الديق أطول وأعرض منا !! فصرخ وقال : لا تعودوا الا ومعكم اولياء أموركم .

– وبعد ؟؟

– خرجنا الى الشارع ..

– هل تشعر بمرض في احدى عينيك ؟؟

– لا .. لماذا تسأل ؟ !

● الطالب حسين أحمد سامى :

( علمت فيما بعد أن اسمه الحقيقى : حسين على سراج ) .

– فى الفصل قلت للناظر : لكننى ضربت دون أن اعترض فلماذا تفصلنى ؟ ! .. وفى الشارع قلت لعماد اسماعيل : لولا سلاطة لسانك لما حدث كل ذلك ، كنا ضربنا وانتهى الأمر .. فغضب عماد وانهمنى بالجبن .. فقلت له أن يكف عن تصرفات المراهقين ..

– كم عمرك ؟؟

– اكبر منه بعامين .

- لماذا تضع هذه النظارة القاتمة ؟؟
- عندي حساسية ضد الضوء القوي .
- طيب ، نعود لحكايتنا ..
- كدنا ان نتشاجر نحن الخمسة . لكننا رأينا أحد تلاميذ الفصل يقفز ما فوق السور - ثم نانيا ثم نالنا حتى تجمع معظم الفصل ما عدا أربعة أو خمسة منهم رسمى الديق المستثنى ..
- أتعرف والده ؟؟
- سمعت عنه ..
- وعرفنا ان نادر طه مبروك هو الذى أقنعهم بالتضامن معنا ..
- ما رأيك فى نادر طه مبروك ؟؟
- لا أحبه .
- ولكنه حرض الفصل من اجلكم ؟ !
- لا أحبه .
- هل هو متفوق فى الدراسة عنك ؟؟
- ليس لذلك ..
- اذن ؟؟
- عندما حدثت الوشاية فيما بعد من بعض التلاميذ لدى الناظر ، حدث أن رآنى نادر أخرج من غرفة الناظر فأشاع فى الفصل اننى جاسوس الادارة ..
- لا يبدو عليك ذلك ..

- شكراً .
- هل من الممكن أن اتفرج على نظارتك ؟؟
- تعضل ..
- عيناك جميلتان ، فلماذا تخفيهما بهذه النظارة القاتمة ؟!
- قلت لك عندي حساسية ..
- أحقا .. كانت هناك وشاية اذن ؟؟
- وأنا أشك في اربعة تلاميذ اولهم نادر ، ابن الفلاح الخبيث ..
- وماذا كنت تفعل لدى الناظر ؟؟
- كنت أقدم له طلبا لاعفائي من رسوم مجلس الآباء ..
- والدى فقير .

### ● السيد/ طه مبروك :

( فلاح - والد نادر )

- لا أحب النزول الى المركز ، ولا استريح الى اهل البنادر .  
واكره دخول مكاتب الحكومة ، لذلك فقد تضايقت عندما جاءني  
استدعاء من ناظر مدرسة نادر . نزلت المركز وتوجهت الى المدرسة  
الى غرفة الناظر ، فرحب بي الرجل ، وطلب لي القهوة ، ثم  
الكازوزة ، وظل يمتدحني قائلا بأنه عرف أنني رجل طيب وفي  
حالي ، وبأنى أصلى الفرض في وقته .. فلما دهشت قال انه  
سأل المدرسين عنى .. زادت دهشتي ، ولكنى سكت ، وقلت  
في بالي ربما كان بالمدرسة احد المدرسين من أبناء قريتنا  
ولا أعرف .. ثم كلمني عن نادر ابني ، قال انه ولد نبيه ..

قلت له اننى عرفت ذلك من حادثة حصلت له عندما كان صبيا صغيرا ، وكنا فى انتظار القطار على رصيف السكة الحديد بالمركز ، ونظر نادر فرأى السلك المجاور للرصيف يهتز فهتف بأن القطار قادم ، نظرت فلم أرى شيئا ، لكن بعد قليل جاء القطار بالفعل !! . ومن يومها قررت ادخاله المدارس ، فلما أنهى الابتدائى دفعت له اشتراكا فى قطار الركاب حتى يتوجه الى المدرسة الثانوية بالمركز .. ابتسم الناظر - مثلك هكذا - ثم قال لى : انت النموذج الصالح للأب المكافح ، فخطبت من هذا الفول .. تم قال انه استدعانى من أجل مستقبل ولدى . وفى الحقيقة فقد اعجبنى هذا الناظر ..

- هل أخبرت ولدك بما دار بينك وبين الناظر؟؟

- طبعا . قلت له : عملت زعيما على آخر الزمن فخانك أصحابك ووشوا بك لدى الناظر ، وقالوا له : انك انت المحرض الذى ضحك عليهم !!

- فماذا كان رد فعله؟؟

- بهت وجهه ، وظل صامتا عدة أيام لا يأكل الا القليل .. حتى عادوا الى المدرسة ليفاجئنى بعد عدة أيام بأنه يريد ان يشتري نظارة سوداء !! .. لم أعارضه ، وقلت لعل ذلك يخفف من أحزانه .

● ولى امر الطالب حامد الأشقر :

- رغم أنه أضال اخوانه جسدا ، فقد تلقى الضربات الأربع على كف واحدة .. أنا عمه ، ولى امره ، توفى والده فصرت



الوصى عليه ، بعد شهور يستطيع أن يستقل عنى ان أراد ...  
شأى ام قهوة ؟؟

— شكرا .. حدثنى عن مقابلتك للناظر ..

— هذه المدرسة من أقدم المدارس بالمحافظة كلها ، كان أول ناظر لها انجليزياً ، كان يسير بعد الظهر فى الشوارع ببنتلون قصير ، أحمر الوجه والفخذين لكن كل أهل المركز كانوا يهابونه ..

— كان ذلك فى الماضى ..

— طبعا . أيام الملك ، ثم جاء من بعده نظار مصريون كثيرون ، وشهادة لله فان الناظر الحالى هو افضلهم ..  
كازوزة ؟؟

— شكرا .. حدثنى عن المقابلة ..

— اكتشف انه يعرف عنى كل شىء . قال انه سمع من كل الناس عن طبيبتى وعن أسرتنا ، وانه يريد مصلحة ابن أخى ..

— ماذا قال عنه ؟؟

— قال انه فتى مراهمق ، وان من فى سنه يكون شغوفاً بحب التزعم والمشاعبة ، وان هذا الكلام هو نفس ما يقوله علماء النفس .. ثم أسر لى بكل الوقائع ، وقال ان بعض التلاميذ ممن يتظاهرون بصداقة ابن أخى هم الذين أخبروه بذلك ، سرا .. ثم أخبرنى أيضا بأن البوليس حذره من هؤلاء التلاميذ .

— هل ذكر لك الأسماء ؟؟

— لم أسأله . وشكرت له ثقته بى ، فهو لم يفعل ذلك مع احد غيرى .

- وكيف تصرفت مع ابن أخيك ؟؟

- نصحنى الناظر بالا اعامله بالشدّة ، وانما بالنفاهم .  
قلت لحامد : كدت تضحي بمستقبلك من أجل أصحابك فانظر  
ماذا كان ردهم لجميلك !! .. ثم أفهمته أن كل انسان في هذا  
الزمان لا يعيش الا لنفسه ، وكل واحد تكفيه همومه ، فلا احد  
يحمل هم أحد .. اليس كذلك ؟؟

### ● الطالب أ . س . د . :

( طلب عدم ذكر اسمه بالكامل ) .  
- من رأى فتحي أن الواشيين هم : احمد وعباس  
ومجدى .. ومن رأى أحمد أن الخائن : اما مجدى أو فاروق ..  
ويقول حسين - وأنا اثق في آرائه - أن الواشيين هم : نادر  
وسامى وعلى .. أما انا فقد اصبحت أركز شكوكى في سبعة  
تلاميذ ، ثلاثة منهم على الأقل هم الجبناء الخونة .. وفي جميع  
هذه الأحوال فهناك عدد من الواشيين غير المعروفين بالتحديد  
حتى الآن .

- ما رأيك في الناظر ؟؟

- سيدى أنا لا اعرفك ..

- يمكنك أن تثق بى .. ما رأيك ؟؟

- سيدى .. لا رأى لى .

### ● الطالب نادر طه مبروك :

- يصل قطارى من القرية الى المركز فى وقت مبكر عن  
موعد بدء الدراسة ، وبذلك يكون أمامى وقت أقابل فيه عددا

كبيرا من التلاميذ . كنت اسأل نفسي كلما جاءت عيني على احدهم : اهو واحد من الواشين ؟؟ وعندئذ لا تبقى نظراتي في نظراته .. لذلك تجنبت كل التلاميذ ، ولاحظت انهم يفعلون المثل .

– شيء قاس !

– بل فظيح . اخنطنا في الفناء .. قلنا : « السلام عليكم » ورددنا : « وعليكم السلام ورحمة الله » .. اكثر من ذلك لم نتكلم .. فقط عندما يسأل احدهم في ملل بصوت بارد غريب عن موعد انتهاء الحصة . لاحظت ان عيون الجميع تلعب لعبة المراوغة ، لا تتلاقى أبدا .. أبدا .. عاملت بعضهم بمجرد الريبة والشك وبعضهم بيقين قاتل . اصبح جرس الانصراف عندي هو اجنل ما في اليوم كله . الابتسامات تحولت الى شيء غريب لم أنساعده من قبل يظهر قسرا على الشفاه ..

– الم تحاول ان تعاتب احدهم ؟؟

– حاولت مع سمير جارى في المقعد . اول مرة تكلمت معه هبط نظراته الى الأرض ، تانى مرة لأذت عيناه بما وراء ظهري ، وفى المرة الثالثة صمد هو لنظراتي .. فتجنبتة أنا ..

### ⊕ الناظر يتكلم :

– بعد ان قفزوا كالقروذ من فوق السور وخرجوا الى أسوارح ، النفوا وجاعوا أسفل حجرتى وظلوا ينادون : « أبو كرش ، أبو كرش » .. ولما اختلست النظر اليهم من وراء الشيش هتفوا : « نسايفينك ، شايفينك » .. الملاعين انفسار !! .. لكن النظام استتب حتى النهاية .

– الم تتساهل عن سر النظارات السوداء ؟؟

– لاحظت ذلك في البداية . ومن رأيي أن هذه النظارات  
ضرورية في مناخ شمس ساطعة حارقة كشمس مصر ، أنا نفسي  
أضع نظارة سوداء كما ترى . هل أنت معي في ذلك ؟؟

– . . . . .

– وعلى كل حال فقد فعلت ما فعلت من أجل صالح  
الجميع : النظام ، وأولياء الأمور ، والمدرسين . . وأبنائي  
الطلبة .

يونيو ١٩٧٠

## غمزة العين

لم نصل الى جواب اكيد ..

وكانت هذه اول مرة نعرف فيها ان فتحية ما زالت بكرا ،  
وان امها فرضت عليها رقابة قوية واصرت على بقائها هكذا حتى  
تكمل السادسة عشرة ..

– وبعد ذلك ؟؟

قال سمير :

– وبعد ذلك تنزل الى السوق مثل امها .

شعرت بضيق :

– فكم عمر فتحية الان ؟؟

قال سمير :

– امامها شهران لتكمل عامها السادس عشر .

قال فهمي :

- ثلاثة أسابيع فقط .

وقال حسين :

- بل عام كامل رغم فوران الجسد .

لم نصل الى جواب اكيد وانتهت الفسحة .

بلحاهم وذخونهم الحمراء وبنطوناتهم القمصرة ساروا في الصباح المبكر ، بمخلاتهم فوق ظهورهم يتأملون البيوت القديمة في جنوب البلدة .. سياح فقراء قال سمير :

- وهكذا يجوبون العالم بأقل النفقات ، حتى وصلوا الى بلدتنا هذه التائهة في مجاهل الصعيد !!

تأملنا البنت النحيفة معهم بصدورها الصغير وشفتيها الرقيقتين ..

- حتى الجنس لديهم صار كالمآكل والمنسرب ، لا يعقدونه ..

توقفوا طويلا امام احدى البنايات العتيقة ، يحملقون فيها مبهورين . توقعنا ان يتجهوا الى حيث آثار الفراعنة في أرض المعابد ، فسحبني سمير صوب الحارة الضيقة المقابلة :

- اليوم نختر طرقتنا الى المدرسة .

سرنا بين صفين من البيوت المفتوحة الأبواب ، مداخها مساحات من العتمة العظنة . سمير ما زال مبهورا :

- لاشك في أن ذلك يؤثر على شخصياتهم ، طلبة فرنسا مثلا أجبروا حرماتهم على الاستقالة منذ سنوات ، طبعاً . تذكر ذلك ؟؟

لكن الحيوان الصغير عبر الحارة ركضا في لونه الرمادى  
فهمت :

- هل رأيتة ؟ !

ابتسم سمير وقال :

- الا تعرفها ؟ ! انها « العرسة » التى تعيش على مص  
دماء الدواجن ..

ثم ضحك وقال موضحا :

- انها « دراكولا الدجاج » ينقض على عنق الدجاجة يعرف  
جيدا مكان عرقها ، ولا يتركها الا جسدا بلا دماء ..

- لنخرج الى أقرب شارع مرصوف ..

- هناك مفاجأة ..

- لنترك هذه الحارة ..

قال :

- سوف أريك فتحية .

أخذنى من حوار طويلة متعرجة الى اخرى قصيرة متعددة ،  
وكانت البيوت متشابهة والوجوه متقاربة والرائحة واحدة ،  
وصار الشمال كالجنوب والشرق كالغرب ، وضاعت منى  
الاتجاهات ، وأحسست بالرطوبة تتسلل الى بدنى ، فمشيت كما  
يمشى سمير ... فتحية هذه التى تدور من حولها همسات  
التلاميذ ، والتى سمعت عن أمها الكثير .

في طاوور الصباح انهمك الناظر في الفناء تعليماته اليومية ،  
لكن حسين همس لى بان « ام فتحية » هذه خبيرة في مهنة

الامتاع ، كل زبائنها من كبار الموظفين ويمد من أثرياء الريف . .  
وفوق الدرج الصاعد الى الفصل قال فهى أنها ثائية السمور  
جدا . . لذلك أكد لنا معدوح فى معمل الكيمياء أن أحدا منا - حتى  
من تلاميذ السنوات الأعلى - لم يصادفها ، ومن قال غير ذلك  
لا تصدقه .

لكزنى سمير :

- انظر . .

طبق الفول فى يدها وتحت ابطها عدد من الأرففة ، على  
عكس كل البنات فى بلدنا ليست فتحة سمراء أو قمحاوية  
اللون وانما شديدة البياض نظيفة ، ففازة النظرات ، تمشى  
تنضحك مع المرة .

حملقت نحوها . همس سمير :

- رائعة من جميع زوايا الرؤية اليها ، اليس كذلك ؟؟

تسمرت مأخوذا وكانت ترمقنى مبتسمة ، فجاذبني  
بالحاح :

- حذار ، جميلة لكنها شرسة .

فى عدوبة شديدة - ولدعشتنا - غمزت لى باحدى عينيها .  
فشهق سمير . . وفى نعومة بالغة - وقبل ان تختفى فى عتمه  
دارها - التفتت نحوى وضفطت بأسنانها على شفتها السفلى ،  
فدام الصمت لحظات ثم وضع سمير كتبه تحت ابطه ليضرب  
كفا بكف :

- انها تحلق وتبتسم لكل التلاميذ ، لكن ان حاول



أحدهم مغاللتها شتمته هو وامه ومن خطفوه .. لكنها معك  
انت - انت !! - لم تفعل ذلك !!

في فناء المدرسة وأثناء المسحة الصغيرة خيل الى ان معظم  
التلاميذ يعرفون واقعة الغيرة . فشعرت بالزهو . وامام الباب  
الخارجي تعجب احمد :

- مع أنك لا بالجمل ولا بالوسيم !

وفي الأيام التالية تعودت خطواتي على الوصول قرب دارها  
في نفس وقت خروجهما لشراء الافطار - كما تعودت هي ان  
تأتيني في احتلامي - وصار طريق الحواري هو طريقي في كل الأيام،  
وصرت أعرف تفاصيله بكل دقة :

في الإنشاءة الأولى أجد الدار التي يكشف طلاؤها القديم  
عن الطوبى اللبن ، ثم أسمع الصوت الرجالي الذي ينهر احدي  
النسوة ولم أسمعها ترد عليه أبدا ، ثم أرى البيت حديث الطلاء  
الذي « حج صاحبه وزار قبر النبي المختار » .. بعد ذلك أعبّر  
مثلث الشمس المتسلسل الى الأرض لأقرأ التحذير التالي :  
« ممنوع لصق الاعلانات بأمر الحكومة » لكن بجواره عدة اعلانات  
انتخابية لمرشحين عن الفئات المختلفة ، وبخط رديء : « يعيش  
فريق الصقر الأسود : الكابتن منصور » .. وتعودت على رؤية  
العرسة تجرى وتقفز فوق بقع الطين ، ومرة رأيت قطا يطارد  
احداها لكنها اختفت في حجر ضيق الفتحة .. وكلما رأيت  
دجاجة ملقاة في الحارة متخشبة الجسد متقلصة الأصابع زرقاء  
البشرة عند البطن والصدر ، وكلما رأيت الجرح الفائر في  
عنقها وخط الدماء المتجمد حول منقارها تخيلت الموقف : يكون  
الوقت ليلا وتكون الدجاجة نائمة ، وتستيقظ على عنقها في نم

المرسة فلا تقدر الا على الصياح المكتوم ، وفي بطنه تتسرب  
دماؤها فتحس بخدر ووهن وتتقوس اصابها ويزرق جسدها .

لكنى فى نهاية كل ذلك اجد ابتسامة فتحية . انظر صوبها  
فقط ، احانا نعدنى بابتسامتها ، احانا اخرى لا تشعر بى ،  
مراب ثلاثة اشياء ، انها تستسبى فانكشفت فى نغضى ، ومرة  
شاهدتها تلتقط فردة شبيها وتجرى مطاردة عرسمة رمادية  
اللون ، فصعدت الدماء الى وجيها لتضاعف من حلاوتها مئات  
المرات ، فيبرننى وجعلت دمائى تنسحب من وجيى ، وظل وجهها  
يلازمنى طوال الدروس الأولى .

وكلما تخيلت اقتراب عمرها من السادسة عشرة شعرت  
بحزن غرب مبهوم ، كاذنى مقبل على فقدان شىء عزيز .. حتى  
قال سمير ذات يوم هازئاً ان شاباً اسمه « اشرف متولى » عرض  
عليها الزواج رغم تقيته من سيرة امها . شعرت بالارتياح لكن  
سمير سخر من كل ذلك فكرهته .

رايت « ام فتحمة » فرايت الشعر الذهبى واضح الصبغة ،  
ورايت التجاعيد وقد غزت العنق الرخامى ، والخطوط الغائرة  
وقد ظهرت فى الجبهة الناصعة ، ولحم الذراعين وقد ترهل ..

اشترنا السندويشات من الكنتين وعلق سمير :

– انلك فان زبائننا اخذوا يطالبون بالبنبت عوضاً عنها ،  
لكن الام قالت لرجالها المتلهفين : « ليس قبل ان تبلغ عاموسا  
السادس عشر » .

فتوقفنا عن المضغ ، وكانت هذه اول مرة نعرف فيها ان  
فتحية ما زالت بكراً !

لم نصل الى جواب اكيد . . وتساءلت انا ان كان من الممكن ان يحدث شيء ما خلال الوقت المتبقى : كأن تفر من امها وتعمل كاية بنت اخرى ، كان تتزوج من « أشرف متولى » هذا ومثات البنات يعشن مع أمثاله فى دعة ، الا أنهم سخروا منى ، قالوا انه ضئيل المرتب نحيف الجسد ضعيف البنية ولن يرضى فتحية من جميع النواحي . . تم تحدثوا عن ذلك المحظوظ المنتظر ، واتفقوا على حتمية أن يدفع مبلغا عظيما . قال أحمد مفسرا :

— لا تحدث اول مرة الا مرة واحدة ، سجلوا هذه الحكمة فى كرارىسكم .

ونحن نبتعد عن المدرسة صوب النبل رشح سمر لهذه القاطفة نائب المأمور ، قال ان زواجه ليس دليلا كافيا على حسن سيره وسلوكه . . لكن حسين أصر على طبيب الصحة لأن أمثالها فى حاجة انى نوع خاص من الخدمات الطبية ، فرد سمر المناكف: انيا بالمال يمكنها استئجار أبرع الأطباء . . وفكر ممدوح فى مهندس المحاج وسيارته الجميلة . . ثم فى سعيد المزارع الذى يمتلك الحد الأقصى من الفدادين . . ولما فحصوا وضع مفتش التحوين وقدرته على امادها بما يشح من السوق أكد فهمى ان فتحية لو ترك لها الاختيار فسوف تختار كابتن فريق كرم القدم .

تعالت الأصوات واحتدت ، وكل واحد يذكر مميزات مرشحه . . وفى وسط كل ذلك استبعدوا أسماء اخرى اما بسبب كبر السن واما بسبب شائعات عن أصحابها بعجزهم الجنىس المبكر واما بسبب نقص المال برغم الفجولة .

تركنا الشارع ، مخترقين ارض الكلا اختصارا للسافة :  
وفكرت انا في صمت : او فتحية صديقتى لاقنعتها بالزواج من  
« اشرف متولى » هذا - وقلة الدخل ليست عيبا - على ان  
تنفصل هي عن امها وبنفل هو نفسه الى اية مدينة اخرى بعيدا  
عن كل هؤلاء الناس .

( في المساء وقبل ان انام زارتنى فتحية الحبيبة ورقدت  
بجوارى .. وبعد قليل اختطفتها في آخر لحظة من بين برائن  
هؤلاء الرجال الوحوش ولقنتهم درسا قاسيا لن ينسوه .. وبعد  
ذلك بقليل ايضا تمكنت بطريقة ما من جدل عامها السادس عشر  
يتاخر ويتاكا في الجيء حتى انتهيت انا من تعليمى في الثانوى ثم  
الجامعة وتوظفت وتزوجتها رثيم معارضة اسرتى ، وقيلت شفيتها  
الطريتين في قبلة ناهة وعشت معها في سعادة هائلة لتبدأ عامها  
السادس عشر ... )

... لكنى في الصباح عندما فتحت عينى ووضعت راسى  
تحت ماء الصنبور البارد تمنيت لها - آسفا - ان تموت .

قرب الامتحان اختفى الكلام تماما عن فتحية وعريستها  
الموعود وعن امها ورجالها . واثناء الامتحانات كنا نتحدث في طريق  
العودة عن افضل الحلول لكل سؤال . اختلفنا كثيرا حول  
اجابات المواد النظرية كاللغات ، لكننا في الرياضيات والعلوم لم  
نختلف ، وعقب امتحان الكيمياء وبينما نحن نبحث عن الجواب  
الصحيح لاحدى المعادلات اذ بسمير يهتف بغتة :

- منذ ثلاثة ايام ، اطال الله بقائكم ، بلغت فتحية السادسة  
عشرة ..

فضول ثقيل . سأل سعيد :

– وهل حدث الأمر ؟؟

تحرك فم سمير :

– في الليلة التالية مباشرة ..

– اكيد ؟؟

برقت عيناه . التهبت جفوني . سأ لسعيد في لهفة :

– فمن نالها ؟؟ من الأول ؟؟

شعرت بأناملى مثلجة وبجسدى ثقيل فوق ساقى ،  
وسمعت صوتى يرتعش فى داخلى : وهل تفرق ؟ !

أغسطس ١٩٧٠

## المنام

---

ولأنها البنت الوحيدة التي انفتحت لها قلبي ، فقد كانت  
رغبتي أن ألتقي بها وحدها ، أن اتحدث معها على حرיתי . كنت  
قد جهزت كلاما كثيرا معظمه رقيق ، وكله صدق ودفء .  
لكنها جاءت ومعها احدى زميلاتنا ، فتكونت الجلسة من ثلاثة .  
ارتبكت . صارت زميلتها بيني وبينها . لم يعد من المناسب ان  
أقول لها ما كنت أود ، ربما كنت قد نسيت . ما يقال لواحد  
لا يقال لاثنتين ، ويختلف الكلام حسب عدد الجالسين وأنواعهم .

جلسنا نثرثر في أمور عديدة ، وتظارفنا كثيرا ، وقصصنا  
بعض الملح . . لكننا أكثر من ذلك لم نقل . . وعلمت أن أسم  
الصديقة سعاد .

قالت نبيلة انها أصبحت تتعب سريعا من صعود الدرج  
هذه الأيام ، فردت صديقتها بأن هذه أعراض الشبخوخة . .  
كانت تظن أن هذه نكتة ، لكننا مع ذلك ضحكنا .

وصفت نبيلة آخر فيلم شاهدته بأنه ليس بفيلم على الاطلاق ، ثم تساءلت عن سبب تدهور السينما لدينا؟؟

– وهل السينما لوحدها ؟ !

قالت الصديقة ، مؤكدة ان الصلة تكمن في مسنونا الحضارى كدولة نامية .. فعلقت أنا بأن سينما العالم الثالث صارت تهز الدنيا الآن .

وحدث خلال الجلسة ان التقت عيناى بعينى نبيلة ، كنت أريد أن أنقل بعضا من شعورى نحوها – ان لم يكن باللسان فبالعين – لكنها كانت تسارع بالنظر الى صديقتها .. فتنت أعود مهزوما للمشاركة فى الكلام .

مساء اليوم التالى جاءنى أحد الأصدقاء مع زوجته . وأخذانى الى ملهى « ميرى لاند » الليلى فى مصر الجديدة .. وكان هناك قوم كثيرون ، ألححت زوجة صديقى بأن معظمهم من الشخصيات المعروفة وابنائهم ، ثم عادت تتابع الفرقة الموسيقية التى تعزف الألحان الغربية .. وكان كل ما حولنا : تأنق فى الثياب تلتطف فى تناول العشاء ، وتبسم عند احتساء المشروبات .

بدأ الرقص فوق الدائرة المخصصة لذلك . ذهب صديقى ليراقص زوجته ، وصرت وحيدا ، بينما كل من فى الدائرة : امرأة ورجل ، فتى وفتاة ، والموسيقى ناعمة وبطيئة والجمع ملتصقون .

تمتعت برؤية وجوه النساء من فوق اكتاف الرجال ومن جوار أقفيتهم .. وكانت الأرجل منظمة ومقيدة فى حركاتها :

كرهت هذا التماثل ، وكانت كل الخطوات متزامنة حسب ايقاع العزف البطيء ، ولم يعجبني هذا البطء .

وعندما انقلبت الموسيقى عنيفة وسريعة ، انسحب من الساحة كبار السن ، وتدفق اليها عدد كبير من الشباب . ادهشني ذلك في البداية ، فلما تأملت الرقصة لاحظت أنه لا توجد قاعدة محددة لحركاتها ، ولاحظت أن الراقصين لا يلتصقون وانما يواجه الفتى راقصته عينا في عين ، كل الأجسام تهتز وتتكهرب لكن لم تكن هناك قاعدة ، ولم تكن الموسيقى تتسلط على الخطوات ..

اعجبني كل ذلك ، وقلت ان أى انسان يقدر على هذا الرقص ، فقط يصعد الى الحلبة ويستسلم للاحساس بالراقصين من حوله .. وتمنيت لو كانت معى نبيلة - كنت أجلس وحيدا -- ورغم حدة الموسيقى كانت الاضاءة خافتة ، وازواج الراقصين من أمامي باسمين ، فهزنى كل ذلك وأنعشنى ، وكان الدخان يملأ المكان ، وفوق كل ترابيزة شمعة مشتعلة ..

( ولما نظرت الى جوارى وجدت نبيلة في ثوبها الأبيض الذى يشبه الفراء ، وكانت تبسّم وكانت أحلى من كل الأوقات ، وصعدنا الى الحلبة واندسسنا بين الراقصين ، وسرعان ما سرت روح الرقص فى جسدينا - وكان جسدى خفيفا جدا - واندمجنا مع الجميع ، وسمعت تنفسهم ولهتهم ، وشممت عرقهم وعطريهم ، وشاهدت السعادة فى عيونهم ، ومارسنا الحركة معهم ، وكان هذا عظيما ، وكانت نبيلة تواجهنى وكنت اواجهها ، ولم تفادر نظراتها وجهى ، وقلت لها كل ما اريده فكانت تنزل بنظراتها الى شفتى .. )



غير أن الموسيقى أبطأت وعادت رتيبة ، فانسحب الصغار  
وصعد المجائز وعاد صديقي وزوجته ، فافقت ، وكانت الدماء  
في وجهيهما . وقبل أن نعود لأحاديثنا الاستطردية واعدت  
نفسى بأن احكى قصة هذا الحلم الى نبيلة ، وذلك في الموعد  
القادم .

... لكنها جاءت ومعها زميل لها طويل اسمه مهدي ، كان  
يفترب من وجهها عندما يوجه حديثه اليها ، وكان يفعل ذلك  
بنظرة جسورة وإبتسامة صلفة ، وأذكر أنه لما جلس اثنتا  
ساقاه أمامه كأرجل العنكبوت .

كانت نبيلة ترتدى فستانا قصيرا ، فأعجبني منظر سافيهها  
ولاحظت خلوهما من الشعر أو آثاره ، وصرنا نتكلم ، ونسيت  
الكلام اللطيف الذي كنت قد جهزته لنبيلة ، وحتى قصة  
سهرتى السابقة لما حكيتها اكتفيت بنصفها ، ولم أذكر كلمة  
واحدة عن حلمي القصير بالرقص معها ، وبدلا من ذلك مضيت  
أروي قصة ملفقة : فقلت انى عدت بذاكرتى الى قرينتنا  
بالصعيد ، حيث رأيت نفسى طفلا حافيا وسط العيال تلقى بالطوب  
الى النخلة ليتساقط بلحها ، ونطارذ كل كتب نراه بالعضي  
والجريد . تم تذكرت حفن البهارسيا الكثيبة التى أدمت  
جسدى الضعيف ، وتصورت أبى جالسا امام الدار يشرب الشاي  
الأسود ويتسكو من معاملة موظفى الزراعة ومن تغيب طبيب  
الوحدة ، ويقف احتراما لمرور الضباط . . ورأيت طابور  
الصباح فى مدرسة المركز ونحن نحى العلم ونهتف للجمهورية . .  
وفى مطلع الفجر تصورت أمى وهى تستيقظ لتحمى الفرن للخبيز،  
وتخيلت أنها لو رأتنى فى ذلك الملهى لأصابت الدهشة عينيهما  
بالشلل . .

ضحكت نبيلة من ذلك ، وارتعشت ساقا مهدى في رعشات  
عصبية ، وقلت له ان هذه السهرة نموذج مصغر لسهرات  
الطبقة الجديدة ، ثم سألته عن رأيه فيهم فهز كتفيه دون  
اهتمام .

تماكرت نبيلة وسألتنى عن دفع الحساب ؟؟ فقلت لها :  
- تعرفين ان راتبى لا يكفى الا لايجار الشقة وللأكل  
الضرورى ..

ولما اضفت :

- وللإقتراض فى آخر الشهر .

اعتبرا ذلك نكتة فضحكا ، لكنى هذه المرة لم أقدر على  
المشاركة .

أذكر ان الصمت تخلل هذا اللقاء عدة مرات . يكون  
الصمت بين اثنين متوادين صمتا عن الكلام المسموع فقط ،  
أما الصمت بيننا نحن الثلاثة فقد كان انكماشاً وعزواً .

وفى المرات التالية جاءت سعاد مع نبيلة .. وصار الصمت  
يطول .. ويتعدد .

فى اللقاء الذى جاء بعد ذلك تأخرتا عن الموعد عشر دقائق ..  
وهذه المرة لم أكن قد جهزت كلاما أريد أن أقوله لنبيلة ،  
وقصصت عليهما نكتة مهذبة لكنها فى باطنها تحمل معنى بديها ،  
فوجمنا برهة ثم نظرنا لبعضهما وانفجرتا ضاحكتين .

وبعد النكتة جاء الصمت .. ثم تكلمت نبيلة .. ثم حدث  
صمت أطول .. وظلت اللعقة بين أصابعها تدور فى فنجان الشاي  
حتى بعد أن ذاب السكر ..

وكان النيل من اسفلنا ساكنا كسكون الهواء ، وكانت  
الضفادع تنق عند جسرہ .. ولاحظت نبيلة ان المياه تتذبذب في  
موجبات ضئيلة . فقالت :

– يبدو أن هذه الموجبات لا تفارق اماكنها !!

قلت :

– لكنها في الواقع متحركة ، لأن النيل ينبع من اواسط  
افريقيا ليصب في البحر المتوسط ، فهو اذن يجرى من الجنوب  
الى الشمال ، ولا بد أنه متجه الآن صوب الشمال !!

قلت وأنا امسح عرقى :

– ويتضح هذا لو ألقينا اليه بشيء يطفو فوق سطحه .

قالت تسخر :

– أنت غزير العلم ، علمتى ما لم اكن أعرف !!

قلت لها :

– شكرا .

ثم قرأنا طالعتنا في الجريدة – وكانت الضفادع تنق –  
وضايقنى بعض الشيء أن نبيلة ولدت في برج الدلو ولم تولد في  
برج الحوت الذى ولدت أنا فيه ، أما سعاد فأظن أن برجها هو  
المذراء أو ربما كان القوس .. وبمناسبة التنجيم والنجوم  
كلمتهما عن مقال قرأته حول غزو الفضاء ، رحنا بعده في سرحة  
تأمل طويلة ، تنهدت فيها نبيلة وتوقعت سعاد أنه سوف يأتى  
اليوم الذى يكتشف الانسان فيه أكسير الحياة ويصبح كل الناس  
من الخالدين ، أردت تصنع الدهشة لكنى فضلت الكسل ..

ثم عادت سرحة التأمل .. وثأبت نبيلة ، وذكرت بعض المعلومات عن تاريخ مصر أعتقد إن معظمها كان خاطئا .

تأبت طفلا صغيرا مضى يتعثر من خلف قطة سوداء رافعة الذيل - وكان ذلك في اللقاء الذي كان ترتيبه قبل الأخير - تحدثنا قليلا عن الشرق الأوسط وأزماته .. ثم قصت سعاد علينا أسباب فسخها لخطوبتها الثانية ، وكانت قد قصتها في لقاء سابق لكنى أخفيت .. كذلك حكيت نبيلة النكتة الفاترة التي سبق أن اضحكنا في أول لقاء ، واستطعت أن أحصى في جانب رأسها ثلاث شعرات بيض .

وفي اللقاء الأخير : وقفت لهما مرحبا بأقل من نصف الوقفة .. وبعد أن جلسنا سألت نبيلة عن أحوالها وصحتها - فصرحت متبرمة :

- لا جديد

ثم قالت بأنها صارت تفكر جديا في الهجرة

وبعد الصمت عادت تتكلم عن أعراض الشيخوخة المبكرة مرة أخرى .. وكنت مسترخيا في مقعدي ، وكنت أشعر بالضمحل يتحرك إلى كل رأسي وجسدي .

سألت سعاد عن آخر ما قرأته ، فتمتعت :

- لائحة التوظيف

وسكتنا .. ثم سألتها عن أحوالها فثأبت :

- لا جديد

رحت أتأمل الجالسين عن قرب ، وبعد وقت نسيت نفسى  
وبدأت أحكى - لأكسر الصمت - عن ذكرياتي في فصل ثانية علمى  
خامس ، غير أن سعاد نبهتنى في صوت هادىء الى أننى رويت  
هذه الذكريات من قبل ، فلم أكمل .. وبعد وقت تشاءبت طويلا  
لدرجة أن الدموع ملأت عيني .

بعد ذلك كان موعد لقائنا هو الصدفة .. وعندما لمحتها  
سائرة هتفت باسمها ، فنظرت لى وابتسمت .. وحدث اذ ذلك  
ان كان زميل لها يقف بسيارته قرب الرصيف ، فضبط على  
« الكلاكس » ثلاث مرات . تنبعت هى اليه ومن فورها توجهت  
صوبه وكان وجهها جادا جدا .

واليوم عندما راتنى في طريقها أقبلت نحوى ، وكنت  
مستاء جدا ، وحاتقا : كيف تجاهلت صوتى البشرى واستجابت  
لمنيه سيارته ؟ !

رغبت أن أرد لها بعض الالهانة ، وبحيث في ذهنى عن كلام  
قاس أوجهه اليها .. الا أننى - وفي هدوء مصطنع ، وبعد تحية  
فاترة - تركتها ماضيا بخطوات متكبرة ، شامخا بأنفى راميا  
بنظراتى الى الأفق البعيد .. لكن سرعان ما تهدل كل ذلك .

كان من الممكن أن نخلق أشياء جميلة .. معا .

فبراير ١٩٧١

## المدول والمقلوب

١ - مهاب :

( لكل دائرة مركز واحد - حقيقة هندسية ) :

ولأن البكاء ليس من طبعي لذلك لم أبك ، حتى يوم أن مات أبى - وكنت صغيرا - بكته كل الأسرة عداى . ظللت متماسكا ثمانية أيام ، وفى اليوم التاسع - ودون أية مقدمات - انهرت باكيا . ولو حدث لى البكاء الآن لارتحت ، لكنى كتوم لا أشكو ولا أبكى . أتوقع أن يكون عمري قصيرا .

كان يشغلنى دائما ، الحب .. ليس من باب الهذر ولكن قلنا على مستقبل عمري . كنت أمضى حياتى منتظرا أن أصادف البنت التى أوجه نحوها أرق أحاسيسى ، والا فما فائدة هذه الأحاسيس ؟ ! .. وكنت أكلم نفسى أحيانا وأقول : اننى لو وجدتها فسوف أحفظ من أجلها كل ما بقى من وقتى ، وسوف أكف عن التدخين حتى أوفر لها زوجا مناسباً ، وفى محنى وأوقات الشدة كنت أسأل المجهول : متى يكون هذا التلاقي ؟!

وكنت اتخيلها فى ذهنى بصورة مشوشة ، ثم اخترت لها من كل فتاة أحلى ما يعجبنى ، مرة الشعر ومرة الصدر والوسط ومرة عودها وشفتيها ، وقبل كل ذلك صوتها وخفة ظلها وحنوها .. ومع مرور الأيام تكونت ملامحها الرئيسية فى صورة فتاة هادئة الجمال ، وأعدت نفسى بالأا أتركها تفلت منى إن أنا قابلتها .

أحببت أن تكون قمحية اللون : ربما لأنى شببت فى بيت على نيل الصعيد وكان يسحرنى لون الطمى مطعما بأشعة الغروب ، واخترت لشعرها ضفيرة طويلة وحيدة : وعلى ما أذكر فقد كان شعر أمدى قصيرا أشعث ، وتصورت العينين سمكى الاتساع : كنت أعبر النيل لأشاهد الأميرة الفرعونية فوق جدار المعبد القديم ، يشدنى إليها جسد رقيق بثديين مشدودين ، ووقفة حب من خلف مليكها وعينان واسعتان أخاذتان ، كلما عبرت النيل وجدتها بدفاء نظراتها .

وفى أحلام اليقظة كنت أستحضرها ، بجمالها الجذاب أصيل الزينة - أميرتى أنا - فأبدا معها رحلة الحب ، اتخللها بشجار ملء بالشجن من أجل نهاية هنية ، أن لرضى المحبوب بعد سخطه لدة فى القاب لا تعدلها لدة - يجوز أن هذا التفكير من فعل أفلامنا الرديئة - لكنى رأيتها دائما مقبلة نحوى فى إيقاع العابدة المتعبدة .

كنت أنتظر أن أصادفها ، أن أجدها يوما ما أمامى ، فجأة ودون مقدمات ، فى الشارع ، فى السينما فى الأنوبيس ، فى مكان عملى ، كنت على ثقة من أنى سأتعرف عليها من أول وهلة ، وعندئذ سيتم التفاهم فى سهولة وتلقائية .

كنت مهيتا للحب .

والمعجب ان شيئا من هذا لا يوجد في نبيلة !!

شهور عديدة وانا اعبرها دون ان التفت اليها . احييها  
او ابادلها بعض التعليقات او المجمات العابرة ، ولاشيء يزيد على  
ذلك . . كنت انفر من شدة بياضها ، تزيد بطلاء تسرف فيه ،  
على الوجه ، وحول عنقها القصير تسرف فيه احيانا ، شعرها  
ناعم ذهبي اللون ، جميل حقا لكنها كانت تخفيه تحت باروكة ذات  
لون سخيف ولم يكن صوتها يعجبني ، ولم يكن منظرها يوحى  
بالدعة ، بل بكره للمألوف يصل الى حد التصنع ، وانا انفر من  
الافتعال .

لم تلفت نظري ولم تحاول ، حتى وجدتها تعترض طريقى ،  
وكنت مسرعا . تركت صديقتها سعاد ووقفت في سكتى بابتسامة  
عريضة ونظرة جسور . ابتسمت لها مجاملا ، شاعرا بالنفور  
من طلاء وجهها ، سألتها :

— لماذا تضعين هذا القناع ؟ !

فجاءت في اليوم التالي ببشرة طبيعية . لاحظت هالتيين  
سوداوين تحت عينيها ، ساءتى منظرهما في البداية لكنها مع  
ذلك راقنتى ، ثم بدأت تأملها وأعيد النظر .

عيناها ضيقتان لكن النظرات الجميلة تتراقص فهما بوفرة .  
لها جبهة عريضة ، فأترحت أن تترك شعرها يتهدل طبيعيا ،  
وقلت :

— بقى ان تتخلصى من هذه الباروكة !



وجعلها شعرها المنساب في اليوم التالي تبدو اصفر عمرا ،  
احاط وجهها بهالة في لون الغروب ، لكن وجهها كان مشرقا ، وفي  
خديها انبعثت ازاهير الجمال ، قلت ان ذلك رائع ، فأسعدتني  
بأحلى ابتسامة رأيتها ، ثم تركتني وذهبت الى صديقتها سعاد .

خطر لى أنها أحلى بنت في المركز القومي للبحوث ، لكنني  
تذكرت أن المطلق شيء غير علمي وأن أفعال التفضيل لا يستخدم  
الا في البلاد المتخلفة ، فراجعت نفسي وقلت : ربما كانت من  
أحلامهن .

ظلت ابتسامتها في عيني الى أن ركبت الأتوبيس ، حيث  
وجدت نفسي أتابع فتى يغازل بنظراته فتاة قريبة ، تأملتهما ،  
ولاحظت أن الفتى أنيق وسيم بل جميل وأن الفتاة قاسية الملامح  
لولا ثدياها ! .. لذلك راودني خاطر غريب : انه لو أطال شعره  
لصار أجمل منها ! وأنها لو قصرت شعرها وارتدت ملابس الرجال  
لقلت انها شاب ولاشك .. ودفعني هذا الخاطر المدهش الى  
تأمل وجود الناس : كان الرجل المواجه لى خشن المظهر ، لكنه  
لما استدار ناظرا الى الشارع ظهر بروقيله رقيقا رقة  
النساء !! .. وكانت المرأة المجاورة له عجوزا كل وجهها تجاعيد ،  
ورأيت فوق وجنتيها شعيرات بيضا وتحت انفها شاربيا رهيفا  
أهملت ازالته ، ابتسمت لنفسى وقلت : ها هي تعود الى أصلها  
حسبما ذكرت كتب السماء ، جاء الرجل من التراب والى التراب  
يعود ليعلق دائرة الحياة الخبيثة ، أما حواء فقد جاءت - كما  
قيل - من ضلع في آدم فهي في الأصل رجل ، وهي عند  
شيخوختها تعود الى أصلها وينبت لها الشارب والدقن ، فهي  
اذن من الرجل والى الرجل تعود وبعد ذلك تموت وتصير الى  
التراب .

حسدت نفسي على هذا الاكتشاف الطريف ، ثم وجدتني  
أعود بذهني الى نبيلة ووجهها وصوتها ، وسيطرت على تفكيري  
حتى كدت انسى محطتي !

كانت تستشيرني في مشاريعها الصغيرة فيحدث أن يتبقى  
احداها في ذهني حتى بعد أن أتركها ، وقد تلازمني حتى المساء  
وقبل أن انام ، لأجد نفسي انتقل من المشكلة الى نبيلة نفسها ،  
ومن فوري أستحضرها أمام عيني ، لتزورني وتقضى معي فترات  
طويلة ، بقميص نومها فتكون رائحة ، ويكون لونه أسود - مرة  
وأبت طرفه من تحت فستانها وكان الهواء خماسينيا - ويشف  
سواده عن بياض جسدها الجميل ، وينسال شعرها فوق  
كتفها في اصفرار ذهبي ، ويحدث في الاضاءة الخافتة أن تترقق  
هذه الألوان في تمازج مدهش .

كانت تأتيني - أيضا - فوق صفحة الكتاب الذي أقرؤه  
فوق ورق القطن حيث أجرى أبحاثي على الدودة ، أحيانا تحت  
المجهر فأتملى في أعضائها كلا على حدة : العينين ، الأنف ،  
العنق ، الفم ولم ترحنى ضمة شفيتها كأن في مذاقها طعم المر .

كانت تدخلني مع انغام الموسيقى التي أسمعها ، وأيقنت  
أن صوتها ليس منفرا كما كنت أظن . قلت ان الانطباعة الأولى  
غالبا ما تخطيء .

وصرت كلما رأيتها تهل نحوي بكيانها باشعاعات ابتسامتها  
بإبجاءات نظراتها أهتف لنفسي :

- سوف تصير هذه الفتاة امراتي .

وانقلب الاهتمام الى انغماس ، وتغير الحال ، وصار كل ما تفعله يهمنى ، والشئ يتضاعف حسنه في عين مستحسنه ، تأسرنى ومقاتها الجانيية ، تلقانى مبتسمة فأسعد طوال اليوم تلقانى مهمومة فينشغل بالى ، وكنت أكره التجاعيد الكثيرة التى تظهر فجأة مع تقطبيتها .

أسعدنى تسللها الى جميع ما يشعر أو يفكر فى داخلى ، وصرت أفعل كل ما يسعدها ، فى الحقيقة حاولت أن أفعل ما يجعلها تحبى وتلتصق بى ، كانت حمى .

تبادلنا كلاما كثيرا رقيقا . لم تكن الرقة فى الكلمات نفسها ، وانما فى نطقها ، فى النظرة المصاحبة لها ، وفى خبطة الخدين .. كلمة أحبك نفسها لم أقلها ولم تقلها ، قالتها التصرفات اليومية واللفتات الصغيرة وردود الأفعال العفوية ..

الا أننى كنت أثور على نفسى أحيانا : لماذا هذه البنت من كل بنات الدنيا ؟ ! ليست الأجل وليست الحلم الذى راودنى!! وان كان ما بداخلى هو الحب فأمره عجيب فعلا ، انبساط زائد يعقبه ضيق غير مبرر .. وقلت : لن أتسرع بالارتباط بها حتى يواجه هذا الحب الأيام ويقوى بها ، هى مرة يجب أن تكون واحدة .

يأتى وقت يتمنى الانسان فيه أن يستريح من حربة الوحدة .

ومن خلالها تنبهت الى أن الانسان يطمع فيما ليس معه .. وأن التى تشد انظاره ليست المرأة الأكثر جمالا ، وانما الأكثر

اختلافا وتفردا ، ولأن الشائع في القاهرة من السمير والقمحيات من البنات ، لذلك فان رءوس الرجال كانت تستدير الى نبيلة أينما سارت ، شعرت بالزهو لأنها معي ، وشعرت بالفيرة لأني أخشى من فقدها .. ومرة قلت في بالي : سوف تملؤها هذه النظرات بالغرور ، ثم استدركت : ولكن من المؤكد أن هذا - بالفعل - حدث !!

أخفيت انقباضي ، وبعد أن ودعتها - وصدقتها سعاد - صار الانقباض دوارا ، كانت دائما محاطة بدائرة من رجال المركز حبيبتي عنى فلم اتنبه اليها ، وكانت صدقتها سعاد تقف خارج هذه الدائرة تحاول أن تجد ثغرة لها ، فلما دخلتها ظلت كل الأنظار مجذوبة الى وجه نبيلة .. هناك حقيقة هندسية : لا تكون لأبة دائرة الا مركز واحد ..

أما أنا فقد شعرت بنبيلة فقط عندما خرجت من هذه الدائرة لتقتحم دائرة اهتمامي وتحتل نقطة المركز فيها ، لذلك فقد ضابقتني كثيرا بصدقتها سعاد ، غالبا ما كانت تحضرها معها ! .. حزنت في البداية لكنني التمسيت لها العذر : هي في النجاة سليمة الأم والجدة - هكذا التمسيت لها الأعداء - وهي ما زالت تضعني تحت التجربة والاختبار ، وعندما تتأكد من حبي لها فسوف تتولى من نفسها أبعاد الثالث ، وكنت أعرف أن هناك حيلة للوصول الى ذلك ، هي أن أفتعل الاهتمام الحميم بسعاد كي تشعر بالخطر منها ، لكنني لم الجأ الى هذا الأسلوب لنفوري من الالتواء ، وفضلت أن أصارحها بعدم ارتياحي الى صدقتها ، وفعلت ذلك تلمجحا ثم تصریحا ثم جفاء .

كنت أجلس في مواجهة نبيلة ، وعندما تتكلم سعاد - وهذا غير كثير - أجد نفسي أرد في ابتسار وجائب جسدي لها ،

اما نبيلة فكانت تعطيها نصف اهتمامها ، حتى ابتسامتها كانت تقسمها بيننا ؛ نداعبني بعبارة وصديقتها بعبارة أخرى ، انشطر اللقاء الى نصف لى ونصف - وأحيانا اكثر - للصديقة .. فنفرت منها .

عجيب ان اغار على نبيلة من فتاة مثلها !

الى ان اقلت الزمام ، ووجدت نفسى اعامل سعاد هذه فى غلظة واضحة . ظلت جامدة مكانها ولم تنصرف ، بابتسامه مصنوعه فوق وجه باهت شديد الشحوب - ولم أشعر نحوها بأدنى شفقة - وعندما ودعنا نبيلة لتنصرف تركت انا سعاد ولحقت بها ، فاستدارت نحوى بوجه متوتر كثير التجاعيد وهممت :

- هذا سلوك فظيع ، فظيع ..

وعلى مدى الطريق الى بيتها ، ظلت أداعبها واحكى لها الطريف من حياتى حتى ابتسمت ، حتى تجاوزت وتركت كفها فى كفى ، لكن قلبى انقبض عندما حدثتنى عن والدها وقالت انها لم تحب رجلا من بعده ، ثم حكمت لى عن شفها القديم برحلات المدرسة ، وعن رحلة السنة الثالثة فى الجامعة ، وكانت مخصصة لدراسة التربية فى منطقة أسوان ، وكادت نبيلة أن تكون البنت الوحيدة ، فعاملها المشرف برقة ، وقدم لها كل طالب الطف ما عنده من ابتسامات وجميع ما يعرف من معلومات وخبران جيولوجية .

اسفل بيتها هزت كتفها وقالت بتواضع - لم يقتنعنى - انها كانت ليمونة فى بلد قرفانة ! .. ثم قطعت ابتسامتها فجأة وحملقت فى وجهى طويلا وتغافلت عن اقترابى الشديد منها

وتركنتى أتبل خدها فى لثمة سريعة ، وكان باردا وكانت جفونها  
ترتعش .

وحددنا موعدا فى اليوم التالى .

غير أنها لم تأت . كانت لثمة الخد هى آخر تقارب بيننا .

رأيتها بعد ذلك فى سيارة زميلنا فريد - وهو الذى يبحث  
فى استخراج المواد الغذائية من البترول - وقد عادت الى طلائها  
وباروكتها !!

وعندما قابلتها فى المركز حيتنى ثم سرعان ما تشاغلتنى ،  
ولما لم أنصرف نظرت الى وابتسمت ابتسامة حلوة ، أظن  
ذلك ، ولما لحق بها فريد أعطته الابتسامة الحلوة ، واندمجت  
معه فى حديث كان من الممكن أن أسمعه بوضوح : إذ أنها أبدت  
حماستها للون قميصه - كان فريد انيقا فعلا - ثم بلمسة سريعة  
أحكمت وضع ربطة عنقه ، وجعلت لا تنظر نحوى الا برمقات  
عشوائية لكنها مدققة ، فخطر على بالى أنها تعمل على اغاظتى  
وأثارة غيرتى ، وطاردتنى الحقيقة الهندسية :

بان اية دائرة لا يكون لها الا مركز واحد .

قلت فى النهاية : هى بنت مصرية نكره الوضوح ، كان من  
نصيبى أن أراها وهى تتخلص من تنكرها ، وهى تخلع آخر  
مبتكرات الموضة وهى تلفظ تعليمها الجامعى وحديثها عن الزهور  
والموسيقى ، وتلقى بكل ذلك لأرى النقيض ، البنت المصرية لها  
حياتان : حياتها المعروضة للعلاية وأخرى خاصة بها تموت  
بسرهما ، وانها تجعل من التعليم شهادة توظف تعطيها عريسا  
أفضل !

حتى هذا الراى لم ارتح له ، ورايت انه وليد الغضب ،  
وراجت نفسى متمردا على التعميم ، وصرت اختلق الأعداء فى  
تخلفنا الحضارى .

لكن الأمر المؤكد لى الآن أن نبيلة تعيش حياتين ، بوجهين  
مختلفين ، ولم يكتب لى التوفيق لفهم أى من الوجهين ، واکاد  
أقول كليهما ، وان كانت تريد أن تهجرنى فلماذا تركتنى أقبلا  
آخر مرة؟! .. مازال حبها فى قلبى ، فما دخل عسيرا لن يخرج  
يسيرا .

عادت أميرتى - بالأمس - الى زيارتى قبل النوم ، كانت  
الخميرية واسعة العينين كما هى ، رقيقة الجسد مشدودة الثديين  
يشبه بسمة على الخدين فيهما الطيبة والوفاء - دائما - طلبت  
منى الا احزن لأن هذه الأمور تحدث فى جميع العصور .. وفى  
الصباح بينما ادخل دورة المياه بجريدة الصباح فى يدى ، قلت  
ان هذه الاميرة لا اكثر من نقش فوق حجر لا يتبدل .. وكانت  
الجريدة مكتظة بكل الأخبار الشاذة من حروب وسرقات وخيانات،  
ومقالات كلها تدليس ، واعلانات مبوبة لبضائع مهربة توحى  
بسوق سوداء .

٢ - سعاد :

( الشاذ يخلق الشاذ )

وحدى على الرصيف ، والأتوبيس يبتعد به وبها ، تركنى  
كالهارب دون كلمة وداع ، من الجائز أن الناس لاحظوا ، كم  
هو قاس ! شرير ! .. وكنت سأعطيه حنانا بلا حدود .

خدعنى انطباعى الاول . ظننته رقيقا طيبا ثم وجدته مثل  
الآخرين ، بشعا مثل ملابسه ، كل الباحثين التفوا من حول  
نبيلة ، حاصروها بفزلهم المكشوف والمستتر ، وهى ليست  
الجميلة الوحيدة بالمركز ، لماذا هى بالذات ؟ !

كنت اظن نظرتها العجيبة هى السبب ، تسهم طويلا الى  
كل رجل كانها تواعده ، ثم اكتشفت شرى وسوء ظنى ، فبى  
كليلة البصر وبسبب عنادها ترفض استعمال النظارة ، ويضطرها  
ذلك أن تقترب من وجه محدثها فى نظرة متفحصة تطول كى  
تستوعب ملامحه ( اظن أن الرجل يفسرها - بفروره وسخفه -  
على أنها انجذاب اليه وانبهار به !! )

لكن نبيلة فى مواجهة الرجال أنثى كاملة . بسرعة مذهلة  
استحوذت على مهابى ، وبدلت حاله وجعلته كالأخرين ! الم  
يكفها الجميع ! ؟ .. كان عليها أن تتركه لى ، شريرة مثله .

لكنه هو الذى تمادى فى الالتصاق بها ، وكان رقيقا معى  
ثم صار فظا ، وكم صبرت عليه الى أن يئست منه . كنت  
سأغمره بحبى وحنانى ، اننى مليئة بالحنان ! .. المجرم !!

اردت الابتعاد عنه وعنهما ، كان عليها أن تختار ، وكنت  
ساقول لها راى بصراحة ، ولم أفعل . حاولت مرات ، ثم رأيت  
أن تجنبهما أسهل وأجدى ..

أخذتنى جانبا وقالت :

حبيبتى سعاد .

( قالت حبيبتى سعاد !! )



– حبيبتي سعاد ، أنا أحبك ، لماذا تبتعدين عني ؟ !  
كسبت رأسي ، كنت مصممة على عدم مناقشة الموضوع  
معه ، قادرة هي على اقناعي ، قالت :

– أخمن ما فعلته معي ، وجهت لي تهمة في سرک ولم  
تخبريني بها ، ثم أقمت لي محاكمة في رأسك ، أنت فيها القاضية  
وموجهة الاتهام ، وكان حكمك انى مدنية فغضبت منى !!

ذكية هي ، حتى في ابجائها تعمل قليلا وتستوعب كثيرا ..  
استطاعت فيم السبب . قالت :

– أحبك . وان ندع اى ثالث يتدخل بيننا .  
وكانت رفيقة معي ، قالت :

– بيت خالك في مصر الجديدة بعيد عن المركز . اقضى فترة  
الظهيره معى في الدقى ، بيتى هو بيتك ، وامى هي امك .

ورایت صورة والدها في اطار أسود ، وفي غرفتها كانت له  
صورة على الحائط وصورة أخرى بجوار كتبها .

ورحبت أمها بى وعطفت على كثيرا . قالت :

– أبعيدة عن اسرتك يا مسكينة ؟؟

فأجبتها باننى اسافر اليهم في اجازاتي التي تزيد على  
اليومين ، ثم شرد ذهنى الى مهاب : تعبت من الغربة ومن الانزواء  
في غرفة وحيدة ، حلمت بشقة كاملة ، خاصة بى ، أتحرك في كل  
مكان فيها بحريتي . أطبخ ، أقلع عاربية ، أغنى أو أبكى كما  
أشاء .. حلمت بشقتى الخاصة بى وبه ، ورأيت معى في نفس  
المكان ، أرفع رأسى فأراه يهم بتقبيلى ، أحيانا يهنرنى ، ويأتى

في بطنى بطفلة جميلة تخفف عنه ماله حينما يقدم بنا الزواج .  
الغبي !!

ساعة الغداء اطعمنى امها حتى اتخمت واشتقت الى  
التمدد ، وعرضت نبيلة ان ارتدى احد قمصانها ، لكنى تمددت  
بفستانى ( كم هى لطيفة ) .. قبلتنى فى ود ثم استلقت الى  
جوارى وتهدت :

– لن ندع ثالثا يفرق بيننا .

ثم اخذت اناملها تداعب شعرى ( دغدغنى ذلك ) حتى  
شعرت بالنعاس وكدت انام ا ومن فوره جاءنى مهاب ، وكان  
يبتسم ونام بجوارى واخذ يمرر اصبعه حول شفتى وتركته  
يفعل ذلك وانا منتشية ، ثم اعتدل لأرى الحنين والحب فى عينيه  
ووجهه هبط نحوى ليقبلنى ويسعدنى ، ثم نهرته فى دلال كى  
يلتفت لأناقته وقلت له ان ذقنه يشكشكنى ، فعادت شفثاه  
تهبطان فوق شفتى ) .

وعندما فتحت عينى وجدت نبيلة ببسمة المشعة ودا  
تقول :

– كالطفل الصغير نمت فى حضنى . كنت أسمع تنفسك  
منتظما وقريبا .

ثم هبط وجهها نحوى فى حنو وحب وقبلتنى فشممت  
رائحتها ..

وتعودت على قضاء ما بعد الظهر عندها ، انتظارا لموعده  
عودتنا الى المركز .. ومرة اشتكت لى من الدكتور المشرف على  
بحثها ، يعاملها بجفاء ويتهمها دائما بالدلع ، قالت ان تخصصه

في الجيولوجيا طبعه بالتحجير ، وقالت انها تظن أيضا أن الأطباء رقيقو الغلب بسبب تعاملهم مع الانسان . لم اوافقها على هذه النظرية ، فأخذت تكرر تبرمها من الأستاذ ومن كل الرجال أيضا ، وصرحت بأنها تمنى لو صارت رجلا لأن الرجل مازال هو المييمن على المرأة ومازال هو الأقوى في المجتمع ، قالت :

– مهما تحدثنا عن المساواة فالكلمة العليا له ، فما بالك ونحن في بلد متخلف !

ونهضت واحضرت لى مجلة مطوية الأطراف مفتوحة عند صفحة معينة وقدمتها لى ، فرأيت صورتين متجاورتين : الأولى لفتاة متأنقة مسرفة فى تبرجها ، والثانية لنفس الفتاة بعد أن أجرت جراحة بسيطة حولتها الى رجل فقصت شعرها ونبت الشارب والذقن وكانت – أقصد وكان – متأنقا أيضا .. فقلت فى سرى ان الفوضى عمت العالم - الرجل ينقلب امرأة ، والمرأة تصير رجلا ، والأخ يقتل أخاه ، إنها دلالات الساعة ، والشاذ يخلق الشاذ .

همست نبيلة :

– حقيقة أود أن اصير رجلا ، أسيطر .

ومرة اخرى مكثت صامتة ثم فجأة ( ولا ادرى لماذا ؟ ! ) مزحت قائلة : ان الأرض مؤنث والماء مذكر لأن الماء هو الذى يروى الأرض ويجعلها تخرج الزرع ، وعلى ذلك فالعافر والعقيم تعتبران جنسا ثالثا لأنهما لا تنجبان . لم اوافقها على هذه الآراء أيضا ( ولا ادرى ما الذى جعلنا نفكر هكذا !! ) .. الا انها جاءت الى جوارى وجعلها ضيق السرير تلتصق بى ، وأخذت تداعبنى برقتها المحببة . كان الوقت صيفا وشممت عرقها

ورأيت مسام جلدها الأبيض ، وتأملت شعرها الأصفر البناعم ،  
وقمت بفرده فصار طويلا غطي كتفيها وتهدل فوق صدرها  
الناهد ، جميلة بالفعل هذه البنت ، أنثى .. ولهم حق - الرجال  
وهذا المهاب - في ان يشقوها .. اهانتى وتجاهل اقبالى عليه  
وقفز اليها ، وانا لا استحق ذلك .

قالت نبيلة :

- سأقاطعه من أجلك لو رغبت

( لو كنت مكانها لما فكرت في هذا الكلام ، ولاخترته هو  
من غير تردد ) .. لكنه أخذ يحايلنى ، من أجلها أخذ يحايلنى .  
فعدنا نتقابل نحن الثلاثة ، وقالت لى :

... سأتركه فوراً اذا طلبت منى ذلك .

لو كنت مكانها لتمسكت به ، لكنه تمسك بها ذليلاً ، كيف  
لم يدرك ؟ ! كيف لم يميز التى تحبه من التى تتسلى به ؟ ! مع  
أن صيته فى المركز انه عبقرى عظيم فى ابحاثه ! فهل يكون  
الانسان ذكياً فى العلم مقلداً فى أمور الحب ؟ !

صرت عاجزة عن فهم هؤلاء الرجال مع أنى كثيرا ما حلمت  
بهم ، من قبل أن ينبت ثدياى وأنا مشغولة بهم ، طالما تخيلت  
نفسى مع فتى جميل أنيق لا أذكر شكله جيدا ، يقابلنى أوقاتا  
فى الخلاء بعيدا عن أعين الناس ، ويأخذنى فى قارب يهيم على  
هواه تحت شمس دافئة وطيور تغرد من حولنا وحمامة بيضاء  
تحط على الشراع ، وهو يحدثنى همسا عن حبه لى وكفه  
تضغط كفى فى اشتياق ثم يميل لتهبط رغبته نحوى مع شفثيه  
ليقبلنى فى لهفة .

وكم كنت خجولة عندما رأيت ابن خالى لأول مرة فى  
البيجامة ( وكنت فى بداية قدومى الى القاهرة للدراسة الجامعية،  
وأفرد خالى غرفة لى فى شقته ) .. وكم زاد خجلى وحيائى  
عندما شاهدته يخرج من غرفة نومه مستيقظا فى الصباح  
وبيجامته مشعنة وشعره مرتبكا فوق جبينه ، كان رجلا - ليس  
أبى أو أخى - ينهض من سرير ! .. وكم دق قلبى سريعا عندما  
رأبته يخرج من الحمام !! .. لكنى مع ذلك لم أحلم به رغم أنه  
أجمل من مهاب الخشن الفظ !

وفى الجامعة كنت أتضابق من عيون التلاميذ ( وأبضا كنت  
أسعد بها ) .. الا أن القتى الجميل غير محدد الملامح ظل يرادنى  
أثناء النوم ، وأحيانا أثناء ركوبى الأنوييس رغم شدة الزحام  
وضغط أجساد الركاب على جسدى .

لكنى أحببت سمر بمجرد أن فتح لى باب شقتهم ، سألته  
عن أخته سميرة فأضاعت عيناه وهو يأخذنى إليها ، ثم ظل  
يخترق الأعدار ليدخل إلينا ويتسم لى - بعينيه الجميلتين -  
ثم جلس معنا وأخذ يمازحنى ، واسترحت إليه ، وصرت أنا  
أخترق الأعدار لزيارة أخته ، ثم قابلنى مرة عند خروجى من  
المركز - قال أنها الصدفة - ولم أمانع فى الذهاب معه الى  
السينما ، وبعد خروجنا تسكعنا فى الطرقات سويا ، وظللت  
سعيدة باقى اليوم ، لكنى فى المساء تنبهت الى نفسى ، كتبت  
سأحبه ، والله كنت سأحبه وهو ليس من دينى ، وأنا غير مستعدة  
للدخول فى المشاكل مع أسرته وأسرته ومع الناس وفضولهم  
اللزج وتزمتهم المريض ، تكفىتنى متاعب البحث الذى أعده ..  
وظللت أياما كثيرة أقاوم عينيه وبسمته ، أطرده صوته من أذنى  
وتلميحائه الغزلية من وجدانى ، كم قلقت ! .. قبل النوم كنت

أنوح باكية : لماذا يا رب تفعل ذلك ؟ ! لغات متباينة وأديان  
عديدة والجميع يتحفزون !! وكان يمكنك خلق النأخى !! ..  
صار شدوذ الشيء هو القاعدة !

ابن خالى أيضا حمام من حول غرفتى . يتحين هلدوء  
الشقة ويتقرب منى ، مرة جاءنى فى سكىنة اللیل وكنت اذاكر  
والجمیع نيام وحاول تقبیلى ، رأیت عینیه تحملقان رغبة من  
وجه شاحب متوتر ، وعندما مد یدیه یلمسنى شعرت برجفة  
أصابه ، ولما نطق بكلمة أحبك كان الصوت جافا وشاذا  
ولم یكن صوته أبدا ، ونفرت منه . لمست شفاته عنقى لكنى  
هددته بالصراخ ، فسكت ثم عاد الصوت الخائف یقول أحبك ،  
ثم انسحب ( وفى الصبح لم یقم عینیه فى عینى ) .. ولو كان  
دخل غرفتى فى هدوء وجلس بجوارى وهمس وانقا بكلمة أحبك  
هذه ، لو فعل ما فعل بحس مرهف لربما لنت له ، لو هیأنى  
نفسیا وأدخلنى فى جو الغزل لربما تركته یقبلنى ، لكنه لم  
یصل حتى الى رقة الطيور أو القطط ( تبعت یوما قطا مكث  
یطارد قطة لأكثر من عشر دقائق ، وكنت بشرفة دارنا فى البلدة ،  
والقط یقترب ویهز ویقفز من حولها ویسبقها یتخلف عنها حتى  
رضیت واستكانت له . رأیت أيضا الدیک الرومى فوق سطح  
دارنا ینفش ریشہ ویدور حول أنثاه فى دورات غزلیة . والحمام  
والعصافیر والماعز وكل الكائنات تفعل المثل ، الذکر یهیء  
أنثاه بالأصوات ، بالحركات ، بالرائحة ، فلماذا لم یفعل ابن  
خالى ؟ ! ) .. ووجدتنى فى المعمل اترك ملاحظة تجربتى وأنوح  
فى أعماقى بأن هذا الكون قد تم توزیعه بطريقة سیئة وسخيفة ،  
لماذا لم یكن سمر شقیق سمیرة هو ابن خالى ؟ ! اذن لانتهى  
الامر وأحببته وتزوجته ولصار هو رب شقتى التى یمكننى أن

أظع فيها نيايى دون حياء : والتي يمكنى أن أرتبها وأنسق  
!ثانها حسبما أريد وعلى هواى ، لكن الحال يأتى دائما  
مقلوبا !!

احترت : لماذا يضعنى الله فى الوضع المعكوس ؟ ! ولماذا!  
يتركنى للمرة الثانية أحب رجلا غير مناسب ؟ ! هذه المرة  
يحب أخرى لا تستاهله !! رجل شرير قاس رفض توددى وتركنى  
اتسكع فى الطرقات وحيدة .

لن أعود الآن الى بيت خالى البعيد ، حالتى سيئة ، فأين  
أذهب ؟ ! .. لن ادخل مرة أخرى شقة نبيلة ، والى أن أموت  
لن ادخلها ، فلتتزوجه ولتأكله ان شاءت ، ويمكنى قتل الوقت  
الممل بالسير فى محاذاة النيل ( وكم حلمت بفتاى فى مركب فوق  
مياحه ) .. ذلك النهر هو الذى جعلنى حاملة ، يمضى فى بطء  
دون مفاجآت كحبة خائفة خاضعة ، لو كانت به الشلالات  
والجنادل والتماسيح لاختلفت أحلامى ، لتبدلت من بطيئة وردبة  
واقعية الى أخرى نشطة متحركة ، وربما كنت حلمت بأن الجندل  
قد شطر قاربى نصفين وبأنى قد صرت وشيكة الفرق لولا فتاى  
الشجاع يسبح خلفى فى قوة باسلة وينتشلنى من برائن الشلال  
الجارف ، فى آخر لحظة يتقدنى ثم يحيطنى بجسده ويهبط حنانه  
مع شفثيه ليدفثنى ..

يا لخيبتى ! أعود ثانية للأحلام وأنا سائرة فى عز الحر .  
وحيدة ، بنت حاملة تتخرج من كلية عملية !! الحال المقلوب  
يطاردنى !!

ويوم أخذنا قاربا - هى وهو وأنا - لم تأت العصفير  
لتفرد من فوقنا ولم تحط الحمامة البيضاء على الشراع ( ولن

يكون في هذه المدينة الدخانية حمام ابيض في اى يوم من الأيام القادمة ) . وبعد اقل من عشر دقائق كادت الشمس النارية أن تقتلنا ( حتى الحدائق تختفى وتتحول الى مواقف للسيارات المزعجة ) .. وكان كل خوفه عليها هي ولم يابه بي ، وحاول بشتى الطرق أن يحجب الشمس عنها ( ومرة كدت أختنق من عادمها ) .. هذه الملعونة ، لا يعرف ان جسدها ناعم بالصنعة ؛ جسدى املس بالخلقة ، وقد لمحت الشعر القصير نابتا في ساعديها وساقيا ، رأيت ذلك بنفسى : أنهمكت هي أمامى ( عصر اليوم الحار ) ولأكثر من نصف ساعة في ازالة هذا الشعر الأصفر حتى صار بدننا خاليا منه .. رأيت بنفسى هذه العملية المرهقة .

ولما لمحتنى في المرآة أحملق دهشة ، قالت في بسمة شاحبة :

– يقول المثل : بارك الله في الرجل المشعر وفي المرآة الملساء، جسديك ناعم فأنت مباركة .

تفحصت نفسها في المرآة وضحكت تخفى توترها :

– أما أنا فملعونة .

كان صوتها متهدجا فعطفت عليها وقلت بأن هذا مثل فيه تحيز ، اخترعته امرأة ملساء نكاية في الأخريات !! .. لكنى في سرى حمدت الله لأن جسدى كله املس ، لست في حاجة لفعل ما تفعله ، أما هي فملعونة ، وأنا اكرهها واكرهه ، ولتفرح به وقد قفز لاحقا بها ، ولن ادخل شقتها ثانية ، مهما اقتربت قدمائى من بيتنا ، لن اذهب اليها والى ان اموت .. الملعونة ، نبيلة ..



( الضحك الزائد يسيل الدموع كالبيداء )

كثير من صخور التربة تتجاور ولا تتفاعل مع بعضها ،  
والقليل منها يتحد لينتج مركبا جديدا فيه خواص من الاثنين .

عندما وقف يودعنى تركته يلثم خدى ، لعله يظن انه  
غافلنى ؛لكنى تركته يقترب منى ، وكنت ساعده يقبل شفتى ،  
كانت فكرة ان أهجره قد رسخت فى ذهنى ، وكنت أريد ان  
أختبر أحاسيسى نحوه بصفة نهائية ، فعلت ذلك فى صدق ،  
الا ان لثمته لم تتعد تلامس سطحين فى نفس درجة الحرارة ،  
لم أشعر الا بموقع اللمسة ولم يتعد أثرها أكثر من ذلك ، وظلت  
نبضات قلبى فى سرعتها المعتادة وظلت دورتى الدموية فى سيرها  
الطبيعى ، لم تنحسر الدماء من أطرافى أو تندفع الى رأسى ،  
ولم يأتنى بالدوار اللذيد ، فقلت لنفسى جسدى لا ينجذب الى  
جسده ، من المؤكد اننى لا أحبه .

فتحت باب الشقة بفتاحى - سمعت صوت أمى آتيا من  
المطبخ تئن من روماتيزم ساقها - وقررت فى نفسى أن أقاطع  
هذا الرجل وانهى علاقتى به . شعرت بدمعى ينسال فوق  
خدى ، حزنا على شيء غامض فى داخلى يتخلخل ويتقلص ويموت،  
حبنى لرجولة هذا الرجل وكان قد بدأ يشدنى الى عالم  
كنت أنفر منه !

ولكن كيف حدث أن جذبنى طوال الفترة الماضية ؟ !

بنظرة من سعاد تنبهت اليه ، وكان يدخل الى حديقة  
المركز . كنا نقف قرب المدخل ، فى وسط مجموعة من الزملاء

ترتفع ضحكاتهم بآراء مرحة ، وكان حسين يقول ان الحب وهم يخافه خيال مريض ، اوله هزل وآخره غم ! .. ضحكنا وتفاسح سامى : انما الحب اعوجاج هو علة نفسه ، لا يصلح معه نصح او افتاء .. فمطلق عليه عوض : اطلبه لعدوك ، عقرة الحب مثل عقرة الكلب المسعور ! .. الوحيد الذى تكلم فى جدية وأسى كان ابراهيم ، قال ان الحب حالة عاطفية لا تعيش فى غير المناخ الموضوعى المناسب ! .. ثم لاحظ فريد أن جميع الواقفين غير متزوجين !! ، نظر فى عيني باصرار خبيث وقال :

– ومن واجب البعض أن يتزوج .

لذت بنظراتى الى سعاد لأجدها فى نظرة متوترة تتابع بها مهاب الذى عبر الحديقة ثم اختفى فى باب المبنى . قلت لنفسى لحظتها : يكاد وجهه ان يذكرنى بشىء ما او بانسان ما ..

لذلك اعترضت طريقه بعد الظهر ، ارتبك وتلعثم كطفل صغير وبدا فى لخمة البنت حديثة المراهقة ، فاستلطفته ، لكنى لم ارحمه وانتقادت طول ذقنه وقلة أناقته وبقع عجيبة تلطخ اكدام قميصه : اغاب الظن أنها من فعل المواد الكيماوية ، ولما اخبرته بأن احد المخترعين قد ابتكر جهازا لتصفيف شعر الرأس رخيص الثمن اسمه « المشط » احمر وجهه ومرر أصابعه بين شعره الأسود .. وكانت سعاد معى ، وكانت ترتبك بارتباكاه !! وكلمة تحدثت تقلقلت نظراتها لتستقر على شفتيه !

وفى اليوم التالى بدا كأنه نسى كل ملاحظاتي ، جاء نعتسان وأظنه لم يفصل وجهه فتبعته حتى معمله – دون سعاد – ابتسم فى وجهى ورايته – ولا ادرى لماذا ؟! – ساحرا .

حدثني كثيرا عن دودة القطن وتجاربه للقضاء عليها ،  
وأراني في فخر وزهو دوده العقيم والذي قام بتعقيمه ، شارحا  
أن تعقيم دود القطن هو السبيل الأمثل للفتك به اذ سينقرض  
دون أجيال جديدة . حملت الى هذا الدود فوجدته أقوى  
وأضخم من المعتاد !!

ضحك وسأل :

-- هل تعرفين سر قوة البغال ؟؟

هزرت كتفى . قال :

-- ذلك أنه جنس نالك ، عنين ، لا هو بالذكر ولا هو  
بالأنثى .

حملت في عينيه :

-- أهي قاعدة ؟؟

-- ربما ..

-- أتسرى اذن على الرجال الأقوياء ؟؟

فأبعد نظرائه عنى ، ومرة أخرى قلت انه يكاد يذكرني  
بشيء ما ، لكن ما هو ؟؟

وفي الأتوبيس قال انه لجأ الى حيلة التعقيم هذه لأن  
الدودة -- بمرور الوقت -- قويت مناعتها ضد المبيدات .  
تفلسف قائلا :

-- هكذا حال الانسان مع سموم مدينته ، يقلقه الضجيج  
في البداية لكنه سرعان ما يألفه ، وسرعان ما يتأقلم مع الدخان  
والزحام ، ويصبح الشاذ مألوفا .

كان يكلمنى بصوت مرتفع ففوجئت براكين يدخلان معنا  
في الحديث ، لبندمج هو معهما ويكاد ينسى وجودى !! .. لكنه  
بعد ذلك تعلم كيف بتائق ، وبانت عليه وسامة الرجال !

اهتم بى ونسى الآخرين ، لكنى لم اكن اريده ان يفعل ذلك  
مع سعاد ، كان يتجاهلها بطريقة مؤلمة ، وان حدثها ففى  
اقتضاب واحبانا فى جفاف .. نبهته الى ذلك اربع مرات : المرة  
الأولى فعلتها فى حرص وبطريقة غير مباشرة ، والمرة الثانية  
فى كلمات محددة وفى هدوء كبير ، ثم لفت نظره قائلة :

ـ فلتعلم ان الاهانة لسعاد اهانة لى .

كنت حاسمة ، وعندئذ حاول ممارسة الضغط على  
مهددا بالقطيعة ، حذرته :

ـ أرجوك : لا تضعنى فى موقف المفاضلة بينها وبينك .

الى ان قفز الى الاتوبيس لاحقا بى !! .. مبتعدا عن طفلى  
الحبيبة التى وقفت على المحطة واجمة ، ومن المؤكد انها  
بكت ، ولولا اسراع الاتوبيس لقفزت انا اليها . كان فظا :

ـ فظيع .

كررتها له ثلاث مرات ، فسكت لمسافة محطة كاملة ثم بدأ  
يحاول تلطيف الجو ، روى كل ما يعرفه من مفارقات مضحكة ،  
قال نكتة ضحك لها حتى دمعت عيناه ، والاسراف فى الشيء  
ينقلب الى الضد ، لذلك لم ابتسم .. وهربت من صوته الى  
والدى ، فتداخلت البيوت امام ناظرى ، ورأيت أبى ، الحبيب  
الذى .. رحل وتركنى .. وأواجه هؤلاء الناس .. الرجال ..  
وكان قد داعب .. شعرى الأصفر .. وقال :

– أنت يا نبيلة أجمل ما جئت به الى الحياة

وعندما مرض ظل كلما جلست الى جواره ينظر الى وجهي  
طويلا ، وكان اسمي هو آخر ما نطق به قبل أن يرحل ،  
ويتركني .. للناس .. الرجال .. وحدي .. بأمي التي لا تغادر  
المطبخ الا الى السرير لتأوه من روماتيزم الساق .. أما أبي  
فكان يبتسم دائما في وجهي ، حتى لو كان يتألم ، ويهمس :

– أنت اللمسة الرقيقة في حياتي ، الهمسة الناعمة .

وكان يعامل أمي برقة ولا يمل من سماع شكواها ،  
وكان يحب أن يدفعني الى البوح بشكواي كي استريح ، قلت له :

– أبحاثنا التي نجريها يقتلوننا فوق الأوراق ، فتحولنا  
الى الكسل وشرب القهوة وقراءة الجرائد المملة !

قلت له :

– كرهت الفوضى والقناعة بالجهل وسوف أهاجر  
يا أبي .

صمت طويلا ثم قال :

– ما يرضيك يرضيني ، لا أخشى عليك من أى مكان .  
أنت بعشرة رجال .

فشعرت بالقوة وقلت في عناد :

– بالفعل أنا بعشرة رجال .

تبهنى مهاب الى محطتى فنزلت من الأتوبيس وسرت الى  
البيت وسار جواري مكملا حديثا يبدو أنه بدأه في الأتوبيس .

مد كفه ليمسك كفى فسحبها ، ثم عدت اتركها له  
لأجرب .

كنت أريد أن أصير طبيبة ، أدخل كلية الطب بدلا من  
العلوم ، لكن مجموعى رمانى الى قسم الجيولوجيا والى التربة  
والصخور والبازلت وطبقات الجير والرمال ، والخوف من آفات  
الصحراء وضربة الشمس والدفانة ذات اللدغة القاتلة ، ومعرفة  
العرق وطعم العطش . كنت اتمنى أن أصير طبيبة للولادة .  
أخرج الأطفال من البطون ، البنات والبنين والتوائم ، لكن رغبتى  
أجهضت ، ولا أدري لماذا رغبت فيها ، أما الآن فأنا لا أريد .

أسفل سلم البيت استدرت له مودعة ، وفجأة تذكرت :  
أن وجهه ظل يذكرنى بصخور الجرانيت التى كنت أجرى عليها  
أبحاثى ، اللون ، قسوة الملامح ، اتساع الجبهة ، وهذا  
الصدغ ! .. تفحصت لونه الجرانيتى وكان يقرب من وجهى ،  
يريد أن يقبلنى ، وأردت أن أجرب تأثير قبلته ، لكنه كان  
خائفا ، فرميت بنظري بعيدا عنه ففأفلى وقبل خدى ! ثم  
حاول أن يلثم شفتى ، فلم أشعر الا بأثر الضغطة ، وكانت  
حرارته فى مثل حرارتى فلم ينتقل شئ منه الى ولم ينتقل شئ  
منى اليه ، وأيقنت أنى فيما قبل كنت واهمة معه .. وعلى  
الفور رأيت دوده العقيم يتلوى غليظا قويا فى عيني !!

كالأمعاء عندما تلفظ الأكل الضار ، كالبدن عندما يطرد  
الجسم الغريب ، كالجسد عندما يتخلص من الدم الفاسد ،  
شعرت بهذا الرجل يخرج من وجدانى وبصفة نهائية .

فتحت باب الشقة بمفتاحى ، وكانت أمى فى المطبخ ،

فدخلت مباشرة الى غرفتي مهمومة ، حزينة على سعاد ، كانت المسكينة كلما نكلم تقلقت نظراتها لتحط فوق شفثيه ! ..

استلفيت على سريري ورحت أنظر الى صورة ابي -  
كم هو نبيل ، ودبع النظرة ، بشارب حليق فوق شفثين جميلتين؛  
كان يعرف امنيتي في ان اصير طبيبة ولادة .. وقال لي :

— ستكونين أجمل تلميذة بكلية العلوم ، أرجو ان تكوني  
اكثرهم تفوقا ايضا .

وعقب يومى الأول رأنى اعود قرفانة :

— انها كلية للأولاد ، ليس هناك من بنات غيرى وغير  
تلميذة اسمها تفيدة .

— فهل هى جميلة مثلك ؟؟

— بالتدقيق تكتشف جمالها .

— اما الاكتشاف معك فيجىء فى الوهلة الأولى .

ثم همس ونحن فى الشرفة وأمى تتأوه فى غرفتها :

— أرجو أن تثقى بى يا نبيلة ، وأن تحكى لى عن كل  
ما يطرأ عليك دراسيا .. وعاطفيا .

وبعد برهة عاد يهمس :

— لأن معظم النلاميذ سغازلونك ، وهم فى الحقيقة  
معدورون .

وهذا ما كان ، وكان تقربهم مسليا ممتعا ، ثم صار مملا  
مضجرا . وتقربت من تفيدة ، وصارت تترتاح لى ، وعند

التخصص التحقنا بنفسم القسم ، وصار تقاربنا التصاقا .  
كانت طيبة مطيعة وكنت أذاكر معها ، تأتيني هنا أحيانا وأذهب  
إليها أحيانا ، وقرب الامتحانات كنت أبيت عندها في غرفتها  
البسيطة ، وكنا ننام معا فوق سريرها ملتصقتين ، مرتاحة  
لقربها .. وأحببت كل ما في حجرها .

وفي وقت البرد كان حضنها يدفئ حضنى ، حتى الفتح  
أنفاسها وأحسست بمعظم أحلامها ، يقضى الإنسان نصف وقته  
حالما - وكان يلد لها أحيانا أن تدفن أنفها في ابطنى فكنت أعطره  
لها - وكنا في دقائق ما قبل النوم وما بعد اطفاء النور نتحدث  
عن بعض الأولاد في الجامعة ، وكانت هى تحب الحديث عن  
الولد عماد المراهق الذى كان يطلق نصف لحيته من باب لفت  
النظر إليه !!

ثم تخرجنا معا ، وعملت تفيده بالتدريس وتزوجت ، ولم  
أرتح لذلك فقد كان زوجها غير مناسب لها ، وصدق حدسى ،  
اذ وجدتها تتجنبنى وتبتعد عن لقائى - أنا حبيبتها  
نبيلة !! - وعندما زرتها آخر مرة تلقنتنى بارتياح وخرج ! من  
بعد أن قابلنى زوجها فى جفاء غير مبرر ، كان يقول أنه لا يطمئن  
الى الصداقة الشديدة بين فتاتين ؛ فكرهته وتركتهما ولم  
نتقابل الا مصادفة .. وقاومت حزنى منها حتى كرهتها أيضا  
بمثل ما كرهت رجلها .

وصرت أقوى عزيزتى دائما بقول أبى : اننى بمثل  
عشرة رجال .

لكن أين هى الآن - حبيبتى سعاد - كم أحن إليها ؛  
لو تأتينى الآن ، لو یرن جرس الباب وتفتحه أمى لتجئ الى



غرفتي فتنتعتن على الفور أحاسيسي ويزغرد كل جسدي وئصير  
الغرفة جميلة والهواء عطرا ، وأضمها الى حضني أحيلها ؛  
أدقء أناملها بكفى ، أريحها من فستانها الضيق ، ويطمئن جسدها  
الصغير للصقني ، ويجيء أنفها في صدري تنهار فيه صامته كولد  
صغير وتهدأ رجفتها ، الحبيبة البائسة .

أغلقت باب الغرفة واستدرت صاعدة الى السرير ، الحزن  
في وجهها المنكسر ، والدمع يلمع في عينيها . أنفى يهبط مداعبا  
أنفها ، تبتسم ، فتغرورق عيناى ، ويبلل الدمع أهدابها وترف  
نظراتها .. المسكينة .. المستكينة .. أحس بحيويتها ، فتاة  
نضرة ، ممتلئة حنانا .. أداعبها بكلمات عطوفة ، فتتجه  
بانظارها .. الى شفتي .. ثم تفرد بضحكة واهنة .. وتتكمش  
في جسدي .. وأشعر بكفيها فوق ظهري .

## نبض الجناح

كنت قد اظلمت فوقى ، وأرجعت مسندى حتى آخره ،  
ثم اغمضت عيني .

رفض النوم أن يأتيني . عدلت مقعدى . كل المصايح  
مطفأة ، عدا المصباح المجاور وعدا مصباح قريب جذب أنظاري ،  
كشف نوره عن شابة جميلة من تحته ، أعجبنى جدا « بروفيل »  
وجهها . نظرت الى ظلام الخارج قرأيت صورتها منعكسة في  
زجاج النافذة المستديرة ، كانت مستغرقة في القراءة . عدت  
اليها : شقراء ، رقيقة الملامح ، رفيعة العنق ، عالية الجبهة .  
تذكرت أختى بشعرها الأسمر القصير وشفتيها الممتلئتين وأبى  
وأبى يلوحدون لى بأيديهم فى انظار .. لكن الراكب الى جوارى  
نظر الى من فوق نظارته وهمس :

- ارى أنك لا تستطيع النوم ؟ !

- نعم ..

- مع أننا تجاوزنا الثالثة بعد منتصف الليل !

- نعم ..

- ومع أن معظم الركاب قد راحوا في النوم !!

- يختلف الناس .

تلفت حوله محرجا في همس :

- أنا أيضا لا يأتيني النوم في الطائرات .

اغلق الملف الذى كان يقرأه ، وحتره في الشبكة المثبتة بظهر المقعد المقابل ، وهمس :

- فهل يضايقك أن نتحدث معا ، همسا حتى لا نوقظ النيام ؟؟

ترددت وقتا ثم همست :

- أبدا ..

وبكت أمى وهى تودعنى وقالت : حافظ على صحتك وشبابك .. وفهمت أنا أنها تريد أن تحذرنى من الاسراف في مصاحبة البنات .

خيع الرجل نظائره وقدم لى نفسه ، فعرفت انه يعمل فى التسليح الاحمر . سألتنى :

.. أنت مصرى ؟؟

أومات .. لكنى رايت بيتنا القديم فى أقصى جنوب البلدة ، وشاهدت الكبش الصغير يقفز فوق أحجار المبد المتهدم ،

وشخّلت الشخايل فى عنقه ، وكانت الفجرية الصغيرة تطارده ، ولم يتوقف الا عند الكلا . . كنت صبيا . . وبعد ذلك رحلنا الى القاهرة .

سال الرجل :

– عندكم الهلال الاحمر ؟؟

اومات . .

– كذلك فى تركيا وفى اربع جمهوريات سوفيتية ، اما فى ايران فيحل الاسد الاحمر محل الصليب الاحمر .

– اختلفت الرايات والهدف واحد .

– طبعا . ومن قبلنا كان الجرحى يتركون فى اماكنهم حتى يموتون الما وجوعا ، ولم يكن هناك من يرعى الجندى ان هو وقع فى اسر عدوه ، كانت الامور سيئة ، وكانت الدنيا فوضى ، ونادرا ما كانت الجيوش تنفق على هدنة لسحب الجرحى من ارض المعركة ودفن الموتى ، وفى اغلب الاحوال لم يكن يحدث ذلك ، فكانت الجثث تتعفن وكانت الاوبئة تنتشر مثل الطاعون او الكوليرا .

– شىء بشع .

– كان ذلك فى الماضى ، وكان الانسان فى بداية تمدنه ، اما الان فنحن نستخدم احدث ما وصل اليه الطب كى نقوم بدور اليد الحنون للبشرية ، وذلك فى الحروب وفى كوراث الطبيعة .

– هكذا يجب ان يسخر العلم .

- طبعا . وان كانت هناك حالات لا نستطيع حيالها تصرفا ويقف الطب عاجزا ، كان تصيب الطلقة او الشظية موضع القلب في صدر الجندي ، كأن تكون حروقه أقوى من طاقة الاحتمال البشري ، كان يعثر عليه وقد نرفت كل دمائه أو فصلت رأسه تماما .

سالتني اختي : لماذا تهاجر ؟ ! قلت لها : تعرفين ان كل الأبواب أغلقت .

وهمس الرجل :

- وأسوأ الجنود حقا هو من يتلقى صاروخا فوق نافوخه يقضى عليه في الحال ، أو تدوس قدمه على لغم حديث ينثره قطعا في الهواء ، وفي الحالتين لن نعثر على أى شيء . أنت تسمع عن مدى فاعلية الأسلحة الحديثة ؟؟

- أسمع .

- ومن أجل هؤلاء الجنود الذين يتناثرون تقيم الدول ائتمندة نصب الجندي المجهول ، عندكم منها ؟؟

- عندنا ..

- أنا نفسي شاهدت منها العديد في الدول التي زرتها ، آخرها كان في صوفيا ، في وسط حديقة تسمى « حديقة الأطباء » .. كأنه مسلة فرعونية ضخمة مبتورة الارتفاع ، جدار سميك أصم ، كسا الرخام الناصع جوانبه الأربعة ، وغطت الحروف السوداء بياض رخامه ، وقد راعوا عند بنائه أن يكون رصينا بلا زركشة ، وأن يسع سطحه عددا كبيرا جدا من الأسماء المحفورة عليه .. نصب تذكاري لبعض ضحايا الحرب العالمية

الأخيرة ، من الأطباء الروس ، ماتوا وهم يعالجون المحاربين ضد جيوش هتلر .

– لمسة وفاء .

وقد رأيت سائحة روسية عجوزا تدور حول النصب ؛ كانت ترتدى بالطو من النايلون الرمادي ولم يكن الجو باردا ، وكانت تتكىء على مظلة مغلقة ولم يكن الجو ينبىء بالمطر ، كان يبدو عليها أنها تبحث عن اسم معين بين هذه الأسماء . ظلت تدور وتتفحص بعينيها ، وتجاعيد وجهها تتبدل . انتهت من جانب فاستدارت الى الجانب الآخر ، وظلت أنا مكاني أراقب هذا المشهد ، حتى وجدتها تجمد مكاتها فجأة – ربما تكون قد شهقت – متسمة الأظفار عند اسم معين ، وربما تكون قد بكت ولكنى لم أر الدموع .

– من الجائز انه كان ولدها ؟؟

– أو أخاها ..

– أو زوجها ..

– أو حبيبها ، لا بد انه كان شابا في ذلك الحين ، ومن الجائز انه تركها على وعد بالزواج عند لقاء العودة ، ولكنه لم يف بوعدده ..

نظرت الى « بروقبل » الوجه الجميل تحت النور – لكن البرق في الخارج شد أنظاري ، لمع بسرعة واختفى ولم أسمع رعدا ، شرخ مضيء في سواد كامل على مدى الرؤية ، ومن فوقنا السحب المرتفعة تحجب القمر ، وعندما تتركه ليظهر تقوم أشعته بكثيف السحب المنخفضة. اسفلنا ، فهل تمطر الآن في الأرض ؟؟

ارتحت للصمت .. وفي المطار نهرت اختى امى : « لماذا  
تبكين يا امى ؟ دعيه يهاجر ، انه وسيم وربما تزوج هناك  
ابنة احد الاثرياء » .. لكنها قرب موعد الطائرة انتجت جانبا  
وبكت هي ايضا .

اخذت اتابع لمبات الجناح وهي تنبض في توتر رتيب ،  
حدراء ثم خضراء ، ثم حمراء .. وقاستنى فتحية بنظراتها ،  
ولما رفعت ثوبها اعجبنى فخذاها .. لكنها تواقفت وقالت انها  
تقبض اجرها مقدما .. ثم عاد الرجل يهمس :

— تفوم الحروب مع ان كل الشعوب تمقتها ، حتى في  
امريكا شاهدت الشباب يتظاهرون ضدها ، وكانت لحامم  
طويلة ، لا ادري لماذا لا يحاقونها ؟ .. سمعت انهم لا يستحمون  
ايضا !! .. وكانوا يحملون لافتة كتب عليها : « ارفعوا ايديكم  
عن الشعوب الصغيرة » .

اردت ان اسأله : هل رفعوها ؟؟ لكنى استسهات السكوت ،  
ثم قلت في سرى بان هناك فرقا كبيرا بين من يعتدى وبين من  
يدافع عن نفسه ، وقررت ان اخبر الرجل بذلك ، الا اننى لم  
افعل . وكان الصمت ثوانى ثم عاد الرجل يهمس :

— ليس من حقى ان اهمس لك بما همست . أرجوك انس  
اننى همست لك به .

— اذكر انكم هيئة انسانية محايدة .

— قد اتقلدنا الكثير من شتى الجنسيات والمثل . اذكر  
حالات معينة حدثت معى على وجه التحديد .. منها جندى

أمريكي وجدته في كوريا وقد نزلت دماؤه بغزارة ، اضطررنا الى  
بتر ساقيه من عند الفخذين ، لكننا نجحنا في إيقاف النزيف  
وفي اتقائه وأعدناه الى بلده ، وهو الآن يعيش في صحة جيدة .

شعرت بتلج في اطرافي . وضعت البطانية الصوف فوق  
ساقى .

— هناك أيضا شابة فيتنامية ، أغلب الظن انها بوذية ،  
يبدو أن الفارات الأمريكية أفقدتها عقلا ، فهرعت تلقى بنفسها  
الى النهر ، وكادت أن تفرق لولا أن تصادف مروونا — من  
حسن حظها — فانتشلناها وادخلناها مصحة الأمراض العصبية .

كادت الدماء أن تفر من عروقى .. سمعت صفارة المحلج ..  
وقررت أن أنهر الرجل حتى يكف ، وقررت أن أفعل ذلك بصوت  
جهورى ، لكن ضغط الارتفاع زاد من صداع رأسى وضيق  
تنفسى .. ولما رأينا البوليس يتقدم نحونا بالخمى والخوذات  
جرينا ، واحتمينا بسور المدرسة ونحن نلهث ، لكنهم اقتحموها  
فعبروا الملعب ركضا ، ولما قفزنا من فوق السور الضامى  
سقطنا منهكين فوق العشب البرى قمزقتنا اشواكه .

همس الرجل :

— وهناك أيضا شاب اردنى فى منطقتكم أصيب بالنابالم ،  
وجدناه فى حالة ميئوس منها وقد فقد بصره وتشوه وجهه  
قليلا .. فبدلنا معه المستحيل حتى أصبح قادرا أن يتحسس  
طريقه فى شوارع عمان .

مطب هوائى سخيىف ، هبطت الطائرة ثم صعدت ، فجاءة  
فى المرتين ، فطارت برأسى منفصلة عن جسدى ثم عادت تنفرز



بشدة ، وصعد الثلج الى خدى ، وشعرت بالدوار .. وسألتني  
أختي في عناد : « لماذا » ؟ .. قلت لها : سئمت كل شيء .  
فرصتي أعطيت لغيري ، وفرصة غيري القيت لى .. أريد أن  
أعيش قبل أن أشيخ .

نظرت الى مقعد الفتاة الجميلة فوجدت نورها مطفاً ، فلم  
يعجبني ذلك ، وتمنيت أن يسكت الرجل وودت لو نصل سريعا .  
ونظرت الى ساعتى فعاد الرجل يهمس :

– الساعة تقول : اننا فى عز الفجر ، ولكن الطائرة  
تخترق بعض السحب الداكنة لذلك فنحن لا نرى نوره ، وكان  
من الممكن أن نراه قبل سكان الأرض ، وكان من الممكن أن نرى  
المحيط الآن عند التقائه بأرض القارة وهو من أجمل المناظر –  
أننى أسافر كثيرا وأعرف كثيرا – ولو كان الجو صحوا وزاد  
ارتفاعنا عن ذلك كثيرا لشاهدنا مساحات أوسع من الأرض ،  
رواد الفضاء يشاهدون من سفنهم كل الكرة الأرضية .

سكت الرجل فأعطيته نصف ظهرى مستديرا الى الخارج ،  
ناظرا الى لمبات الجناح النابضة ، وكان الجناح يلج الى سحابة  
شديدة القتامة .. ورايت الكباش الأبيض يقفز .. ودخلت حقول  
القصب .. لكنى حزنت عندما انتهيت من فتحة بسرعة كبيرة ..  
ولما نظرتنى الكباش فى بطنى بقرنيه الصغيرين ضحكتم .. وتآلمت  
كثيرا عندما أدمت الأشواك ساقى بالجروح .. وقلت : هذه  
استقالتى فقبلها الرجل على الفور وكأنه كان ينتظرها وكانت  
عيناه جاحظتين .. لوححت أختى وبكت امى .. ثم جرى الكباش

الأبيض بعيدا .. بعيدا .. بعيدا .. فلم أر شيئا لكنى سمعت  
همس الرجل :

– وقديما كانوا يرحمون من يقول : ان الأرض كروية !!

ضحك ثم تعجب هامسا :

– تصور !! وبالحجارة !!

مارس ١٩٧١

## رأسها فوق صدري

- ٩ -

تحفصني متشبهة بي في عنف ، تنظر الى وجهي طويلا ،  
كفاما فوق ظهري ، ذراعاما تحيطاني . تشدني الى صدرها في  
عصبية . وجهها يبتسم في هلوء . تضحك . تصمت . تبتسم ،  
حطوة ابتسامتها . تتركني ؛ تنزوي جانبا ، تنحس ضحكها  
وتترقق دموعها . انبكي ؟ .. ابتسامتها لم تختف ..

- ذلك من فعل المفاجأة . صدقني . من فرط سعادتي .  
صوتها ، جميل ونيته على أذني . وراء هذه التصرفات  
خوف مكبوتا طوال غيبتني .

صرخ زميلي اشرف ، وكنا في ملجأ الأفراد :

- صرسي يؤلني .

- ٢ -

- ملیة بالعرق هذه الملابس الصفراء .  
- صحتك لیست على ما برام !!  
البنطلون مغطى بذرات التراب الأصفر .  
- لون وجهك تغير كثيرا ، لیس طبيعيا !!  
لون بطنی اكثر بیاضا من ذراعی ووجهی .  
- كل شیء فیک تغير !!  
- أمر طبیعی ..  
- عدا عینیك ..
- أأملها . تبسم . تقترب منی مدققة . تراجع :  
- حتی هما تغيرتا . نظراتك الآن اكثر حدة ، اكثر قلقا !!  
صرخت :  
- حاسب یا اشرف ..  
قال :  
- ... ..  
قال :  
- ... ..  
لم یقل .  
- قلت :

## — حاسب —

الحياة سخيفة بدون أنثى . أمد لها يدي . تندفع بينهما .  
رائحة عنقها . لحم المرأة . خدها ناعم على شفتي . شعرها  
يداعب أنفي ، رائحته . أعود الى عنقها . رائحة البشرة . اغمض  
عيني مشتاقا :

— اجازتى ٣٦ ساعة ..

— فقط ؟ !

— طواريء .

— لو اعرف أنك قادم لتزينت لك .

— ٣ —

صوت المطبخ . جميل أن تعد زوجتى الطعام لى . صوب  
المعلقة يصطدم بالوعاء ، اصطكاك الغطاء به هابطا فوقه : لتكن  
وجبة حافلة احتفاء بعودتى العابرة .

البيت يحيطنى ، فلأملأ صدرى بهوائه . الجدران كائنة  
قائمة عمودية . الستائر حية ترتعش مع النسمة . باب الشقة  
وشرح فى زجاج الشراعة . المقاعد متواجدة ، ملمسها ناعم على  
أصبعي ، لونها جميل ، وهذا خط أسود رفيع يلاصق كل  
خط عريض !! لأول مرة الحظه ، اذكر اللون بصفة عامة . لون  
عيني أشرف كان بنيا ، ام كان عسليا ؟ .. غريبة !! رغم اني  
احبه !! أما لون عيني زوجتى فهو عسلى ، جائز جدا ، بل من  
المؤكد .

أسمع المياه تتدفق من صنوبر المطبخ .

لين ، ناعم ، جسدى مرتاح ، مرتاح فوق هذا الفراش ،  
ظهري ، والآن بطنى .. غاصت انفى فى الوسادة ، رائحة  
زوجتى ، اقدر على تمييزها من بين ملايين الروائح . اسمع  
المطبخ .

كنت اتمسح وانا طفل فوق السرير حتى طرفه ، كنت  
احب ان اميل برأسى ، كنت ارفع غطاء الملاءة المنساب جانبا  
وانظر تحت السرير .. كما افعل الآن .. كما افعل .. الآن ..  
مرة وجدت برتقالة تحت الثنبة فى الصالة ، كان اخى قد خباها  
الى حين ، وبعد ساعة بحث عنها .

سالته :

- عم تبحث ؟؟

احمر وجهه وقال :

- عن فردة الحذاء .

ولما رأتى ابتسم فى مكر ، عرف انها استنقرت فى بطنى ..  
فهجم نحوى بفتة والقانى أرضا .. الا اننى ضربته ..

والآن ها هو أسفل السرير بلا يرتقال !! .. به بعض  
التراب وشبشب قديم .. وصرصار ، كيف أقلت من مطاردات  
زوجتى النشطة ؟ ! هل اقتله بالشبشب القديم ؟ ! ليست عندى  
الرغبة .. ولكن أين القط ؟ ! الملعون يظل نائما حتى موعد  
الأكل فينشط ويعلن عن وجوده ويتمسح !!

اصوات المطبخ مستمرة ، صوت وهاء « يشطف » تحت  
الصنبور .. صوت كوب يمتلىء بالماء . لا اشم رائحة الطعام  
بعد .. الآن وضع الكوب مقلوبا فوق الرخامة .. وزوجتى  
مصرة على الحكى .. وهى تحكى بلهجتها الصعيدية المحببة ..  
منذ ان دخلت المطبخ وهى تقص كل ما حدث - وربما ما لم  
يحدث - خلال فترة غيابى .. « طشيش القدحة » : الله !  
ها هى الرائحة ، وجميل منها ان تتجنب وبذكاء ، سيرة الحرب .

- آى . آى . ضرسى يؤلنى ..

ولما تناولت علبة السمجائر لأخرج واحدة تساقطت منها  
جبات الرمال .

- ٥ -

دورة مياه شقتى ، خاصة بشقتى .. والمرآة .. وماكينه  
الحلاقة ، وسله الملابس المتسخة . الجلسة فوق مقعد المراض  
مريحة - ذلك أصبح مؤكدا الآن - والجريدة فى يدي ، كما فى  
الأيام الأولى .. عيناي لا تقرا ، ترى الحروف ولا تقرا ..  
بالفعل انا سعيد بهذه الجاسة .. سعيد جدا .. ( وهما هن  
هارون الرشيد قادم عبر الحوائط متلألئا بين جواهره البراقة ،  
لا لشيء الا ليرمقنى فى حسد وغيره ! . قلت له : لا تحاول ،  
هذه سعادة لن تعرف مثلها ) .

صوت زوجتى يقترب ، نشرتها الاخبارية تلو ، انتقل  
المؤشر من موجة المطبخ القصيرة الى موجة الصالة المتوسطة  
بذبذبة قدرها .. قدرها .. كم ؟؟

- كم؟؟ قلت كم طول الموجة؟؟ هس .. هس .. ها هو العدى  
يتحدث .. يتخاير .. تمكنت من التقاط موجته بعد أن غيرها  
منذ دقائق .. هس .. دعنى أستمع .

لزمتم الصوت . كان أشرف يعرف لفة الأعداء كواحد  
منهم ، وكان ضرسه يؤلمه .

ماء الدش ممتع .. ( نظرة هارون الرشيد تنتسع حسدا ) ..  
الخيوط الهابطة منعشة ، غاية الإنماش ، فوق وجهى ، فوق  
كتفى ، فوق ظهرى ، وصدرى .. وطعمها لذيد ، ولو زاد  
تساقطها لكانت المتعة أكثر - هناك المياه سوداء بالطين ،  
وأوقاتا صفراء بالرمال - ولن أخرج من هنا .. لن ..  
أخرج .. من .. هنا .. خيوط الماء .. رذاذ الماء ..

لكن ما دامت برائحة الأكل تتسرب فى اغراء من تحت الباب  
فهذا معناه أن الطعام قد نضج ، وقد حان الآن موعد  
اغلاق الدش .

- ٦ -

كما كانت أيام فترة الخطوبة : هذه النظرة الجانبية السريعة  
الممتلئة بالأثوثة وبعض الخجل ! جسدها دافئ ودود .. جدت  
فترة الغياب سحرها فى عيني ، ضاعفت أيام الخطر من جمالها  
مليون مرة ، أرى أحلى امرأة فى تاريخ كل الحياة ، العين ،  
الرموش ، الفم ، الشعر ، الدفن والعنق ، والبسمة .. فلتكن لى .

دفعة خفيفة من كفيها :



- لكننى لم اتناول حبة منع الحمل .

ساحرة الجمال حتى تكلمت !!

تضغط أسنانها على شفتها السفلى .. نادمة ؟ ! .. تنكس  
نظرابها بعيدا عن عيني . تحسين بتسرعك ؟ ! والآن تبالغين في  
خجلك .. وشكلك هذا مضحك ، جميل .

ابتسم . تبسم ، وتدخل نحوى في عطف وتلتصق بجسدى .  
آن لجسدى المشدود أن يستريح بين ذراعيها ، ولأنفى أن يستكين  
في رائحة شعرها .

- ٧ -

أرذل اختراع في العالم هو الضجيج - مرة انفجرت في  
قهقهات عالية ، لكننى لم أسمع صوت ضحكى بسبب الانفجارات -  
الهدوء عظيم ، السكون رائع ، والصمت سعادة ، الا من أنفاسها  
منتظمة الشدو ، والا من أنفاسى المنتشية بالراحة . يداى  
تمتدان نحوها تشدها فى يسر .. تميل الخطوة فوق صدرى ،  
تفتح فمها هامسة بالكلام ، تتولى أصابعى أسكاتها مشيرة فى  
حزم : فليكن صمتا .. وكان صمتا .

هذه الراحة ، ثقل رأسها فوق صدرى ، مداعبات  
أصابعها لشعره الفزير واكتشافها عدة شعيرات بيض به ، رمقاتها  
الهاشة نحوى من لحظة لأخرى ، كل ذلك لم يكن رائعا كما  
هو الآن ، وأجمل منه فى ليلتنا الأولى .

تمد يدها لتطفئ النور . لا أريد الظلام ، لا أريده ، أحب  
النور :

- دعيه ..

تقبلنى فى خدى مطيعة ، تربت برفق وحنو على ، ثم  
تستكين : هل كانت كلمتى مدعورة ؟ ! هل كانت جافة ؟ ! ..  
وهذا الصوت ؟؟ !! تنتفض :

- الجرس .

- اهدئى .

- زائر بالياب .

- سيياس وينصرف .

ندفن وجهها فى انطى ، هذا افضل . وهذه الساعة  
فلتركن بعيدا ، كم الساعة الآن ؟؟ يا خبر !! .. اركنها بعيدا ..  
هذا احسن .. بعيدا جدا بحيث لا اسمع تكتكاتها . وهذا  
الترانزستور الصامت : يوحى الى بالأصوات وينشرة الأخبار ..  
وبالحرب .. فليستقر تحت السرير .. مع الصرصار ..  
الشسارد .

- ٨ -

ضوء الصباح .. يعجبني النور .. هناك الظلام طوالم  
الليل .

- حاسب . حاسب .

شبكة عيني مشتاقة الى النور : لكن نار العيو سقطت على  
راسي اشرف فوق نافوخته . وكان سيخلع ضرسه فى اليوم التالي  
كان .. سيخلع .. ضرسه .. فى اليوم التالي . النور فعل  
مضاد للظلام .. كل طفل يحب النظر الى النور ، ينام فوق

المهد يحملق في الصباح .. انا انظر الى الصباح ، انا احمق الى  
الضوء ، انا ارى اُمى داخل الصباح .. انا طفل صغير .. في  
زمن الحرب القديمة .. طفل صغير .. أبكى صارخا بصوت  
مرتفع مزعج ، يدفع اُمى الى السخريّة : -

- ها هي صفارة الانذار تنطلق .. غارة !!

ازداد حلقه الى الصباح .. انا اغنى منسجما تحت الدش  
بصوتى الأجنس المرتفع جدا ، المزعج .. المراهق .. المزعج  
أترافق .. انا أسوع نقرات اُمى على باب الحمام .. انا اسمعها  
تتساءل في دهشة شديدة عن الكيفية التى انتقلت بها صفارة  
مصنع المدينة الى حمامنا لتنتقل في غير موعدها - وكانت قد  
نسبت الحرب القديمة - فقلت لها : انى انا الذى اغنى وان ذلك  
صوت غنائى الرخيم \*

ضوء الصباح يتلون ! يخفت ! .. ( اشرف ينظر مبتسما ) :

- صديقى العزيز : كيف دخلت النور ؟ ! .. هل خلعت  
ضرسك ؟؟

- لم اخلعه . استرحت من آلامه . ما رايك فى الحياة ؟؟

جدران الغرفة تتحول الى لون فوسفورى غريب !! ..  
السقف يبرق !! عقربا الساعة يقترب أحدهما من الآخر فى اصراع  
قاتل .. تكتكات الساعة .. عقربا الساعة يتصخمان !! ارى كأننا  
عجيبا مشما سخيف المنظر ، ينظر الى زوجتى !! .. اصابعه  
طويلة رفيعة كثيرة العدد !! يمسك رأسى ككرة صغيرة ، لا يرفع  
نظراته عن زوجتى .. لا .. يرفع نظراته .. عن زوجتى ..

ضرب اشرف فوق نافوخه - حاسب يا اشرف - ضرب ..  
اشرف صديقى .. فوق نافوخه !! .. يضع عنقى بين حدى  
العقريين المقربين .. انا اقاومه ، يجب .. احاول ان افقأ  
عينيه .. العقريان يصفطان على عنقى .. بشدة .. بشدة  
اكثر .. التكتكات .. عيناي تجحطان : « حاسب » .. يقترب  
من زوجتى .. التكتكات .. « لتزيت لك » .. امى ..  
اخى .. الصفارة .. البرتقالة تحت السرير .. الحمام هارون  
الرشيد الحرب القديمة .. امى .. التكتكات .. حبة منع  
الحمل .. امى سوف انهض .. سانهض .. لا بد ..

- ٩ -

.... نهضت . ضوء النهار يتسلل . الصباح مضاء .  
نظرات زوجتى مضطربة متسائلة فى انزعاج . اقبلها فى حنان  
فوق وجنتها . ابتسم لها مطمئنا وانا اخلع بيجامتى . اثبتت  
الساعة حول معصمى بعد التأكد من ملئها . امد يدى الى ملابسى  
الكاكى المغسولة .

نوفمبر ١٩٦٩

## أنا نؤجل

جاءت نحوى فيما يشبه الابتسامة ..

قالت :

— أنت أمل أخير بالنسبة لى ..

كان شعرها ينساب ناعما طبيعيا من حول وجهها ،  
اعجبنى ذلك :

— شعرك هكذا جميل .. لماذا كنت تخفيه بالباروكة ؟!

لم بتسم وقالت فى جدية :

— هل أستطيع أن أثق بك ؟؟

خفق قلبى دهشة . قلت هذا عبء . نظرت الى وجهها  
الجميل ، لم تكن تنظر الى ، وكانت تنظر الى مكان غير محدد  
فوق صدرى .. وعندما رأيت عينيها لاحظت أن نظراتها بطيئة

حزينة ، وكانت ضمة شفيتها فيها المرارة والاحساس بالفين  
وكانت عصبيتها فيها قليل من الاحتجاج .

عادت تسألنى وهو تدنو بفمها من اذنى :

— هل استطيع أن اثق بك؟؟

كان الضجيج من حولنا . اجبت :

— ليس بصفة مطلقة ..

لم تسمعنى . عدت أهتف :

— ليس بصفة مطلقة ..

زاد الخمول فى نظراتها ، كانت تنظر نحوى كما لو كانت  
تنظر الى شىء منبسط على بعد أميال .

عند الناصية قالت لى : انها أصبحت لا تطيق الجلوس مع  
والدها ، وانها صارت لا تحتمل أحاديثه معها وأن الكلام بينهما  
صار مفتعلا : سؤال قصير وجواب اقصر .

قالت :

— اجيبه دائما بكلمات قليلة مثل : ربما او جائز او يمكن  
او لا ادرى ، كثيرا ما اقول له : لا يهمنى .. وأحيانا تنخفض  
اجاباتى الى الصمت وتتحول الى هزة من رأسى بلا او نسم  
او رفعة حاجبين فى تصنع الدهشة . هل جربت ذلك؟؟

— مات أبى منذ الصبا ، وأنقر من الكبار .

— لا تظن اننى اكره والدى . انى احبه ، ولكننا لا نجد  
ما نقوله لبعضنا .. وفى الليل والدنيا سكون اسمع صوت

تنفسه من حجرتى ، واتذكر انه شيخ معتل الصحة فنتنابى  
الوساوس السوداء من انه قد يموت فى كل لحظة ، وهذا بشع .

توقعت الدموع فى عينيها ، وقلت لى نفسى : تمتلىء صحف  
هذه الأيام بأسماء الموتى من صفار السن .. لكننى لم أخبرها  
عن هذه الملاحظة لبدايتها .

فى صالة الشاى الهندى ، كان طفل الوظيفة الهندية يبكى  
فسألته ان كانت قد لاحظت ذلك . رفعت حاجبها فى دهشة .  
قلت :

— صوت بكاء الطفل الهندى يشبه صوت بكاء الطفل  
المصرى ..

قالت :

— لأن بكاء الأطفال يتشابه .

وكانت الاضاءة خافتة فى الداخل ، وكنت أرى خيالات  
المارة تتماوج فوق الزجاج المصنفر .. فأخذت أحدثها عن ذلك  
اليوم القديم ، حيث لم يكن الوقت مساء ، وإنما اقرب آخر  
النهار والشمس تنتهى من المقيب ، وحيث تتشابه الألوان  
ويصبح الشئ فى لون الظل ، وحيث تخطىء العين تقدير  
الأبعاد .. لذلك فانهم عندما ظهروا بفتة فى غرفتى لم أقدر على  
تحديد المسافة بينى وبينهم بالضبط ، ولم أقدر على تمييز  
تضاريس وجوههم — لكنى حدست أنهم الجاحظون ، — الشرطة .. .  
ودق قلبى فى عنف وأحسست بثقل فى كل جسدى ، فقيدونى —  
بدو أنهم قيدونى — ثم أخذوا يجمعون كل ما هو مكتوب : مسودات  
اشعارى — كنت ساكنة اشعارا — وحتى خطابات أبى ورسائل

حببتي اخذوها .. توقعتهم آخر الليل وكل الناس نيام لكنهم  
جاءوا قرب آخر النهار ، لذلك فقد ذهلت واظنهم تكلموا ببعض  
الكلام .. كانوا يقفون مفردى الطول في وقفات متشابهة ،  
اصواتهم باردة متلاحقة كرجع الصدى ، الاول ثم الثانى ثم  
الثالث . قالوا :

– سوف نقرأ هذه الكتابات بعناية فائقة ، ظاهرها عن  
الحب ولكن من يدري ..

وقالوا :

– نحن فطاء وسوف نبحث عن المعانى المعجزة ..

وقالوا .. ايضا :

– لدينا من المواد الكيميائية ما يظهر كل خفى ولدينا  
العلماء .. سوف ندخل راسك ..

لكنى عندما اضاءت المصباح الكهربى لاحظت فوقه افرازات  
البعوض وكانت الغرفة خالية .. الا ان عيونهم كانت جاحظة  
وقالوا : « سوف ندخل راسك » . وصارت هزيمة الشمس  
ساعة الغروب تذكرنى بخطابات ابى الصائفة ورسائل حببتي  
وارهاصات اشعارى .. لم اكن اتوقع ان تعجب هذه الأشعار  
كل الناس ، لكنها كانت تعجب حببتي ، وهذا يكفينى ، فلما  
علمت بفقدها صارت تتجاهلنى ثم اختفت من حياتى بطريقة  
شبه نهائية .. وقالوا سوف ندخل راسك :

– ولم اعد الآن اذكر التفاصيل الدقيقة لوجه حببتي ،  
ربما كانت تشبهك .



سكت الطفل الهندي عن البكاء .

قالت :

– يمكنك كتابة الأشعار ثانية .

ابتسمت ولم أرد ، وأعجبنى أن صدرها ممتلئ بشديين  
كبيرين ، لكنها كانت تتنهد .. ربما كانت تشبهها ، إلا أن  
ما يمضى لا يعود ، ويومها كنت أحب ، أما الآن فلم أعد أثق ،  
وصرت أحاول أن أكون لصا ، أسرق لحظات الصدق .

حركة مفاجئة في عينيها :

– صادقت شبانا كثيرين وكانوا تافهين . ولكنى أحببت  
واحدا فقط وقررت أن أصارحه بحبى ، وكنت كل مرة أقابله  
فيها لا أفعل ..

بكى صوتها :

– كنت حمقاء ..

ارتعش فنجان الشاي بين أصابعها فأعادته دون أن  
ترشف .. يكون الندم على ما لم تفعله وليس على ما فعلناه ،  
ونؤجل على أمل قدوم لحظة أفضل لا تانى .

غطت الدموع عينيها عاكسة من فوقها الأشياء ضئيلة  
متموجة الحواف .

قالت :

– حتى اسمى صرت اكرهه لأن والدى أطلقه على .. هل  
تحب اسمك؟؟

في الشارع مرة أخرى . قالت :

— سمعت وأنا صغيرة عن أمور كثيرة تنتظرني في المستقبل؛  
والآن تحول مستقبلي الى حاضر ، وأجد أن كل ما قيل كان  
سخفا .

وكنا نمر أمام محل الزهور فقالت انها تحب الزهور ..  
وفكرت ان اشترى لها بعضا منها في الحال ، وفكرت ان ذلك قد  
يجعل قلبها ينبض بلحظات سعيدة .. الا اننا كنا قد عبرنا  
المحل فأجلت ذلك .. وشعرت برغبة في اخذ كفتها بين كفى لكنى  
ترددت .. وفي الصباح عندما خرجت من البيت احساست —  
لسبب مجهول — بالحنين البكاء لكنى خجلت من المارة وبلغت  
ريقى ومشيت اصفر .. واذكر مرة انى كنت اركب المترو  
ولسبب لا اذكره كنت سعيدا ، وكان ذلك في الماضى البعيد ،  
وكنت اريد ان انطلق مقلنا بصوت عال ، وبالفعل بدأت اذنين  
فأنظر نحوى جميع القريبين منى ، ولدت بالناظر الخارجيه  
وغنيت فى سرى .. ثم سرعان ما جاءني صداد سخيف .

قرب محطة الأتوبيس وفي ظل الحائط سألتنى :

— قرب أنت من سنى فهل استطع ان اثق بك ؟؟

ترددت . تهدج صوتها :

— لماذا لا تجيب ؟ ! اقول انك قريب من سنى فهل

استطيع ان اثق بك ؟؟

قلت وكان صوتى خافتا :

— علينا ان نلتقى كثيرا ..

هزت راسها سريعا . قلت فى صوت اكثر خفوتا :

— وان نحاول .

يناير ١٩٧١

## الأيام التالية

تلقت الطبيب حوله حذرا ثم همس في أذني أن أخذها  
وأتوجه بها الى موقع ناء عن الناس ، بعيدا عن المدينة ..  
قال :

– يلزمها راحت الأعصاب والهدوء .

قلت :

– اظن ذلك .

همس :

– اخفض صوتك . كما أنها في حاجة الى فترة نقاهة  
محاطة بالسكينة ..

قلت :

– اعرف ذلك .

همس مستاء :

— قلت لك ، همست لك ان تخفض صوتك .

جئنا الى هذا المكان على شاطئ البحر . البحر ممتد بعيد جدا ، لا يحده حد ، يبدو مقوس الأفق أزرق باهتا ، صخري الشاطئ ، صخوره مديبة كأنها الأبر كأنها حدود بلط أو أسنان خناجر .

سكنا هذا الكوخ الخشبي ، لا ادري كيف بقلت من ربيع الشتاء !! لكننا في آخر فصل الصيف والهواء ساكن والأمواج خفيفة الوشيش ، وكنت أعلم الأ شيء مضمون في مثل هذا الوقت من العام ، قد يبدأ اليوم صيفا وينتهي شتاء ، قد ينتقل عبر فصول العام في خلال ساعات قليلة .

بعد الخطوة الأولى لنا هنا نظرت هي الى البحر طويلا طويلا ، راقبتها ، أخذت عينها ترقان ثم أخيرا لانت تجاعيدها الخفية وكادت تختفي تماما عندما ابتسمت ، أعجبها البحر وهذا قال حسن لأعصابها .

قامت بتفحص الكوخ ، اختارت السرير المناسب لها ، ثم جلست على حافته رامية ببصرها الى البحر خلال زجاج النافذة . قلت :

— مرتاحة ؟؟

ربما لم نسمعي . كانت آثار الكدمات ما زالت واضحة في جبهتها . استدارت الى الجانب المقابل للبحر ، نظراتها الساكنة بدأت تنشط ، ثم بدا أنها تكتشف شيئا مذهلا .

هرولت خارجة ثم شهقت واقفة أمام الشريط الحديدى  
الممتد محاذيا الشاطئ .

قالت متفعللة :

– هذا شريط سكة حديد .

كيف لم تره ؟ ! عبرنا فوقه فى طريقنا الى الكوخ وكادت  
تتعثر فيه !! .. لكنها كانت مأخوذة بفساحة البحر وحركته  
الأزلية الرجراجة .

قالت :

– يمر القطار من هنا .

الشريط قديم وصديء من الجو الرطب ومن عدم  
الاستعمال . فى قديم الزمان كان يمرق القطار من هنا رابطا  
ما بين مدن الشاطئ وقراه ، لكنه لم يعد يجرى هذه الأيام ،  
الغى ولم يرفع الشريط وترك للصدأ وللأعتاب تنمو من حوله  
ولبعض السحالى البحرية تمرح من أسفله .

قالت :

– ما دام هذا شريطا حديديا فمن المؤكد ان القطار يمر  
من هنا .. هل تعرف مواعيده ؟؟

– لا توجد مواعيد لقطار لا يمر !!

ربما لم تسمعى ، استدارت الى البحر وقالت :

– ومن المؤكد أن السفن تعبر من هنا أيضا ..

ثم اتجهت الى باب الكوخ لكنها توقفت فجأة وهتفت :

- وما هي سفينة هناك .

- أين ؟؟

- هناك ..

- ... .. ؟ !

- هناك .. عند حافة الأفق .

نظرت ودققت النظر ، لم أر شيئا . قالت :

- ها هي .. عند نهاية الأفق .. والآن تهبط .. هبطت

تحت مستوى الأفق ..

- ... .. !!

- ألم ترها ؟؟

هززت رأسي نفيًا ..

- رأيتها أنا .. وكانت بلا شك سفينة .

ودون أن تحنى ظهرها أو رأسها ، دخلت الكوخ من بابه

المرتفع .

صباح اليوم التالي فتحت عيني لأجدها واقفة قرب

سريري تقول :

- لقد مر قطار بالأمس ، هل سمعته ؟؟

لم أسمع شيئا ، كنت قد نمت نوما عميقا ، قام صوت

الموج الرتيب بعمل المنوم الفعال .

- أردت أن أعرف مواعده وبحثت عن ساعتك ولم أجدها .

أخرجتها من تحت الوسادة حيث سبق أن وضعتها  
لكنها كانت قد انصرفت عني .

وفي الليلة التالية أيقظتني في لهفة . نهضت فزعا وسمعتها  
تقول :

– انصت .

لم أسمع شيئاً عدا البحر .. لكنها قالت :

– مر القطار توا .. وهو الآن يبتعد ..

خيل لى – لدهشتى – انى أسمع ضجيجا لقطار مسرع .  
خرجت الى الشريط ونظرت فى اتجاهيه ولم أر أو أسمع شيئاً .  
قلت لنفسى : « لا شيء مر ولا شيء يمر » .

ثم نمت حتى الصباح فحلمت بالمدينة وبيوتها العالية  
وطرفاتها المليئة بالأقواس الخفيفة .

فى نهارنا الأول هنا قمت باستكشاف المكان ، وفى النهار  
الثانى انتهيت من ذلك تماما ، فبدأت أشعر بضيق المكان حيث  
لا شيء يتغير والحركة ميتة ، حتى البحر بدت تموجاته رتيبة  
وكانه مل أبديته .

صباح اليوم التالى قالت فى ثقة مذهلة :

– هما قطاران . هذا مؤكد . واحد عند منتصف الليل  
والآخر قبل الفجر بكل تحديد ..

رأيتها سعيدة باكتشافها فلم أعلق ، ثم خرجت أراقب  
البحر الكبير ، كانت الأمواج ما زالت تدفع ببعض الأسماك  
الصغيرة الى الصخور الخنجرية ، فرأيت بعضها يذبح ، وشاهدت  
نصل صخرة ينغرز فى سمكة صغيرة ، انحسرت الأمواج وعادت

وانحسرت ثانية والسمة باقية مكانها ، كأنها مثبتة بحربة  
مقاتل قديم .

سرت بفكرى الى افواس المدينة .. بناها قزم على مقياس  
فامته القبيصة فجاءت خفيضة جدا .. كل عدة خطوات فوس  
ولاطيء ، وفي جميع الطرقات .. كان على ان انحنى كلما مرت  
اسفل احداها والا اصطدمت رأسى بسقفه المقوس .. وكلما رايت  
انسانا محبوب الظهر قلت لنفسى هسذا مواطن من مدينة  
الافواس الخفيضة .

تأملت صدا القضيبي وتلمسته ، ثم قررت ان انام وقت  
الظهيرة حتى اسهر الليل معها . حدثتها عن عزمى هذا قلم  
تتحمس ولم تعترض .. وهى - منذ اصابة جبهتها بالكدمات -  
تنام نوما خفيفا وتوظفها ادنى حركة .

نمت والسماء صحو واستيقظت والسماء سوداء الفيوم  
تنذر بليلة هوجاء العاصفة . اغلقت النوافذ باحكام ووضعت  
المصاريع خلفها ووراء الباب . ثم جلست استمع الى الأمواج  
التي بدأت تهدر والهواء الذى اخذ يزار ، متبها لعل القطار  
يمر كما تقول .

عندما مضى الوقت وجاءت الساعة التى حددتها موعدا  
لمروره أرهفت السمع ولم اسمع .. وبعد حوالى الساعة قالت :  
- ربما منعه العاصفة .

أخفيت ابتسامتى ، وسرعان ما نمت .. غير اننى تيقظت  
فزعا على اهتزازة السرير وارتماشة الكوخ .. وكانت العاصفة  
مخيفة ..



قالت بوجه منتصر :

- انه القطار ..

من فورى نهضت الى النافذة وفتحتها ، فطمنتني الرياح الهوجاء بعنف ودفعتني الى الوراء ، الا اننى اخذت اقوامها حتى تمكنت من اغلاق النافذة .. ومنعنى هذا المجهود من النظر الى الخارج .. وكان السواد يحيط بالكوخ وكان صوت الرياح طاغيا على صوت البحر .

في اليوم التالي نظرت الى الساعة وكانت العاشرة وقليلًا ، جلست أمام البحر ولاحظت أن السمكة القليل غير موجودة ، سرت هنا وهناك ، فذقت ببعض الحمص الى البحر ، غمست قدمي في مانه .. وعدت الى مكاني الأول ..

في السماء سكنت السحب من حول القوس المتدرج الألوان ، وقد انشئ فوق البحر .. سبعة اقواس متلاصقة لسبعة ألوان طيغية ، قوس قزح .. وفي ذات يوم - في ماضي الأيام - قررت هي الا تنحني أمام اقواس المدينة الخفيفة فامتلا رأسها بالجروح والكدمات ، ظلت تسير مرفوعة الرأس فتصطدم بسقف القوس حتى سقطت فاقدة الوعي ، فحملوها فوق محفة الاسعاف ، وبهذه الطريقة مرت أسفل عدد كبير من الاقواس . ثم قال الطبيب - همس الطبيب - بانها في حاجة الى فترة نقاهة في موقع ناء عن الناس ..

عدت انظر الى الساعة ، وكانت لا تزال العاشرة وقليلًا تماما ، وكانت هي جالسة في صمت . تناولت أفطاري وشربت بعض الماء ثم تمددت .. وخرجت الى الشاطئ ونظرت الى الساعة ، وكانت العاشرة وقليلًا !!

١٩٣.

( ١٣ م - الوليف )

اندهشت وعلمت أنها قد توقفت .. لكن متى؟؟ منذ متى؟؟ طبعا منذ الساعة العاشرة وقليل تماما .. ولكن هل منذ الساعة العاشرة الصباحية أم الساعة العاشرة مساء امس؟ ! منذ عدة دقائق أو منذ نصف يوم؟ ! ربما منذ يوم كامل أو عدة أيام . لم أنظر الى ساعتى منذ وقت طويل ، وربما منذ أيام .. ولا أذكر الآن آخر مرة ملأتها فيها .. وهل توقفت نتيجة صدمة أم لأسباب أخرى كعيب فى الآلة نفسها؟ !

جلست أفكر فوقعت فى مشكلة أخرى .. فقد حاولت تذكر اسم اليوم ففشلت وجلست أحسب كل الأيام بالتدريج : اليوم الأول كان خميسا وفيه حضرنا الى هنا .. والثانى كان جمعة وفيه سمعت هى صوت القطار ولم أسمعه أنا .. والثالث كان السبت وفى ليله سمعت هى صوت قطارين ولم أسمعهما لثقل نومى .. ثم جاء اليوم الرابع فماذا حدث فيه وهو لا بد الأحد؟ ! .. رأينا المركب ، رأت هى المركب ولكنى لم أره .. ولكن هل كان ذلك فى اليوم الثانى أم الرابع أم السابع؟ لو كان الثامن لكان هو الخميس ..

كان البت فى ذلك الأمر مشكلة عويصة . نظرت ساهيا الى الساعة فكانت العاشرة وقليلًا!! فهل فكرت طويلا؟؟ دقائق أم ساعات؟ !

وجلست أحسبها مرة أخرى .. وسألتها فضيقت من عينها مفكرة ولم تتكلم .. ولما جاء الليل نمت .

فجأة استيقظت على ضجيج عال جدا ، ولما تنبعت الى ما حولى أيقنت - بلا ادنى ريبه - أن هذا الضجيج هو صوت

قطار يعبر .. الآن يتعد .. اللحظة أصبح نائيا .. ولم احاول  
أن أخرج لرؤيته فقد كان الصوت من الوضوح الذى لا يقبل  
أى شك .

مددت يدي وأخرجت الساعة من تحت الوسادة ، كنت  
أود أن أعرف موعد مرور هذا القطار الليلي ، لكن الوقت كان  
مازال العاشرة وقليلًا تمامًا ، فتذكرت مشكلة الوقت والمتاعب  
التي صادفتنا أثناء النهار لنذكر اسم اليوم الذى نعيش فيه ..  
فما هو اسمه وما هو اسم الغد والأيام التالية ؟؟

في هدأة الليل كان تفكيرى أكثر صفاء . قلت : ان ذلك  
لا يهم على الإطلاق .. لكننى عدت وقلت انه من الجائز جدا ان  
نحتاج الى معرفة اسم اليوم الذى نعيش فيه ، ولا أحد يضمن  
ما سوف نحتاجه في المستقبل .

لما أخبرتها بأننى سمعت صوت القطار رقت نظراتها  
نحوى وابتسمت في سعادة واقبال ، ثم جلسنا معا وفكرنا أن  
أحسن حل هو أن نضع لكل يوم علامة مميزة ، فيوم أمس  
هو اليوم الذى حدثت فيه العاصفة فيصبح يوم العاصفة ،  
واليوم التالى هو اليوم الذى تنهت فيه الى توقف الساعة  
فهو انن يوم الساعة او يوم التنبه .. وهكذا .. ولا بد أن نختار  
للغد أبرز أحداثه ونسميه باسمها .. ونفعل نفس الشيء لبعده  
الغد وبعده بعد الغد ودواما ..

لكنها فجأة قاطعتنى متسائلة :

— لماذا يمر القطاران ليلا ؟ ! لماذا لا يمر أيهما في  
النهار ؟ !

كنت أريد أن أسألها نفس السؤال .. وكنت ابغى أن  
أعرف :

- هل من الجائز ان يتوقف احدهما ولو مرة واحدة  
امام كوخنا ؟؟

قامت من فوق سريرها واقتربت منى .. ثم جلست على  
حافة سريري ونظرت الى طويلا :

عتاب في عينيها . التصقت بي : قلق في لمسة كفها ،  
شعرت بحنانها عبر لساتها .

قالت في حنو مشوب بالخوف :

- هل تحن الى تلك المدينة ؟؟

كنت أنظر في عينيها ، ولما أردت أن اتأمل جمال وجهها  
لم تقو عيناي على مفارقة عينيها .. فجذبته نحوي مستشعرا  
راحة كبرى . أحسست بها تجلبنى .

همست واتفى مدسوس في شعرها وفمى لصق اذنها :

- ليكن يوم العاصفة هو اول الأسبوع ..

شعرت برأسها تومىء موافقة .. فوشوشت بغمى في فمها :

- وليكن هو أيضا اول الشهر .. ومنه نبدأ في تكوين

تقويمنا الخاص .

سبتمبر ١٩٦٩

## هجرة الضحاك

---

١ - الأب

سمعت أمي تحكي عن أبي بأنه كان يملك بدنا له قوة فحل وحيوية تيس . حكّت أمي : لذلك جعل من النساء متعته الكبرى .

عاد لها ذات ليلة ليجدها غاضبة .. قالت له :

— عليك أن تختار : أما أن تكتفى بي أنا زوجتك أو إثرك وأعود الى عشيرتي ..

قال :

— هل منعت عنك مالا طلبتيه ؟؟

— لا ..

— هل قصرت في حق جسديك علي ؟؟

- اعطينى اكثر مما حملت به ، لكنك لا تترك الاخريات !!

حكى امى للجارات أن ابى تجهم قليلا ثم قال :

- عجيب امرك يا امرأة ، فى جسدى هذا ما يكفىك ويكفى  
الاخريات فلم احبس نفسى ؟ !

ثم انه جذبها اليه نحو المصطبة ولم يتركها الا مع صياح  
ديك الفجر .. فلبس ملبسه وخرج الى الحقل . استراحت  
امى قليلا ثم نهضت نشيطة مرحة وقضت نصف النهار تعد له  
غذاء شهيا .. وانتظرته .. ثم ذهبت اليه فى الحقل بالطعام  
فلم تجده ، ولم يعد بعد ذلك !!

وبعد حوالى الحول برزقت بنا نحن الاثنى فى بطن واحدة ،  
احتارت فى البداية .. فكرت وقالت : « خلقت بشدين ، فلبكن  
ئدى لكل منهما .. هذا له الأيسر وذاك له الأيمن » . كانت  
تهدهدنا فى حجرها ، ثم تلقمنى ئديها الأيسر وتلقمه هو الآخر .  
ضحكت امى وقالت لى :

- كان الذى يشبع منكما أولا يرقص الآخر بقدميه  
الصغيرتين !!

فلما تعلمنا المشى البستنا ذات الثياب بنفس اللون ووضعت  
فوق رأسينا طاقيتين توءمين . وقف أمامى فى الحارة محاكيا  
وقفتى فرآنا بعض رجال القرية ، عجبوا وهتفوا :

- كانه واحد فى مواجهة مرآة !!

لذلك خطرت على باله ألعاب عجيبة . كان يجمع الأولاد  
ويوقفهم خارج حقول القصب ، ويسجبنى داخلها لتختبىء

بين الأعواد العالية ، بعد فترة يخرج واحد منا فقط ، وكان على  
الأولاد أن يكتشفوا من الذى خرج لهم !!

## ٢ - الوشم

سارت أمى مزدانة بوشم الخطوط الثلاثة فوق ذقتها ،  
مرفوعة الثوب عند الصدر بشديين قويين ، لم تنظر خلفها أبدا  
مطمئنة الى أننا نتبعها حيثما سارت . كنت أقلدها فى كل  
ما تفعل ، اما هو فكان يتركنا عند كل انحناء ويخترق الحقول  
المجاورة مختصرا الطريق ثم يجلس ينتظرنا ، او يدور من حولها  
صاخبا لاهيا . لم تلتفت اليه أبدا ، لكنى رأيت فى وجهها بسمة  
سعيدة ، ورأيت السماء والشمس من فوق رأسها .

فى الحقل ذهب يتسلق الأتارات القريبة ويمتطى أصنام  
الفراعنة ، ثم « تشعبط » فى قطار المصنع حتى اكتشفه  
الحارس فقفز هاربا صائحا بصوت القاطرة المسروع !

توقفت أمى بفتة عن سقى القصب . زمت شفتيها ثم  
أمسكت ثديها الأيمن ، الا انها أوقفنا أمامها وانتقت أعوادا قوية  
مليئة بالبدور ، قالت :

— هذ تقاو ..

وقالت :

— اذا رقدناها فانها تطرح الأعواد من جديد .

وقالت :

— لكن الأعواد الجديدة تينبت فى غير قوة الأعواد الأصيلة .

هززت رأسي مبهورا ، أما هو فمضى يتقافز كالجدى بعد رقدة شيع ، ثم جاء من خلفي وأمسك بذيل جلبابي وحشني على الجري أمامه ، وحرك يده حركة دائرية كذراع القاطرة البخارية ، جرينا مخترقين المعبد وحقول القصب ، وانضم اليينا في الطريق كل من قابلنا من أولاد وبنات . عبرنا فوق شريط القطار واخترقنا قطيعا للماعز تفرق على الجانبين ، واتجهنا الى القرية فكبر الطابور وتعالصت الأصوات صاحبة ربيعة ممدودة . كان صوت القاطرة يشبه عويل البنات الأبيكار ، سمعه بغل صغير فترك أمه وركض هائجا مفزوعا .

ولكن اخي لما رأى ضاربة الودع الفجرية خرج من قطار الأولاد وحام حولها في شغف غريب : الترت الأحمري يملأ طرحتها ، عقد الخرز الطويل يتمايل في عنقها ، وهلال الذهب المثبت في أنفها يهتز بشدة كلما ارتفع صوتها منغمة نداءها : « نضرب الودع ونوشوش الذكر » .

اقترب منها أكثر ، لمس في خفة ثوبها الخارجي الرقيق الذي يشف عن اللس الأحمر تحته . ازداد اقترابه . تخلخل الطابور ثم تفكك وانحل ووقفنا جميعا نراقب ما سيفعله صامتين .. تسلل ثانية من خلفها ، أمسك بطرف جلبابها وبسرعة رفعه الى قدر ما يستطيع ، فيان كاحلاها وساقاها وجزء من فخذيها ، وقبل أن تستدير المرأة له كان قد جرى وكان الملقط من فوق رأسها قد سقط فوق الأرض ، فهرب كل الأولاد ، وهربنا معا واحتمينا بالدار . شهقت بعض النسوة ووققه أحد الفتيان .

وقفت الفجرية على عتبة الدار شاكية . اهتز هلال الذهب في أنفها بشدة مطالبة بمعاينة مرتكب هذه الفعلة .. كانت أمي



تعرفه بالحدس ، الا انها صمتت ثم لجأت الى حيلتها المعتادة  
وأشارت الينا :

– ها هما أمامك ، اخرجيه وأنا اضربه لك !

تفرست الفجرية فينا مختارة :

– عسير والله يا خالة ، الولدان كفلقتى الفولة !!

رق صوت امى ونعم :

– واحد فقط رفع جلبابك ، اليس كذلك ؟؟

– نعم ..

– فيكون الآخر بريئا !!

– اضربى الاثنين فتكونى قد عاقبت المدنب فيهما .

– او اعفو عنهما فأكون قد انصفت البريء منهما .

زامت الفجرية بكلام لم نفهمه ، واستدارت لتمضى ..

لكن امى نادتها وهمست لنا بسرعة :

– راقبوها جيدا ، افتحوا عيونكما . الفجر يسرقون

الكحل من العيون .

انزلت الفجرية مقطفها في وسط الدار . اخذت بعض الماء ،

خلطته بمسحوق الوشم ، تلت عدة دعوات بلهجة لم أفهمها ؛

ثم تناولت ثدى امى الأيمن في كف وملست عليه بكفها الآخر

متمنمة بدعوات مدغومة الكلمات ، وبدأت تخزه راسمة فوقه

وشما بوخزات عديدة ملأته بمسحوقها المركب فلم أميز

الرسم .. أخيرا أعطت امى جعرانا أخضر لتضعه تحت الوسادة

عند النوم . انتظرت انا ان تفعل نفس الشيء بشديى الذى انا  
رضيعه ، لكنها مضت قائلة لأمى :

- شفاء اكيد باذن الله ، وصفة مجربة .

وفي اليوم التالى ظهر وشم يكاد يأخذ شكل الهلال . . الا ان  
أمى ظلت تمسك هذا الثدي من حين لآخر زامة شفيتها .

لم نفهم لماذا قالت لها : « شفاء اكيد » . وشعرت بالفرة  
منه بسبب كل هذا الاهتمام بشديه . . وقبل ان تنصرف  
الفجرية وقفت تتأملنا فى استغراب : نظرت الى أولا ، ولا أدرى  
لمماذا أشحت بنظراتي عنها ، ثم نظرت اليه فظل محمقا اليها  
دون ارتباك ، فأشارت نحوى :

- هذا من شلحنى يا خالة .

ضحكت أمى ونظرت اليه ، صمد قليلا لنظراتها ثم انطلق  
يجرى ضاحكا ضحكة رفيعة لكنها رنانة وطويلة وسريعة  
التصاعد .

### ٣ - الزار

انكشنا معا فوق الكنبه ملتصقين بالحائط مأخوذبن  
بما نرى . . فى البداية شدتنا القوالح المتوهجة وسط الدار ،  
ولما اختفى لهيها اقلت أمى ببعض البخور وبجبات سوداء لها  
عيون حمراء ، فصاعد دخان البخور الى السقف برائحة  
مسكية ، واتسعت حلقة العيون الحمراء فوق النار ، فلما بدأت  
المرأة المسكة بالدق الكبير تدق فوقه تحولت عيوننا اليها ثم  
تركزت على كفها يدق الايقاعات المنتظمة . بدأت أمى تدور حول  
الموقد من خلف المرآتين الأخيرين . .

جذبتنا الرقصة . أسرعت حركات الزار لاهثة وراء الدقات .  
ترنحت النسوة ، وتخلخل دخان البخور عن أشباح مرتعشة  
راقصة ، كثيفة متموجة الأطراف . وثب فجأة وانحشر بينهن  
هاذا رأسه وجسده مقلدا ، فأبعدنه . عاد الى جوارى ولقت  
نظري الى امرأة الدف : أفلت زرار الصدر فبان معظم نديها  
أكثر بياضا من عنقها ووجهها ، تتمايل فيهتان معها . حلق  
الى بياض الصدر .

بعد وقت طويل ارتمت أمي فوق مخدعها مجعدة تماما .  
لمحت حجابا صغيرا فوق نديها الأيمن . سألت نفسي : لماذا  
تهتم أمي بالندى الذى هو رضيعه ؟ ! .. شعرت بالفيرة ، وظللت  
ناظرا الى القوالح الموقدة ، زاد الرماد من فوقها ، خبت عيون  
العفريت ، بدا لون النار يختفى تماما ، ومن حين لآخر تحدث  
فرقة ضئيلة بين الرماد يختلط صوتها مع نباح الكلاب فى  
الخارج وتقيق الضفادع ووشيش الهواء يمر بين أعواد القصب  
فى الحقول . قبل أن أنام سمعت آلة القاطرة مسرعة تنوح كبكور  
البنات ، وسمعته يهمس فى أذنى :

— لامرأة الدف نديان كالملمن !

وبعد قليل عاد يهمس :

— كرماتين كبيرتين !!

وفى طريق الصباح لما رأى البنت أزهار قادمة نحونا تدفع  
اغنامها ارتعشت كلماته :

— نضجت البنت قبل الأوان !!

ثم تركنى واندفع مِخترقا طريقه بين الفئامات . عجبت

البنيت ولم تفهم غرضه . دهشت أنا واحترت ، اقترب منها في جسارة عجيبة وقرص ثديها ! صرخت البنيت ، سبته بأفظع الشتائم . ضربت أغنامها بالعصا لتسرع في الابتعاد ، وعندما مرت أمامي قالت :

– أنت شاهد على ما فعل ..

كان يلهث ووجه مصفر ، لكنه استرد سكونه بسرعة غريبة . نظرت له معاتبا فأعطاني ظهره وسبقني سائرا ، وبعد برهة رأيت جسده يهتز ثم سمعت ضحكته ، كانت رنانة تتصاعد غطت كل حقول القصب فسكنت العصافير عن زقزقتها .. التفت الى :

– هل ستشهد ؟ !

تكلمت البنيت مع أمي في أشياء مختلفة لكنها لم تشكك ولم تدعني للشهادة .. كل الذي فعلته أنها اشاحت بوجهها بعيدا عنه في غضب .

٤ – العشب

سألها ان كان شيء يؤلمها فانكرت ، وتفتت بقطعة الصوف وعادت تتحسس ثديها الأيمن :

– أخرج وأبحث لى عن ورقة صبار .

دهشت . تقلص وجهها لما :

– بعد الأصنام وعند حافة الوادى توجد شجرة الصبار . اذهب وانق لى احدى أوراقها . اخرج ولا تسأل .

اختصرت الطريق فلم أعبء الحوارى اللتوية . سرت بين الحقول .. وبعد قليل رايت أعواد القصب تهتز ، خرجت من بينها « خمرية » امرأة نجار السواقى المشوفة ، جاءت ناظره الى وجهى متسائلة العينين . لم أصدق ، اندهشت : فى عينها الجراة والحياء معا ، عندما ارتبكت أنا ترددت خطواتها ، وعندما ابتسمت هى واقبلت نحوى مطمئنة تتأمل ملامح وجهى . زدت ابتسامتى فواجهتنى فى ثقة ، لكننى لما تكلمت ودخلت نبرات صوتى الى اذنيها ، جفلت المرأة وشحب وجهها وضاعت جراة عينها وبقي الارتباك وحده ، ثم استدارت مهرولة .

واصلت سيرى فى مرارة .. منذ أيام تركنى أعمل وحدى فى الحقل واختفى ، كان العمل مرهقا لى .. وساعة العصر أقتاء عودتى مكودا قابلى بعض الرجال فاذا بهم يتعجبون :

– أمرك عجيب حقا !! كنت منذ قليل ضحاكا مهزارا ،  
ما بالك الآن عبوسا مكذرا ؟ !

عبرت الشريط الحديدى . اقتربت من المعبد فسمعت بعض الأصوات . اتجهت الى ما بين صنم الفرعون والجدار القربى . لمحت ظهر امرأة ممشوقة القد ، جرت متوارية وراء الجدار – لم المح وجهها – حاولت أن اتبعها فنبت لى من حيث لا أعلم ووقف فى طريقى بابتسامته العجيبة . انحرفت يمينا فانحرف يمينا ، سرت يسارا فسد الطريق أمامى ، كثرت فى وجهه قبادلى التكشيرة . زمت حائقا فزام كأنه البصدي ، ثم ضحك ضحكته الطويلة الرنانة سريعة التصاعد .

معد حافة الوادى تنانرت عن بعد خيام العجر . لحقنى  
وقال :

– لا تفضب من امرأة نجار السواقى ، هي قريبتك  
بالدم !

عبست . قال :

– منسوبة إبتها لدى الحكومة الى اسم النجار ، لكنها  
في الحقيقة وبالدم انت عمها توعم أيها !!

زاد العبوس .. صرخت :

– ابعد عنى .

سهلت ضحكته وأشار الى خيام الفجر :

– ولى رفيقة أيضا بين هؤلاء . تعرف ذلك .

– داعر ..

في المرة الأولى ترك الحقل وتبعها وعاد بعد قليل .. وفي  
المرة الثانية لحقها ثم عاد ساخطا وقال :

– تجيد الفجيرة لعبة الدلال !

وفي المرة الثالثة تركنى أعمل وحدى وهرع من خلفها وحو  
يقول ان « الثالثة ثابتة » .. غاب بعض الوقت ثم عاد منشرح  
الوجه ، وأقبل على العمل قى همة عالية مدندنا ببعض الأنضام .  
ولما عبرت عائدة الى الصحراء سسارت ولم ترفع نظراتها عن  
الأرض .. ضحك وقال :

– تعرف ان الأعواد الطويلة ستارة .

شعرت بغيرة شديدة ..

– داعر .

أخرجت مطواتي بفتة . جفل ، تراجع خوفا !! . أحسست  
بارتياح عظيم .. أمسكت ورقة صبار خضراء ممثلة وبترتها .  
دهش وسألني عن السر . تجاهلته .

نزعت أمي الأشواك عن الورقة ، مزقتها قطعاً صغيرة  
بالسكين وألقتها داخل الهون ، دقت فوقها حتى حولتها الى  
معجون أخضر .. ثم أخرجت من فتحة الصدر ثديها الأيمن  
وأخذ تدلكه بالعصارة اللزجة لثقله بعد ذلك بخرقة قديمه  
وتعيده الى مكانه ! .

قلت :

— خبريني عما يؤلمك ؟ !

قالت :

— كبرت في السن .

رقدت على المصطبة . تأوهت :

— منذ اليوم سأمكث بالبيت وعليكما بالحفل ، رعيتيه  
وحدى منذ ذهب والدكما ، رفضت مساعدة الرجال ، خفت  
ان يميل قلبي الى أحدهم .

لمت عيناها :

— خفت ان يميل قلبي الى رجل غريب ، ليس من أجل  
أبيكما الشارد ، ولكن من أجلك ومن أجل أخيك .

ثم طلبت مني الا أخبره بما تفعله بثديه . قالت :

— ربما يتغضب .

ومكثت بالدار لا تخرج فترة طويلة ، جالسة او نائمة ، الى ان نهضت ذات صباح خارجة الى شاطئ النيل . انتقت بعناية بعض الأوراق الخضراء النابتة في جسر ، دققت في اختيارها ، وعادت بها الى الدار لتضعها في اناء مع بعض الماء فوق النار ، تصاعد البخار في لون مخضر فأخرجت الثدي وضغطت عليه الى أن برزت الحلمة بشدة وعرضتها له .

دخل اخي ، جمد ساكنا . لم تشعر به ، ادمى البخار لون الحلمة البنى الى الأحمر القانى فاخفت التشققات الكثيرة من حوله . شهق أخى . رفعت رأسها وبسرعة دست نديها داخل الجلباب .

دام الصمت دهرا داخل الدار ، والماء فوق النار يقلى ويفور .. وعرف الحقيقة .

- لا بد من طيبة .

قالت :

- أبدا ..

- كان عليك أن تخبرينا منذ البداية .

خرج . ناحت :

- ناح العصفور على خراب عشه .

ودفنت وجهها في حجرها . اهتز جسدها ثم صرخت في :

- اذهب خلفه وامنعه ..

قلت في صوت حكيم :



- دواء الطيبية خير من اعشاب البرارى وارحم من  
ابر الواشمة .

## ٥ - الطيبية

امسكت الطيبية بالثدى فى كفها : بالحلمة بعض التشققات ،  
تحيطها هالة غامقة اللون كالقمر ليلة اختناقہ . . فحصدت ثقب  
الحلمة بالعدسة المكبرة ، قربتها فعظم الثقب . املت رأسى  
فرايته واسعا : من هنا كان اللبن ينسال الى بلعومه ليشبع  
ويرتوى ، فهل كان ثديه يدر لبنا اكثر من ثدىي ؟ ! وهل كان  
لبنه من نفس النوع ؟ !

كان براد الشاى فوق راكية النار ودائرة الرجال من حولها  
يتسامرون ، افسحوا لنا مجلسا . . نقلوا ابصارهم فى حيرة  
بيننا ، عوملنا نفس العاملة ، الئند للئند . . حتى بدأ هو يتنكلم  
ويتصاحك وينطلق فى قهقهاته فصعدت الدماء الى وجهه الذى  
اصبح جميلا اخاذا . . تيقنوا من شخصيته فتركزت عليه كل  
الانظار ولم تفارقه . على الفور شعرت بوجهى بلا دماء او حرارة ،  
نهضت منسجبا فلم يشعر بى احدہم . .

وهذه عروق ثديه زرقاء خفيفة تختفى احيانا تحت الوشم  
الأخضر - ولون الثدى اصع من لون وجهها - وحول ثقب  
الحلمة حبيبات صفيرة زالت عندما ابعدت الطيبية العدسة  
المكبرة . .

من شقها فى جسر النيل خرجت الحية تتلوى ناعمة ،  
مطرودة من مياه الفيضان ، سكرانة من رطوبتها . صوبت سلاحى

وبطاقة واحدة بترت رأسها .. رمقنى مبهورا بنظرة اعجاب  
غريبة فمددت السلاح اليه فى تحد :

- اتقدر ان تصيب فى مثل هذه الدقة ومثل هذه السرعة ؟؟

- اقدر ان احماق الى اية امرأة فى القرية واهمس اليها  
بعده كلمات لتصعد الدماء الى وجهها خجلا ! فهل تقدر أنت  
على ذلك ؟ !

وجهت لعظمت . شعرت بالفيظ ، التقطت جسد الحية  
وقربته من وجهه . تراجع بظهره متوعدا باصبعه :

- احذر . لكل حية وليف ، وسيبحث عنها وليفها ..

مضى بضحكته .. شعرت بالغيرة وربما حسدته .

تركت الطبيبة التدى فلم يتهدل ، ظل متماسكا بارزا الى  
الامام . قالت :

- تلزمنى بعض التحاليل وصورة بالأشعة حتى أقول  
حكى .

صاحت صفارة المصنع . وبعد عدة ايام قالت الطبيبة فى  
جمود :

- الأمر الآن واضح تمام الوضوح .

ابتسم هو لأمى . داعبته بعينيها . قالت الطبيبة بعد حين :

- عليل بمرض خبيث !

أصابنى الذعر . همس أخى :

- لا .

قالت الطبيبة :

- بترا يبتر .

قالت أمى :

- لا .

قالت الطبيبة :

- بترا يبتر .

نظرت أمى اليه وقالت :

- محال .

قالت الطبيبة :

- وهذا هو سيبك الوحيد الى الراحة .

لم تترك عينا أمى وجهه . قال صوتى للطبيبة :

- الا يوجد علاج بالدواء ؟؟

- العلاج الوحيد بالجراحة .

التصقت أمى بأخى وناحت :

- كيف أسمح ببتره وولدى هذا رضيعه ؟ !

جمعت الطبيبة عدتها . قالت أمى :

- مازلت أحس أنامله الصغيرة فوقه !!

اتجهت الطبيبة الى الباب . همست أمى :

- وأشعر عضائه المحببة فوق الحلمة !

ضاع لون وجهه ، حلق الى الهواء . قالت الطيبية لأمى  
من عند الباب :

– ييس ندياك ، وولدك هذا كبر وشب ولم يعد يرضع .

## ٦ - البتر

قال صوتى لأمى :

– فرحت الدار بعودتك .

وقال صوت أخى مبجوحا :

– المهم الا تتألى بعد ذلك .

طرحتها السوداء تخفى صدرها ، خلعتها فنظر الى صدرها:  
ندى واحد ، هبط الثوب عند مكان نديه حتى صدر الكتف . .  
كانت ونحن صغيران تخرج لنا النقود من هذا المكان لنشتري  
الحلوى . .

في نظراته شيء لم أراه من قبل ، لأول مرة أراه مهزوما  
ترتعش جفونه .

في حنان وشوق ملست أمى فوق فرشة مصطببتها المنقوشة  
ثم تربعت فوقها . . مررت أصيغها فوق خطوط النقوش ، ودون  
أن تنظر إلينا امرتنا :

– والآن اذهبا الى حقلكما .

في الطريق قابلنا بعض الرجال ، تفرسوا فينا محتارين ،  
كان هو ساهما مكدوبا . قال أجد الرجال :

– أريحونا وتكلما أو اضحكا ، من منكما المهزار ؟ !

فقال لى :

- أمى وحدها تميز بيننا وبمجرد دخول أحدنا عليهما  
وهى قابضة فى ركن الدار .

قال :

- دون ان تلتفت ناحية الباب تنادى على اسمى  
أو اسمك ..

ثم قال :

- تميزنا بالخطوات وتعرفنا كما تعرف البقرة الأم أطفالها  
من خصوصية رائحتها .

قلت :

- فلما شببنا أصبحت تعرف كلامنا بموعد عودته : أنا  
بعيد الظهر مجهدا ، وأنت ليلا ودائما فى خطو متعثر ..

ثم قلت فى سرى : أما أهل القرية فينتظرون حتى تنطلق  
ضحكاته وقفشاته ليلتفوا من حوله ولأجد نفسى خارج الدائرة !!

فى الحقل قال :

- كنت أحب اراحة راسى فوق هذا التدى .

تشاغلت بخلع الأعشاب الدخيلة من حول الأعواد . قال :

- كان لينا دافئا وكنت أسمع منه صوت تنفسها .

- اعمل ولا تفكر فى ذلك .

- حتى دقائق قلبها كنت أسمعها منه رغم أنه الأيمن .

كان صوته مهزوزا . قلت فى بالى : طوال عمره ضحكك  
مهزار وسوف يتغلب على هذه المحنة .. وعندما قابلنا ابنة

نجار السواقي تلعب أردت أن أسرى عنه ، لفت نظره إليها .  
ومعها في رفق . حملقت فيه البنت وغمزت له !! لم يضحك .  
قلت :

- تذكر أننى بالدم عمها توعم أبيها .

لم يضحك . جرت البنت مبتعدة ثم عادت إلينا محاكية  
مشيته المتخاذلة وحزنه المرسوم فوق سحنته ، ابتسم فانطلقت  
البنت ضاحكة ضحكة رفيعة لكنها رنانة ، فجأوبها بضحكته  
المهلهلة سريعة التصاعد . أصدرنا معا ضحكة وصداها .

لكنه عاد إلى الدار ونظر إلى صدر أمى فاعتم وخرج إلى  
الخلاء ، وصاحت صفارة المصنع وتأوه :

- أمى هكذا ليست كاملة !

## ٧ - القطار

حاولت أن أرد إليه ضحكته . قلت لنفسى : أن يعود مهازرا  
مرغوبا غير منه أفضل من أن يظل حزينا مهموما أعطف عليه .

أخذته إلى المركز . تفرجنا على المحلات وعلى نساء البندر  
فلم يتبدل . انتهينا عند فرقة الفجر وجلسنا نشرب الشاي  
ونشاهد الغازية ذات السنة الذهبية وهي تهز جسدها ، الكحل  
غامق وحسنة مرسومة على خدها ، ممثلة البدن لكنها قوية ،  
هزت جسدها برعشة عنيفة كمن رعبه الجن ، صدرها ممتلىء  
جدا ، تكشف ثيابها عن جزء كبير من ثديها ، كانا يهتزان في  
عنف ، ويترجران مع كل حركة . مالت بجسدها كثيرا إلى

الأمم فكشفت عن معظم نديها فهل المتفرجون في عصابة ،  
ازدادت ابتسامتها ولم تفارق شفيتها . جميلة رغم كبر سنها .

سار صامتا في طريق العودة . حاولت جره الى الحديث  
ففشلت . كان يرد بهزة من رأسه . تمنيت لو رأيت وجهه  
جيدا . كان الظلام يحيطنا . فلما اقتربنا من مصنع السكر  
تساقطت أضواء نوافذه علينا من خلال الزجاج العالى - وأصوات  
ماكيناته - خطوات في ضوء متسلل من نافذة ، وخطوات أكثر  
في الظلام . وجهه جامد . قلت :

- هل تذكر لعبنا فوق قطار المصنع ؟؟

أوما صامتا . قلت :

- وقطار الصبية الذى طفنا به في كل مكان ؟؟

أوما ولم ينطق . بعد قليل قلت :

- وهل تذكر امرأة الطحان ؟؟

في ضوء النافذة لاحت نصف بسة وتنبهت الى ضجيج  
الآلات .. صاحت صفارة المصنع فخرج عمال المواسم بعد  
تفتيشهم الى الفناء . السور من أمامهم ثم حقول القصب ، وقطار  
المصنع الخالى . بدؤوا يخلصون « أشولة » الخيش اللبوسة  
على الحجم ذات ثلاث الفتحات ، أصبحوا عراة ، مدوا أيديهم الى  
ملابسهم الفبيرة .. ورأيها معا - امرأة الطحان - كانت منزوبة  
فوق عربة القطار الفارغة رافعة جسدها قدر ما تستطيع !!  
متوارية تظن أن أحدا لا يراها . دهشنا ، لماذا تقف المرأة فوق  
العربة ؟ ! تابعنا نظراتها .. كانت تتأمل الرجال العراة !

أوقفنى وقال :

- المرأة تنظر الى أعضاء الرجال !!

كانت مستغرقة لاهية عن كل ما حولها ، فتسلل صاعدا  
العربة في هدوء ، وفاجأها من الخلف . جفلت المرأة وأرادت  
الهرب .. وكما ينقض القط عاقرا القطة من قفائها انقضت يده  
تمسك معصمها . حملت فيه وهى تقاومه متخاذلة :

- ماذا تريد منى ؟ !

دخلت الى صدره لاهثة :

- أتركنى فى حالى .

ضحك وسحبها الى أرض العربة ، فهبطت معه دون  
كلمة ! .. وبعد شهور سار زوجها الطحان فى طرقات القرية  
ينفض ذرات الدقيق عن جلبابه وهو ينظر سعيدا بها فى بطن  
زوجته ، وقال الناس حبت المرأة بعد أن كادت تياس ، كل شىء  
له أوان .

مرت خطوات الظلام ، وفى ضوء النافذة التالية كان يتسمم ،  
فضحكت أنا بشدة ، وضحك هو أيضا ، لكن رنين ضحكته كان  
مختلفا ! .. قال :

- نسيت يوما أنك كنت معى . صدقنى . كانت منفعلة  
عصبية وجسدها ساخن . ولم تكن نرى من الأرض الا سعف  
النخيل العالى ودخان المصنع ، كلما تقلبنا ، والسماء وأرض  
العربة .



الليالي التالية خرج وحده ، وعاد عند الفجر ، دائما عند الفجر لينام مهدودا ، ليجد أمي سهرانة ، وقلحت حيلته معها دائما : ثلاث فبلات فوق وشم الخطوط الثلاثة على ذقنها وبتنهي كل شيء ، تبسم له وتسامحه غافرة جميع ذنوبه ، اما انا فلا افعل ذلك أبدا ، اقبلها في قلبي وبيني وأخجل من ابداء شعوري بطريقة صريحة .

بعد ان جمعنا محصول القصب وشحناه الى المصنع ، عدنا الى الدار وكان وقت الغروب . أطعمتنا أمي ، ونمت أنا من اقوري أما هو فقد غسل وجهه وخرج .

فجر اليوم التالي كان وجه أمي شاحبا وعيناها محمرتين ، أخذت تخبط على فخذها في رتابة ، ثم همست :

— لم يعد حتى الآن !!

ذهبت الى المركز للسؤال عنه ، بحثت عن خيمة الفجر فعلمت أنهم فكوها ورحلوا الى مكان غير معلوم ، على الفور تذكرت ليلة أن ذهبنا معا للفرجة على الغازية ذات السنة الذهبية، لم تفارق عيناها ثدييها . لم ينظر الى وركيها العاريين او الى سرتها المستديرة النظيفة او حتى الى شفتيها المنفرجتين نصف انفراجة او حتى الى عينيها ذات الكحل الغزير ، وانما تركت كل نظراته على ثدييها وهما يرتجان خلف الثوب الخفيف الواسع الفتحة عند الصدر .

عدت الى أمي مخدولا . زاد شحوب وجهها . ظلت صامتة لا تأكل .. وذات يوم شربت بعض الماء وقالت :

– الأب الملعون .

قالتها في صوت ملء بالحب .

وقال رجال القرية : غوته الغازية فهرب معها ، ثم قالوا  
انه يعمل الآن طبلا بعد ان ركب في فمه سنة ذهبية !!

جاءت ايام شديدة القيظ ، وعاد احد الرجال من القاهرة  
ليقول : انه شاهده يتسكع ضاحكا في ميدان المحطة قرب نافورة  
تمثال رمسيس !! .. فقال آخر : بل هو يعمل الآن في فندق  
الشلال بأسوان !!

وبكت زوجة نجار السواقى ، وحامت امراة الطحان بطنها  
المنفوخ من حول دارنا ثم اخذت تجالس امى مصطبها – كذلك  
فعلت بعض النسوة – حتى جاء أحد الرجال وقال : انه شاهده  
يرقد عند جامع السيدة زينب وقد تحول الى درويش بدقن  
وملابس مرقعة ، وانه كان يتضحك مع المجاذيب !! ..

الا ان امى لا تصدق شيئا من كل هذا ، قابعة في العتمة  
تنظر الى الباب المفتوح نهرا الموارب ليلا .. واحيانا كثيرة احار :  
هل تنتظر الأب ام الابن ؟ !

لكنها من حين لآخر تمد يدها الى مكان ثديها المبتور ،  
فأخرج الى ليل القرية المظلم الكئيب وأذناى تفتقدان ضحكتيه  
الطويلة الرنانة . لم يكتمل البدر مند أن غاب ، في ليلة اكتماله  
جاءت بنات الحور وخنقته ، وفي شهر ثال حجبتيه سحب سوداء  
داكنة لم تنقشع عنه حتى فارقه جزء من استدارته ، وفي شهر  
آخر فال الراديو عن القمر : ان احد الرجال داس فوهه بحدائه ..

بدأت أشعر أن عيون الرجال تغيرت ، تنظر الى في صمت  
واصرار كأنها تقول لي : ذهب المهزار وبقيت أنت !!

وكلما رأيت حقول القصب الخضراء ، وكلما شاهدت  
نخلتنا العالية وسعفها المنثور في السماء كوردة كبيرة .. أتذكر  
وشم الخطوط الثلاثة فوق ذقن أمي ، وقبلاته الثلاث فوقها ،  
ودموعها المنسالة فوق خديها .. فأسال نفسي : ان يعود  
الضحاك ؟ ! .. وعندئذ أشعر بالذنب لأنني كنت أحسده  
وأغار منه .

نوفمبر ١٩٦٩





---

خمسة جرائد لم تُقرأ

---



## خمس جرائد لم تقرأ

---

... وأخيرا سمعت ساكن الشقة رقم ( ٧ ) يقول للبواب ان هناك رائحة كريهة تنبعث من شقتى . قال البواب انه ايضا شم هذه الرائحة وتعجب لسيبها :

— ربما قطة بالداخل وماتت .

لكنه تذكر اننى لا أرى القطط فى شقتى ، وانه لم يسمع صوت مواء . ( شعر بأن ذلك عجيب فتعجب ) . ورأى الساكن ان الرائحة كريهة فأمر البواب باخطار البوليس لفتح الشقة .

كسروا الباب فى ضجيج عال ، فاهتز الزجاج ، وتردد الصدى فى الشقة لقللة الأثاث .

يوم أن تسلمتها أعجبنى فيها الهدوء الشامل ، والحديقة المزروعة حول كل بيت . وكنت أريد أن أسكن فى حى السيدة مع أهالى بلدتى .. غير انه لم يكن هناك مكان لى .. وعندما

سألت عن لوكاندة في شارع هادىء كانت الأسعار فوق طاقتى .  
ظلت أبحث دون فائذة . ( كان ذلك مرهقا فتعبت ) .

رغم أن الشارع مرصوف ونظيف دائما فان احدا لا يسر  
فيه غير الباعة والبوابين وأنا ، وعدد من السيارات الجميلة ،  
والأولاد لا يلعبون في الشوارع ( أدركت أن ذلك عجيب فتعجبت ) .

نزلت من ترام السيدة . وجدت عيالا كثيرين يلعبون في  
الشارع . سألتهم عن شقة الأستاذ محمود -- بلدياتي -- فلم  
يعرفوه .. لكن أحدهم سألنى :

- تقصد محمود الصيدى ؟؟

- نعم ..

فعرفوه على الفور ، وأرشدنى عدد منهم الى شقته . فكنت  
أثنى اللحاف وأفرشه فوق الحصيرة وأنام فى الصلابة . كان  
الزوم مريحا لولا حرارة الجو ، ولولا أن زوجته البدينة بدأت  
تسعر بالصجج من وجودى ، فكانت تنعمد الذهباب الى دورة  
المياه عدة مرات كل ليلة معدنه قرقعات عالية بالقبلمب ، وأحيانا  
كانت تنعمد أن تدوس على أطراف أصابعى ، فكنت أنام دائما  
ويداى مضمومتان فوق صدرى ، وسمعتها تقول لزوجها انى  
أنام كالوتى ، لكنه لم يرد عليها . ومرة شبتتنى فى رأسى بقدمها  
فألنى ذلك ، وشممت رائحة جسدها أذ مس قميص نومها  
وجهى ( لم تعجبنى رائحتها فتقرزت ) .

ركنوا الباب المخلوع . اتجهوا فى حذر صوب غرفة نومى .  
جمدوا فى أماكنهم . اشمأزوا من الرائحة . ارتدوا جميعا



منزعجين .. عدا البواب فقد وقف مكانه في سكون واجما عدة  
لحظات ، لانه أعور فقد نظر لى بعينه المبصرة ولعت دمعة وحيدة  
فوق خده الأسمر ...

حملت عينه السليمة حائرة ، وقال لى :

- كل ساكن من سكان المصارة يضع في بيته عددا من  
التماتيل السوداء الصغيرة لزواج عراة . ولكلب رابض في عنقه  
طوق ! وتمثال لفلاح يعزف الناي !!

وذات مساء لمع العجب في عينه ، وهمس لى :

- نل السكان شحوفون بهذه الأصنام !! والعريزة في أنف  
كل زنجى خريزة حقيقية ! وانطوق في عنق الكلب من الصلب  
اللامع ! والناي في فم الفلاح من الغاب الأصى !!

( كان مندهشا جدا لأنه أحس ان ذلك مدهش جدا ) .. ثم  
دخل شنتى وتفحص كل ركن فيها وأبتسم وقال :

- لكنك لا تفعل مثلهم ..

ولمت دمعة وحيدة فوق خده الأسمر ...

صعدت فوق برج القاهرة . وقفت فوقه ساعات طويلة .  
عقدت مقابلة بين حجى وحجم المدينة . تأملت العمارات العالية  
وشاهدت الناس مهرولين آكلين وقوفا .. ولما قالت المدينة  
لزوجها أنتى أنام كالموتى انتقلت الى لوكاندة في شارع كلوت بك  
لرخص سيرها ، ومنذ اللحظة الأولى حدث أمر غريب :  
اذ اتسعت أذنى وكبرت ، وجاء العمال ومدوا شريط الترام  
داخلها ! فسارت العربات بأجراسها بصير عجلائها بشتائم  
سائقها لسائقى عربات الكارو وبخناقات الكمسارى مع الراكبين،

وظلت هذه الترامات تدخل افواجا الى داخل راسى !! تدخل  
ولا تعود (علقت لافنة خارج اذنى مكتوب عليها : ممنوع الدخول،  
ولكن ذلك لم ينفع ) . و احيانا كثيرة كانت اسلاك الكهرباء تلمس  
فتحدث شرارة وفرقة صاعقة داخل راسى !! فنقبت وضع  
السريير ونمت بحيث كانت اذنى اليمنى جهة الشارع ( ذلك لانها  
ثقيلة السمع ) .

بعد جهود شاقة علمت ان احد معارف ابى يبنى بيتا فى حى  
مصر الجديدة ، فذهبت اليه ووعدنى بشقة من غرفة وصالة .  
لم يأخذ منى خور رجل او مقدم ايجار . قال ان ذلك لأجل خاطر  
والدى ( رأيت ان ذلك عجيبا فتعجبت ) .

مسح البواب الدمعة اللامعة من فوق خده الأسمر -  
قالت البدينة لزوجها ان صاحبك ينام كاللوتى - تحير البواب  
بسبب حدوث ما يرى وقال :

- يوم جاء الى هنا كان يبدو فى صحة جيدة تماما !! ..  
يومها أعجبتنى النساء اعجابا طافيا .. قال رفاق قرينى :  
( ( امرأة المدينة سهلة المنال ، والصعيدى له جاذبية شديدة  
بالنسبة اليها - جاذبية الصعيدى عند القاهرية كجاذبية المصرى  
عند الأوربية . . . ) ) .. وعلى الفور اخذت أتطلع هنا وهناك فى  
كل شرفة وفى كل فيلا . وتذكرت صديقى هاشم : ظل يقترض  
من كل من يعرف حتى اشترى سيارة صغيرة تزوج بواسطتها  
فتاة جميلة ، وبعد ذلك اراد ان يبيعه لبرد ديونه ، فاضطر أهل  
الفتاة الى تسديدها منعا للفضيحة ، واخذوا يساعدهونه بالمال  
شهريا ويمربون عن احتقارهم له ، وقال لى ذات يوم انه يأخذ  
مالهم ويرفض احتقارهم ( شعرت ان هذا الكلام مضحك  
فضحكت ) .

بدءوا يفتشون في درج مكتبي وأوراقي . لا يهمنى ذلك .  
ليست عندي أسرار أو رسائل غرامية أخاف من افتضاحها .  
توجد خطابات من البلدة فيها كلام عن القطن والقمح ، والشعير ،  
وفيهما سلامات كثيرة من أقاربي وبلدياتي ، وكل واحد منهم  
يرسل لي ألف ألف سلام . . . ويصل ويسلم ليد حضرة ولدنا  
المحبيب .

رأيت طرف السعفة العلوى يتحرك فجريت الى أمي ، كانت  
أمام الفرن تخبز . صرخت انني رأيت السعفة . اعطتني مليونين  
جريت بهما الى عم حسين ، وكان يدور بالبلح فوق حمارته رافعا  
سعفة النخيل عاليا فوق الخرج . لا ينادى على البلح ، ويبيعه  
لنا « بالدورة » أى بالأربع بلعات .

في الخطاب الرابع أراد الضابط أن يضحك ( ولكنه لم  
يضحك ) . أبى يقص على أخبار القرية ، ويرسل الألف ألف  
سلام من كل قريب وصديق . . ثم يقول ان شجرة المانجو  
التي زرعها أمام الدار ذبلت وماتت . .

ركن الضابط الخطاب . كره الرائحة فنظر الى السرير  
الخشبي كالح اللون . .

قلت في بالي : لو جاءت هذه المرأة الى سريري الخشبي  
لكان ذلك أمرا ممتعا حقا . كانت تبدو لي باهرة في شرفتها ،  
وأكثر فتنة عند ركوبها السيارة مظهرة جزءا كبيرا من فخذيها في  
حمرة خافتة ونعومة واضحة . . وذات ليلة انقطع التيار الكهربى  
فجاءت الى شقتي ، وأسرتني رائحتها العطرة . ولما عاد النور  
أعجبنتني ملابسها الأنيقة ، لكن نهديها كانا مترهلين ، وسمنة غريبة

فوق رذفيها وتحت المشد المطاط ، ورايت أسفل انفها وتحت  
البودرة شاربا خفيفا ( كان ذلك قبيحا فاستقبحته ) . وماتت  
لتقبلى - وكنت حزينا على ذبول وموت شجرة المانجو -  
ورايت وجها مطليا بمسحوق برونزى ركض خلفى بسرعة كبيرة  
جدا فجريت عنه فى بطء شديد جدا . أردت أن أصرخ فهد يده  
وانتزع جبال عسوتى ومزقها .. ثم جلبنى اليه وأراد أن  
يقبلى ..

عندئذ نهرتنى جدتى . حذرتنى بأن حجرة الكرار المظلمة  
بها عفريت له قدم مسلوخة ويخ النار من فمه فى وجوه الصيال .  
كانت تخاف أن ندخل ونسرق اقراص (( الفايض )) . وكانت أمى  
تخبر فطلبت منها مليمين . وشعرت بأن ذلك مضحك فضحكت .  
وكان البواب مدهوشا جدا لأنه أحس أن ذلك مدهش جدا .

تمنيت لو عدت الى صالة محمود بلدياى . شكوت له من  
سكنى الجديد . سكت ثم قال أن ذلك أفضل من اللوكاندة  
( كان قوله هذا غير غامض ففهمت ) .

فى الخطاب الرابع أراد الضابط أن يضحك ولكنه لم  
يضحك . وفى الخطاب الخامس رفع حاجبيه : أبى ما زال حزينا  
بسبب موت شجرة المانجو ، وقال أن جذورها لم تقبل  
التربة .. وأن الأهل والأصدقاء لا يطلبون من دنياهم شيئا سوى  
رؤيتى على أحسن حال .. والختام ألف ألف سلام .. ووضعت  
الطابع بعرفتى ، وليس بداخله أوراق مالية .

جاء الطبيب - قالت البدينة انه ينام كالموتى - وطلب  
الطبيب من البواب أن يحضر زجاجة كولونيا من أحد السكان ،

ثم أخرج مندبله وأغرقه بالكولونيا ولفه حول رأسه بحيث خبأ  
أنفه . اقترب من السرير . أخذ يعبث بملابسي ثم بمسدري  
وطني . شد جفني عيني الى أسفل ونظر فيهما طويلا ( لكن  
عيني لم تنظره ) . خرج وغسل يديه جيدا جدا ، ونظر للضابط  
وقال :

— هذه الحالة ماتت منذ اربعة الى خمسة ايام ..

عندما كسروا باب الشقة وجدوا على الأرض خمس جرائد  
لخمسة ايام متتالية لم تمس . فكر الضابط بغيرته البوليسية  
وقال ا

— اذن هو مات منذ خمسة ايام !!

وقال أحد السكان :

— خمس جرائد لم يقرأها .. كم هو سعيد !

ضحكوا .. لكن الرائحة جعلت قرفهم يتغلب .

أكمل الطبيب للضابط :

— وعلى الأرجح فان الوفاة طبيعية ، ولكن يلزمني أخذ  
عينة من امعائه للتأكد .. بكى البواب في حرقه وقال :

— الطيب يذهب !!

ورد الضابط على الطبيب بأن ذلك امر طبيعي .

كرر البواب في ألم :

— الطيب يذهب !!

ورد أبي قائلا في حنو :

– الطيب الذى يعمل صالحا يذهب الى الجنة حيث انهار  
من العسل ، اما السيىء الذى يعمل طالعا فالى جهنم وبئس  
المصير .

وحيرنى ذلك حيرة فائقة . فلم اكن اريد ان يبتس مسيرى  
واذهب الى جهنم لاننى اكره ان احترق ابدا . . . وفى ذات الوقت  
لم اتحمس للجنة لاننى لا احب العسل .

( والآن اعرف جيدا اين انا . . . واشعر برغبة عارمة فى رواية  
ما عرفت . . . الا اننى أخشى من عاقبة ذلك . . . فهنا أيضا . . . ) .

## الجاذبون

فى هدوء شديد قفزت الى الناحية الأخرى وبدأت أهبط  
بخطوات مصممة ، النيل امامى بعياهه وأمواجه وطميه ،  
والشارع من خلفى بكل ما فيه .

أخذت أهبط المنحدر ، والنيل يأتى الى حتى لامست حافته  
فسمعت صوت المويجات واضحا . تلفت خلفى ، رأيت حجارة  
الجسر وضفدعين . نظرت الى أعلى فرايت رعوس الناس  
سائرين . . وكان يقف هناك بعينه شديدة الاتساع شديدة البروز  
يجحظ بهما ويحملق نحوى ، من ورائه مبنى التليفزيون ببرجه  
العالى . جاءت الشمس من خلفه وفى عينى فلم أعد أراه الا كشبح  
أسود يشكل هيكل انسان ، خيال ظل ، ولكننى رغم ذلك -  
وبوضوح شديد - رأيت عينيه الجاحظتين نحوى .

سرت خطوتين . ابتلت قدمائى بالماء وشاهدت بعض  
الأعشاب النامية المخضرة ، وسحلية تصطاد بلسانها حشرة

ضئيلة . تقدمت فارتفعت الياء -حتى ركبتى حتى فخلدئ -حتى  
بداية جلدئ ، وكان برج القاهرة الشاهق أمامئ ، وفوقه سائح  
يتأملئ خلال المنظار الكبير .

نظرت ثانية خلفئ ، كانت هناك أشباح الناس وعيونهم  
جميعا شديدة الاتساع بارزة الى الأمام ، شعيراتهم الدموية  
واضحة الاحمرار .

وصلت الأمواج حتى كتفئ ، أحاطت عنقئ . ولأن المياه  
كانت مليئة بالقش والقاذورات فقد أحسست باتجاه التيار ،  
استدرت لأشاهده يسير نحوى فالتصق شئء مبلول فى ذقنئ  
وغطئ فمئ ، هززت رأسئ فارتفع وخنق أنفئ ثم أعمئ عيني ،  
لدا لجأت الى يدي وجذبته لأجد أنه قطعة من جريدة لم تتمكن  
المياه من محو كتاباتها .

أعطيت ظهري للتيار . كانت الطريق فى أعلى مزدحمة  
بالعديد من خيالات الناس ، ظلال أجساد وعيون جاحظة كثر فيها  
البياض الملىء بالشعيرات الدموية القانية وصغرت الدوائر  
السوداء ، اندهشت ان كان باستطاعة جفونهم أن تغمض فوق  
هذه الكرات المتضخمة ..

أطبقت المياه بمنقئ ، تقدمت حتى وصلت الى ذقنئ ، فكرت  
ان كان عندي كلام أخير أقوله ولم أجد رغبة فى ذلك ، فتقدمت  
وغرق فمئ .

وش الهواء فى أذنئ ، لكنئ سمعت أصواتا غريبة مختلطة :  
محركات آلية وقبلات ومنبهات صوت وتنهذات زرادبوهات



عالية .. وسمعت أنين انسان مدبوح متداخلا مع تكتكات آلة  
حاسبة وتأوهات مطربة عجوز .. سكن الهواء لكنى سمعت ايضا  
مطارحات غرامية وجهاز تسجيل وانفجار ..

اغرقت اذنى فعرفت صوت المياه وصوت أبى وهو يتمخظ  
فى الصباح وطرقمة شبشب امى وصفارة سيد جارنا رفيعة  
منغمة ، ونيل ينادى على .. وجرس المدرسة .. « نام  
يا حبيبى نام وانا اذبح لك جوزين حمام » .

- اننى يا سيدى اطالب باحالى الى العاش ..

ضحك :

- نكتة ظريفة ..

- اننى يا سيدى فى غاية الجدية ..

- ها ها ها ..

- يا سيدى اننى فى غاية الجدية ..

« .. واذبح لك جوزين حمام » فبكيت وكنت رضيعا  
على حجر امى ..

ضفطت المياه متدفقة على طبلتى الأذنين فتموجت فيهما  
بذبذبات عريضة ، وأحسست برطوبة ..

- ولكننى يا سيدى تخطيت المائة عام !!

- وهذه ايضا نكتة ظريفة .

- يا سيدى صدقنى اننى فى غاية الجدية ..

ثم صعدت فوق السور الصغير وقفزت الى الناحية الأخرى  
وبدأت أهبط حتى قاربت المياه عيناي . استدرت ، نظرت الى  
الشاطيء : كانت هناك مجموعة كبيرة من العيون المتضخمة ،  
تناثرت فوق السور أو تحته أو على تدرج الجسر المنحدر ..  
رأيت بواحدة منها دمعة غليظة ، انحدرت نحوي ، تلوقتها  
فاكتشفت أن طعمها كطعم الدموع وأنا اعرف جيدا طعم الدموع .

تموج سطح الماء أمامي بوجه أختي يحمر وهي تسمع  
صفارة « سيد » الرفيعة الممدودة وكانت تشغل التريكو ..  
ورأيتني أمد يدي بالطلب الى رئيسي :

– وما هو يا سيدي طلب رسمي لاحتياي الى العاش  
مستوفيا لجميع الدفقات القانونية ..

فاحمر وجهه غيظا .. ولما رأيتني اضاجع سميرة الفراش  
وشاهدت مؤخرتي عارية ضحكت من نفسي .. ولعبت الكرة  
الشراب في الشارع وسجلت كثيرا من الأهداف التي لم تحتسب  
بحجة أن الكرة مرتفعة .. ثم طالعنتي العيون المحملقة على  
الشاطيء .. ورأيتني في بطن أمي داخل الرحم وكانت به أشياء  
غريبة : أمعاء وخلايا ودماء وافرازات عجيبية الشأن ، وأنسجة  
وشرايين وأوردة .. وعين جاحظة وندوات سياسية وهدير نفاثات  
وحمار ينهق وعقل الكتروني .. ثم رأيت حلمة الثدي اليسرى  
وكنت أحب أن أضغط بيدي على هذا الثدي ، وتذوقت طعم  
اللبن وكانت هناك هالة قائمة تحيط به ، ومرة شبعت وعضضت  
الحلمة فابعدتني أمي بنظرة عاتبة ، وكان اللبن يتدفق دافئا من  
الثقب فيطري حلقي وبلعومي وبطني – لكن أمي ماتت عقب  
ولادتي – وأذكر أن الملائكة جاءتني ذات ليلة وأكلت معها  
أرزا باللبن .

فتح رئيسى ملف خدمتى غاضبا وأخرج شهادة ميلادى :

– وهذه تثبت انك لم تبلغ الثلاثين من عمرك بعد !! فكيف تريدنى أن احييك الى المماش ؟ !

تقدمت عدة خطوات مرة واحدة ففرقت عينى وشعرى وغطت المباه كل رأسى . سرت حتى أعماق القاع . كان داخل رئتى كثير من الهواء زفرته فخرج تدريجيا على هيئة فقاعات ترتفع الى أعلى .. ورأيت ففاعات الماء بالصابون فى شرفة البيت ، ولعبت مع سوسن فوق السطح وذات مرة لعبت معها لعبة العروسة والعريس واكلت منها نصف حلواها .

أخذت شهيقا طويلا فتدققت المياه داخلى . أخرجت زفيرا قصيرا فخرج باقى الهواء منى ، ثم شهقت حتى أصبح كل جسدى مياه .. على الفور رقدت على ظهرى فوق القاع الطينى وكان رطبا وهددتنى أمى فوق حجرها وقالت :

« نام يا حبيبى نام » – الا اننى شعرت بأن العيون الجاحظة نفذت خلال الماء والطمى واخذت تراقبنى .. وجاءنى بعض السمك الصغير وتطلع الى : فأمسكت اعصابى بصعوبة وتلدعت بالصبر ..

وقلت له :

– يا سيدي أنا أدري بنفسى واقول لك صدقا فكيف لا تصدقنى ؟

– شهادة الميلاد لا تكذب \*

- لكننى اكون من لحم وعظم ودماء وخلايا وشرايين وحديد.  
ورئيين وقلب وأذنين ويدين وأنف وعينين وفم وأملاح .. كيف  
تكتب كل ذلك وتصدق ورقة صغيرة عليها بعض الحبر ؟

مال لوني الى الزرقة وانتفخت وبرزت عيناى . ففرت  
فمى :

- صدقنى يا سيدى ، لست مجنوناً .. لم اكن فى حياتى  
جائداً مثل اليوم ..

جحظت عيناه وهزأ منى .. فكرهت هذا المكان الذى  
انا فيه ، وتركت التيار يجرفنى من مكان الى مكان .. وحدث  
ما بين اليوم الثانى والثالث ان قررت الطفو وتذكرت قانون الطفو  
لأرشميدس .

كان الوقت فجرا وبدأت الشمس تشرق على فى جمال اخاذ  
واعجبني ذلك .. لكن زرقة الجسد زادت واضحت بطنى كبطن  
المرأة الحامل .

مررت على عدد من المدن والقرى .. وحدث امام احداها  
ان حجزتني بعض النباتات النيلية الا ان خفيرا نظاميا لا لمرقه  
خلصنى وساعدنى على السير مع التيار .

جاء الليل وجاء النهار عدة مرات .. وقلت له :

- يا سيدى انا ادرى بنفسى وعمرى الان فوق المائة عام .

جحظت واعريت نظراته عن رغبته فى انصرافي ..

واصلت رحلتى .. وذات مرة رأيت عجوز كان يتوضأ  
وينوى الصلاة فى زاوية على النيل ، فنظر الى طويلا ثم تلا على  
عدة آيات من القرآن . دخل بعدها الزاوية ليؤدى صلاة الفجر .

مررت على دمياط ثم رأس البر . وجدت نفسى فجأة فى  
مدخل البحر المتوسط . سررت جدا ! .. أخيرا ها هو  
البحر الواسع الرحب بمياهه الزرقاء النظيفة الممتدة فى براح .  
الا أننى ظلت أتذبذب مع الأمواج من البحر الى الشاطئ والعكس  
عدة مرات حتى حدث أن انحسرت الأمواج فى جزر كبير فدخلت  
البحر وبدأت أمواج بعيدا عن الشاطئ الى أن اختفت الأرض  
نهائيا ..

ذات فجر حامت سمكة كبيرة من حولى ، ايقنت أنها تريد  
أن تلتهمنى ، لم أبال لذلك . اقتربت منى فى هدوء ، شممتنى ثم  
تركتنى واستدارت وضربتنى بذيها وسارت مبتعدة .

وذات مساء ألقى مركب صيد كبير بشبائه العريضة  
فصادنى وصاد الكثير من السمك ، ولما رفعونا الى السطح  
أخذوا السمك وركنوه جانبا أما أنا فقد وضعونى فوق حاملة  
قرب الحافة ووقفوا مصطفين فى صمت رصين حيث قرأ القبطان  
صلاة مسيحية فوق جثنى ، وبعدها أمالوا الحاملة فانزلت انا  
الى البحر نائية . هدرت الآلات ودفعتنى الأمواج من خلف المركب  
الى الاتجاه المضاد .

بت ليلة أخرى فى البحر . رأيت فى السماء جسما مضيئا  
شاهق العلو أدركت انه احدى سفن الفضاء - ثم سمعت الاعلانات  
فى التليفزيون عن مسحوق غسيل يقوم بكل العمل لوحده وعجبت:

لماذا لوحده ؟ ! - وعلمت ان البحر في المساء يكون شديد البرودة .

بدأت حوافي تتأكل ، ولم ينقذني من كل ذلك الا سمكة ضخمة فتحت فيها فدفعتنى الأمواج داخل أحشائها مما اضطرها الى التهيامى - وكان فى أصبعى خاتم ذهبى - الا أنها استطعمتنى .. ورأيت داخلها حبل رحم أمى .. ثم بدأت أمعاؤها تفرز سوائل واحماضا غريبة فتحللت تماما ، وامتنصنى جسد السمكة فتغذت بى وزادت كمية لحمها وكمية دهونها ، وتكونت لها انسجة وخلايا جديدة وكثيرة .

ولما صارت السمكة سمكة سمينة ، هدأت سرعتها فصادها مركب صيد كبير ، وعاد بها داخل ثلاجته الهائلة الى الشاطئ وأنا متخلل لحمها ودهنها وعظامها ومسامها .. ثم باعوها الى مصنع السردين .. وهناك فتحوا السمكة ونظفوها من الداخل ، ووجد أحد العمال خاتمى الذهبى فأخذه بعد أن غسله من الشوائب ، وكنت قد فشلت فى التخلل الى الذهب .

دخلت فى جسد السمكة الى الآلات الفاسلة ثم المطهرة ثم آلات القطع ، وقسمونا الى قطع وشرائح صغيرة ، وجاءت الآلات بعلب السردين الفارغة ووضعوا فى كل منها جزءا صغيرا منا .. انزلت العلب فوق سير جلدى طويل ، حيث سكبت آلة بعض الزيت والصلصة فى كل علبة .. ثم سرنا ثانية الى أن أغلقوا العلب علينا ، ولصقت الفتيات الورق باسم الشركة وبنوع السمك .

- يا سيدى بالأمس أخذت عينة من بشره وجهى ووضعتها تحت الميكروسوب ولما نظرت رأيت بها آلاف التجاعيد الفائرة ..

فصدق ظنى واستنتجت أن عمرى تعدى المائة .. والعلم  
يا سيدي لا يكذب ..

فطرذنى من ممتبه - وعلى الفور ففزت من فوق السرير  
وقالت أمى : « نام يا حبيبى نام » ولما أكملت « لأذبح لك جوزين  
حمام » بكيت ..

صدرونا انا والسمكة بالزيت والصابون فى مئات العاب الى  
اماكن مختلفة والى عدد من المدن المتباعدة .. وذات يوم اشترانى  
رجل بعين جاحظة ، فتح العلبة وسكبنا فى طبق وعصر علينا  
ليعمونا ونثر بعض الملح والفلفل ، ولما تذوقنا استلعمنا وقال  
لزوجه :

— هذا نوع ممتاز جدا للذيد جدا .

ذاقت الزوجة وواقفته وقالت :

— ان صناعة السردين تقدمت جدا .

## الفشاء

---

« مبروك » ، لم يتمكن من حضور الحفل ، ارسل برقية ؛  
« زواج سعيد .. » ، هو الآن في خيمته أو في طلعة استكشافية ،  
« تخوننى وتتزوج .. » ، في العراء خلف سلاحه ، « بالرفاء  
والبنين .. » ، أو لعله يتذكر شقاوتنا أيام زمان .. « من  
صديقك صفوت .. العازب الأخير في الشلة » .

أبيض - فستانها - طويل . أصابع قدميها تبدو من تحته  
مطوية الأظافر بلون الورد ، الأصبع الغليظة دائبة الضغط على  
الطويلة . داخل حذائي يحدث نفس الشيء - قلق للذيذ ممتع -  
ومن الطبيعى الا نظل جالسين هكذا على حافة السرير ؛  
طفنا بعدة محلات حتى وقع اختيارها عليه ، وقالت : « بسيط  
واقنصادى » .. فنقر أبى بعصاه وقال : « فاكر يا ولد سرير  
أمك المزخرف بالرسوم الجميلة ؟ » .

أمسكت بكفها في كفى ..



في الصباح جاءت أمها وفرشت هذه الملاءة الزرقاء منقوشة  
حوافيها بالورود ، وغطتها بملاءة أصفر منها بيبضاء ، ولما سألتها  
عن السبب حملقت في مكر ، وداعبتني بضحكة عالية ، قالت  
بعدها :

- ابنتي ليس عندي أعز منها . عاملها يرفق . .

ثم طبطبت على الوسادة وفردت غطاءها وقالت :

- ان تملكها الخجل وسيطر ، انتظر عليها الى ليلة اخرى .

- الانتظار صعب . .

- وصعب عليها أيضا !

أطراف الأصابع باردة ، لكن كفها صغيرة وناعمة . . اما عن  
صديقي (( أحمد )) فقد كنا نناعبه باسم (( الذئب )) لكثرة مغامراته  
مع النساء ، لكنه لما تزوج لم يضاجع زوجته الا في الليلة  
الخامسة ، وقال : (( في كل ليلة من اربعة الليالي الأوليات كانت  
تبدو سهلة المنال ، ويخيب أمل )) ، ثم قال في عجب :

- النساء أنواع !

همست لها :

- يدك باردة . .

- ويدك أيضا فيها رعشة خفيفة . .

عاد صمت الكلام . . الا أن (( عزت )) - صديقي الخام  
قليل الخبرة - نجح في الدقيقة السادسة والخمسين - هكذا  
أقسم - فرفعنا عنه صفة (( الخام )) . . وقال في زهو :

- الرجال أنواع . .

ومنذ دقائق جاءت بنا السيارة المزدانة بالورود ، ودخلنا  
الشقة ، وحرصت على ان اغلق الباب خلفى بالمزلاج .

سمعت انفاسها ، وعندما تحركت سمعت حفيف ثيابها .  
قمت وخلعت الجاكته والقيتها على المقعد - كانت تراقبني في  
المرآة - قالت :

- توجد شماعة في الدولاب . ضع الجاكته داخله .  
ضحكت وعدت اجلس لصقتها . حلت مشبكي الطرحة  
والقيت بها على حافة السرير - ما زالت تراقبني في المرآة .  
لم تتكلم - بدأت افك ازرار ثوبها :  
- كان الحفل مبهجا .

هزت رأسها . فككت الزرار الثانى . بدأت المس ظهرها  
من اسفل العنق . أحسست بسخونة جسدها ، تأملت لونه  
القميى . رأيت طرف القميص الأحمر ومن أسفله مشبك  
السوتين الأسود الرقيق ، فككت الزرار الثالث :

- هل تعرفين عدد الزراير في ظهر رداك ؟

ضفطت على موضع كل زرار افكه - دغدغتها الضفطات  
أفرغت كتفيها لأعلى - رأيت في جسدها مسام دقيقة وجذور  
شعيرات لم تنبت ، وعددت فقرتين من بسلسلة ظهرها ..

أجابت :

- خمسة زراير .. ستة .. ربما خمسة ..

أحست يدي بصوتها يخرج . ألصقت أذنى فوق ظهرها  
فلمست نومته وسمعت أبى يقول ونحن نهبط : « أحسنت

الاختيار ، لكنها نجيفة . كانت أمك تنهادى في مشيتها كالبطة ،  
ممتلئة وبضة )) - لسعتها برودة أذنى ، ارتجفت وهبت واقفة -  
لكنه عند العشاء مال على أذنى : (( هل تأكدت من أن شعرها  
طبيعى ؟؟ )) .. استرجعت رائحة عطرها ونظرت له دهشا ،  
فقال بلهجة خبيثة : (( يجب أن تكون حريصا ، الموضة هذه  
الأيام هى تزييف شعر الرأس )) .. أقسمت له أن شعرها طبيعى ،  
كذلك أسنانها ، وعلى اننى تأكدت من أن صدرها غير مزيف ..  
فسقطت الملعقة من يده وحلق مدعورا .

تأملتيا ميتسما . سمعت صوت المياه فى المواسير ، وصوت  
محرك ومواء قطة وهدير آلات فى الخارج . نظرت الى النافذة  
وتأكدت أن زجاجها مفلق فى احكام .

بهرتنى حمرة الخدين وهمسة الشفتين وهى تقدم لى  
البيجامة الجديدة المعطرة :

- اخترتها بنفسى ، أعرف لونك المفضل .

احتضنتها ومددت كفى تحت ثوبها فدفعتنى عنها فى خفة ،  
لم أصر : ارتديت البيجامة ، وأضجعت فوق السرير ، وقلت لها :  
- بينما تغيرين ملابسك سأبحث فى الراديو عن موسيقى  
مناسبة .

أدبرت المؤشر الى موسيقى خفيفة ، ثم أخذت أراقبها :  
خلعت ثوبها ، فكت شعرها فانساب كالحرير ، خجلت وقالت :  
- ابعد عينيك عنى .

أغمضت عيني : فجاء أبى وجلس قبالتى ونقر بعصاه فوق  
الأرض نقرات رتيبة ، وابتسم فى حسرة : (( كان السمن البلدى

رخيصاً واللحوم متوفرة وأربعة الأرغفة بقرش صاغ ، فجاءت  
أمك سميئة في غير ترهل ، وكان ثلاثة رجال يتنافسون على الفوز  
بها» .

فتحت عيني . قالت :

أبعد عينيك عني ..

سحبت الفطاء فوق وجهي وتركت ثغرة لا تسمح  
الآن لرؤيتها ، لاحظت هي ذلك فابتسمت ولم تتكلم .. ( وكانت  
هي التي حسمت موعد قدوم أول وليد . قالت نزل الخلفة  
عدة سنوات ، فوافقتها بهدوء شديد ) . هزت رأسها لتطيح  
الشعر الى ظهرها ، وقفت حائرة للحظات ، وضمت اصبعها في  
فمها ، زادت حلاوتها في عيني .. ( وقلت لها : ما أرخص حبوب  
منع الحمل .. ولم قننايني السعادة لحظتها ولم تستول على  
الكأبة ) . سمعت صوت طائرة يقترب فاهتز زجاج النافذة ،  
وطرقت أذني اصوات غريبة لم أستطع تمييزها ، تمنيت لو كان  
المنزل قد صنع من مادة عازلة للصوت تماما .

انتهت من تغيير ملابسها ، وتشاغلت بضبط وضع المقعد ،  
وبمسح غبارة وهمية عالقة بالمرآة ، سارت متباطئة صوب  
السرير ، كدت اهتف : « احلى من القمر » . فصرخ احد رجال  
الفضاء من سفينته وهو يقترب من القمر : « يا لحماقة  
الشعراء .. ان القمر كوكب مخيف ملي بالصخور  
والبراكين !! » .

سكتت الموسيقى في الراديو - ثم هتف : « أرى أن الأرض  
صغيرة ، كرة صغيرة جدا .. لكنني أريد العودة إليها سريعاً » .

قال المديع :

— سيداتي ...

قلت له : ليس بعد ..

قال المديع :

— اليكم الآن النشرة ....

أخبرته ، وبحثت عن موسيقى في مكان آخر — تهادت في قميصها الحريري صاعدة فوق السربر — سألتها :

— سعيدة انت ؟؟

— نعم .. وانت ؟؟

— لا بد ان يكون كذلك .

لثمت وجنتها ، مررت بأصبعي في خفة حول شفتيها ، هبطت الى الذقن الى الصدر ما بين النهدين — لم تتحرك ، كنت متلهفا جدا ( قال صاحبي ان الرجال انواع ) ، الا انها ابعدت أصابعي ونهرتني في دلال :

— لا تكن عجولا ..

قلدت بأصبعها لازمة أبي وحاكته فائلة :

— حتى لا تزيد من سرعة دوران الأرض ..

يومها القى أبي بالجريدة في سخط وقال :

— ها هي سرعة دوران الأرض حول نفسها قد زادت بمقدار جزء من مائة ألف من الثانية !! ..

ضحكت فنهرني في صرامة :

– ذلك لأن حياتكم فوق سطح الأرض حياة لاهثة !! ..

التقط أنفاسه وهددنى بأصبعه :

– ولكثرة المتفجرات التى اخترعتموها !!

قلت فى براءة شديدة :

– أنا لم اخترع شيئاً ( وقرات بعد ذلك أنها استردت سرعتها ثانية ) . فرفع عصاه ثم خفصها ، وسخر فى تقرير حاسم :

– أنتم جيل مهزوز يستمد شخصيته من الأذاعة والتلفزيون والصحف الموجهة والإعلانات !!

مدت يدها نحوى وهزتنى فى لطف ، كانت تبتمس لى . زدت من التصاقى بها . سألتها ان كانت سعيدة ؟؟ فقالت اننى سألتها هذا السؤال منذ لحظات .

ملت فوقها واحتضنتها فى شدة ، قبلتها فى اذنيها واسفلهما ، فى عنقها فى كل مكان ، فى جبهتها ، وهى مستسلمة ، تغمض عينيها ثم ترمقنى فى لهفة واستطلاع ثم تبعدهما عنى فى حياء ، تنفرس فى السقف او فى شعرى أو اذنى ، الى أى مكان ما عدا أن تلتقى عيناها بعينى .

ارتفعت برأسى متأملا وجهها المليح : رقت ابتسامتها ، علب الاحمرار فى مقدمة أنفها . احتويت نديها الأيسر النابض بقلبا فى كفى اليمين ، ضغطت عليه بنعومة فى حركة نصف دائرية ذاهبة آتية ، رحت أسعد بقبلة ، وبدأت الحياة من حولنا تتلاشى وتغيب فى ضباب وردى ، وتضيق لتصبح ذلك الحيز الضيق

الذى يحوى جسدها وجسدى المتصقين ، واللذين آن لهما أن  
يمتزجا فى تركيبه واحده ، وراى صمت قدسى الا من انفاسها  
وانفاسى وموسيقى حاله تاه مصدرها .. ثم شيئاً فشيئاً بدأت  
اتنبه الى صوت رجل يتحدث معى فى الحجرة بجوار السرير ،  
والباب مغلق والنافذة كذلك ، فبدأ الضباب الوردى يتلاشى ،  
وأخذت أمز الكلمات التى افتحمت اذنى ، وكانت الموسيقى  
فى الراديو قد كفت - وصوت المذيع يتحدث عن غارة عنيفة  
وهن مئات الأطنان من المتفجرات : « كما يقدر عدد الضحايا  
بالعشرات ما بين قتيل وجريح » ..

رفعت كفى ، مددت يدي لاسكت هذا الأخرق ، سقط على  
الأرض ، بعشرات القتلى ، ارتبكت شفئى فوق شفئىها - رمقتنى  
بنظرة متسائلة - ما بين قتيل وجريح ..

## مطارحة غرامية

– لماذا تظن أن ظوك ينقص ؟ !

فتحت زوجتي الباب . اندفعت داخلا ، لاهثا مجهدا  
مدعورا ، وطلبت منها أن تحضر المقياس المترى بسرعة .

أخذت أقيس طولى ، ثم خلعت حذائي حتى أسجل الطول  
بكل دقة . اندهشت زوجتى .

وفى الصباح لم تخف استنكارها وسألتنى :

– ألا يوجد غيرك يقوم بهذه المهمة ؟

وطمأنتها الى انى سأعود قبل طول الظلام .

عادت دهشة زوجتى تسألنى :

– لماذا تقيس طولك بكل هذه الدقة ؟

فأجبتها :



— لأعرف هل نقص عما كان عليه في الصباح أم لا !

وقسته حتى أقرب ملليمتر ، ثم وجدت نفسى فى مشكلة عويصة : فلم أكن أعرف كم كان طولى فى الصباح ، لم أكن قد سجلته ! .. سألت زوجتى ان كانت تعرفه فأنكرت . فتحت بطاقتى الشخصية وبحثت ان كان طولى السابق مسجلا بها ، فلم أجد !

وعندئذ سألتنى ثانية :

— لماذا تظن ان طولك ينقص ؟ !

لم أجب ، وانغمست بكل طاقتى فى تفكير طويل ، حتى نبهتنى وقالت ان : « الحمام جاهز » . ثم ضحكت ضحكة أعرفها جيدا ، فالليلة ليلة نهاية الأسبوع ، وهى تتوقع ان اطارحها الغرام ، من الصباح وهى تلمح بهذا الانتظار .

نظرت الى وجهها : العينان تتغامزان بسرعة داخل المقلتين ، أعرف معنى ذلك ، الدم منحسر عن كل الوجه متركز فان فى الخدين ، الشعر مهدل من اثر الاستحمام ، لكن فيه فوضى جذابة محببة .

قالت نظرتها وهى تضغط كفها على كفى : « الليلة تطارحنى الغرام » .

رحبت بالحمام ، على ان أغسل قذارة النهار كله تحت مياه الدش اللذيذة . غير انى من أول لحظة خامرنى احساس غريب : « احترس من هذه المياه ! » .. شعرت انها مياه غير عادية ، تفرست فى اللون ، كان رائقا كالمعتاد . تذوقت الطعم ، كان العلب المألوف ، لكن الاحساس الغريب استولى على تماما .

قلت ان ذلك من فعل الشمس ، فبعد ان انهيت مهمتى قررت التوجه لالقاء نظرة على الجانب الآخر ، فرايت احدثهم يقف هناك فى هذا الجانب الآخر ، قبيح المنظر لامع العينين . نظر الى من ابتسامة كريمة ، لم اكن اعرف اسمه بالتحديد ، ولا اذكر انى رأيت من قبل ، ومع ذلك شعرت بالآف الوخزات فى كل جسدى ، وكانت الشمس قد توسطت السماء تماما ، مرسله اشعتها فى آلاف من الابر اللتهبة ، واصبح جسدى غربالا من نقط « حمراء - زرقاء » .

انهالت المياه الباردة بشدة وعنف فى رذاذ قوى ثقيل فوق راسى ، قلت لعلها تطهر جسدى من قذارة النهار ، لكنها تبدو وكأنها ليست مياه كل يوم ! وهمست لنفسى : « يجب ان احل هذه المياه ، يجب ان آخذ عينة منها فى قنينة واذهب بها الى معمل التحليل الكيمايى ، فالأمر هام وخطير : هل هذه المياه تتكون من الاكسجين والهيدروجين بنسبة واحد الى اثنين كباقي المياه أم لا ؟ !

فتحت الدش عن آخره ، فرايت شعر زوجتى المهدل من اثر الاستحمام ، وكان فى فوضى جذابة محببة ، وعندما ضغطت بكفها على كفى توابت، عيناها قائلة : « الليلة تطارحنى الغرام » .

دعكت وجهى بشدة ، ودعكت صدفى وقفاى بالصابون .. فقد نظر الى من الجانب الآخر بعينين متبلدتين فيهما غرابة ، ثم فتح فمه : اما ليضحك او ليصفر او ليتشعب - لم استطع التأكد - ولكننى عندما شعرت براسى غارق فى شىء ما كريمة الرائحة قلت : « انما فتح فمه ليصق » . وعجبت من هذه البصقة التى طارت غزيرة ، فشعرت باشمزاز منه ومن راسى ، وتمنيت لو قتلته أو غيرت هذا الرأس ، الا أنه عاجلنى ومد

يده فطالت وضربني بها على صدغي ، فقلت : فور عودتي الى الدار لا بد ان اغسل رأسي جيدا ، وفكرت ان كان بالمنزل صابون يكفي لذلك ، ثم قررت ان اشترى صابونة من البقال المجاور لمنزلي وذلك من باب الاحتياط .

أردت ان افتح الدش حتى آخره ، فاكشفت انني فعلت ذلك . وكلمما امتدت بدي لتنظيف جزء من جسدي عادت لتدعك رأسي وصدغي ، وقلت : « اكيد ان هذه المياه ليست عادية ! » .

طرقت زوجتي باب الحمام تستعجلني في الخروج ، وكان صوتها رقيقا مرتعشا .. وقبل خروجي في الصباح ، وعندما فتحت لها سداة - عجزت هي عن فتحها - نظرت الي في اعجاب ، وطلبت مني ان اعود من مهمتي بأسرع ما يمكن ، ثم قبلتني ووشوشت في اذني بعدة كلمات ، فانتشيت ، وظللت منتشبا حتى رأيتنه ينظر الي من الجانب الآخر ، وحتى حولتني ابر الشمس الي غربال من نقط « حمراء - زرقاء » . . فتسربت مني النشوة .

ذابت الصابونة ، فناديت على زوجتي وسألتها ان كان لدينا صابونة أخرى ؟ فأتكرت ذلك وقالت انه كان على ان اشترى صابونة أخرى وأنا عائد الى المنزل . لكنني لم انس ذلك : فبعد ان اشتريت الصابونة وسرت في الطريق قاصدا منزلي ، وأنا مازلت في غاية القرف ، لاحظت ان عربة سوداء كبيرة من عربات نقل الموتى تتبعني !! . . دهشت وسألت نفسي :

« كيف تتبعني عربة سوداء كبيرة لنقل الموتى وأنا لم أمت بعد ؟ ! » .

وهمت بأن أسأل أحد المارة ان كنت حيا او ميتا ! ..  
لكن العربية سارعت وحاذتني ، وهبط منها عدد من الرجال في  
ملابس الحداد وفي وجهه شاحبة بيضاء كوجوه الموتى ، وكل  
واحد منهم ممسك في يده بمطرقة كبيرة ضخمة سوداء . أوقفوني  
والتفوا حولى في دائرة سوداء ، ثم انهالوا فوق رأسى طرقا  
وضربا !!

وكنت متأكدا من صلابة رأسى ، وكنت أعرف أنه لن  
يتهشم مهما كانت ضرباتهم قوية . فوقفت ساكنا . نظرت الى  
عيونهم : كانت تبحلق بلا أدنى انفعال ! . فكرت ان أصرخ فيهم  
لكنى لاحظت ان آذانهم مسدودة بالطين ! .. ثم أيقنت للحظة  
عابرة أنهم أصنام تتحرك بأيديهم بالمطارق الهابطة فوق رأسى  
في عنف وقوة ، وفي اتجاه عمودى !

قلت لنفسى : « لو استمر ذلك طويلا لنقص طولى عدة  
سنتيمترات وزاد عرضى عدة سنتيمترات ، وبذلك ينبعج شكلى  
واترهل ! » .. وصممت على أن أتأكد من ذلك فور عودتى الى  
المنزل .. فاندعشت زوجتى وسألتنى :

— لماذا تظن أن طولك ينقص ؟ !

وكان الأمر جد خطير : فلو انضغطت وقصر طولى عن طول  
زوجتى ، فان ذلك قد يؤدي الى التوتر والنفور فى علاقتنا  
الزوجية — وأنا حريص على دوام هذه العلاقة ، وأعرف انه  
عندما يرتعش صوتها وينحسر الدم من كل وجهها ليتركز في  
الخدلين فهذا يعنى أنها تريدنى أن أطارحها الغرام — ولم يكن  
يعجبنى أن ينبعج شكلى ، وأصبح كما لو كنت خيالا فى مرآة غير  
مستوية .

وفي المنزل فتشت عن الصابونة في جيبى فلم أجدها !

أغفقت الدش . أمسكت بالملابس لأرتديها .. وصعقت :  
هذه ليست ملابسي ، كان حجمها أكبر من جسدى ، تعحصتها  
جيذا ، وكانت تشبه ملابسي الى حد المطابقة !!

نظرت في المرآة .. ذعرت ، وصرخت في زوجتى ان كانت  
قد غيرت المرآة القديمة المستوية بأخرى محدبة ، فأنكرت ذلك !

جست أفكر : « اذن لماذا أرى صورتى منعكسة صغيرة  
ضئيلة في حجم عقلة الصباع ؟ ! » .

وتأكدت ان الصورة المنعكسة في المرآة صورة صادقة !! .  
نظرت الى الدش : ليست مياهاه عادية أذن ، من المؤكد ذلك :  
لايمكن ان تكون مركبة من الأكسجين والهيدروجين !!

ودقت زوجتى الباب تستعجلنى .. لكننى عدت افكر فى  
هذا المحلول الغريب الذى تساقط فوق رأسى فى رذاذ يشبه  
المساء وكنت تحته كقطعة سكر او كتلة ملح !! .. همست زوجتى  
تدعونى الى الخروج .. وتذكرت انها فى الصباح - بعد ان  
قبلتنى - وشوشت فى أذنى بأنها تريد ولدا ، وكانت تظن ان ذلك  
يسعدنى فانتشيت .. لكننى عندما تحولت الى غريبال تسربت  
منى هذه النشوة ، وسألت نفسى : « كيف تسرب هذا المحلول  
المذيب الى ماسورة الدش ؟ ! » .

صممت على عدم الخروج من الحمام الا بعد معرفة  
الجواب .. غير انى خرجت تحت الحاح زوجتى وطرقاتها

المتابعة . وتوقعت أن تدمر وتصرخ وتلم الجيران وهى ترى ان  
رجلها قد ذاب حتى أصبح عقلة صباح ..

وادهشنى حقا انها لم تدهش !! . سألتها ان كانت  
تعرفنى .. فضحكت الضحكة التى أعرفها جيدا ومدت يدها  
تداعب شعر صدرى ، فسألتها :

– الا ترين امامك غربالا فى حجم عقلة الصباح ؟ !

زادت ضحكها ونظرت الى فى اعجاب كما فعلت فى الصباح !  
ثم مالت على اذنى ووشوشت محددة اسم الولد الذى تريده ..  
لكننى هذه المرة لم أنتش .

سحبتنى من يدي فى خفة الى غرفة النوم ، وأجستنى  
فوق السرير ، وعندما مدت يدها لتخفض من اضاءة الحجره  
تحسست رامى وصدغى وكل جسدى .. الا أنها صعدت السرير  
وانتظرت منى أن أطرحها القرام .

## أزمة

---

- بالأمس شعرت بأننى يجب أن أروح عن نفسى فذهبت الى المقهى وجلست على الرصيف وأخذت أراقب السائرين .
- جميل .
- ولفتت نظرى سيدة عجوز تجر خلفها كلبا من نوع « الـ وولف » احدى سيقانه مبتورة لكنه رغم ذلك كان يبدو فتبا قويا وهو يسير على ثلاث أرجل فقط .
- عجيبة !
- لكننى اكتشفت انه كلما سار عدة خطوات وقف بضعة لحظات ليستريح وليلتقط أنفاسه ..
- كنت مخطئا اذن ؟؟
- وبعد ذلك لعبت الطاولة مع صديق لى .
- والنتيجة ؟؟

- تعادل : أربعة ادوار لأبعة ادوار .

- خير من الهزيمة .

- طبعا واثناء اللب توقف صديقى وأشار مبهورا الى  
الرصيف .. نظرت فرايت جسدا رائعا لامرأة هيفاء .

- طول عمرك ذواقة .

- الا ان صديقى قال انما عيناها هما الباهرتان ، فمددت  
يدى الى جيبى واخرجت منظاري الطبى وثبته على عيني ، ولما  
قويت الرؤية كانت المرأة قد عبرتنا فرأيتها من الخلف وشاهدت  
مؤخرتها بدلا من عينيها فأسفت لذلك .

- غيرك كان يسعد بذلك .

- ثم تذكرت زوجتى ، فأنت تعرف اننى منذ عدة اعوام  
كنت قد بلغت الثانية والثلاثين من عمري ، وكان على أن أتزوج  
ففعلتها .

- اعانك الله يا شيخ ، واعاننى !

- فى البداية كنت أضاجع زوجتى مرتين كل ليلة ، أما الآن  
فانها لا تثيرنى كأننى على الاطلاق ، عدا لحظات القىظ الشديد  
عندما أشم رائحة عرقها فأمتطيها ، أما فى الأحوال العادية فانا  
أتجنبها دائما .

- دائما ؟؟

- غالبا ، وقد لاحظت ان جارى يفعل مع زوجته نفس  
الشيء ، فاندعشت لأن زوجته جميلة ومثيرة ولطالما اشتيتها .

- ولكن ما علينا ، خبرنى عن الجديد فى الجريدة .



– ككل يوم ، تصريحات ، قلق في الأمم المتحدة ، توتر ،  
تكوين لجان ، تقلبات جوية ، وأخبار عن الأزمة ..

– أبة أزمة فيهم ؟؟

– أزمة المواصلات .

– فكرتني .. فصباح اليوم ، وككل يوم ، لما أيقظتني  
زوجتي شعرت بصداع شديد وبأن الرؤية أمامي غير واضحة ،  
وتمخضت مخاطا غزيرا كان يسد بعمومي .. ثم ارتديت ملابس  
وذهبت الى محطة الأتوبيس ، وكان الصداع مازال يزعجني ،  
ووجدت الكثيرين غيرى عيونهم نصف مغمضة تكالبوا على دكوب  
الأتوبيس ، فنسيت صداعي وكافحت معهم وضدهم ، لكنني  
فشلت ، ولازمني هذا الفشل لعدة أتوبيسات .. وأخيرا ..  
عندما وصلت هنا الى الديوان كنت مجهدا ولعلك لاحظت ذلك .

– طبعا .

– فقد كان صوتي خافتا تماما عندما قلت لك صباح الخير .

– فعلا فعلا .

– وصوتك أيضا كان خافتا عندما رددت بصباح النور .

– صحيح .. صحيح .. وبالأمس رأيت مثلك سيدة عجوز

تسحب خلفها كلبا .

– « وواف » بثلاثة أرجل ؟

– بل كلب « لولو » مقطوع الذيل ..

## مائة مليون نحلة في الرأس

ذهبت الى مبنى المجمع العالى ، وقفت فى الصالة المستديرة فى انتظار المصعد . نظرت الى أعلى : كانت الطوابق ترتفع فوقى على شكل دوائر ، بئر مرتفعة لأعلى ، دائرة فوق دائرة فوق دائرة ، أردت أن أعرف عددها بالضبط فلم أقدر ، ربما خمسة عشر أو عشرون طابقا . لكن الذى حيرنى أن هذه الدوائر كانت كلما ارتفعت ضاقت وصغرت حتى كادت أن تصبح عند الطابق الأعلى سميكة !!

ركبت المصعد حتى الطابق الأخير ، خرجت منه لأجد شرفة مستديرة ( ولم تكن نقطة سميكة ! ) . نظرت منها الى أسفل ، وكانت بئر السلم تحتى هذه المرة . وشعرت بالحيرة : كانت الدوائر ( بعكس المرة السابقة ) تصغر كلما انخفضت ، حتى أن الدائرة الأرضية أصبحت نقطة عريضة !! . قلت لنفسى : « هذا غش ، لا بد من التأكد ، ولن الدغ مرتين » . أخرجت المقياس

من جيبي وقست قطر الدائرة في الطابق العلوى وكان طوله  
عشرة امتار . وخمنت أن قطر الدائرة عند الأرض لابد أن يكون  
مترا واحدا على الأكثر ( فيكون مبنى المجمع الحكومى هو أعجوبة  
الأعاجيب : القاعدة ضيقة والتمة مفرطحة ! .. ويكون مهندس  
المجمع الحكومى قد صنع ما لم يستطعه سلفه مهندس الهرم  
الأكبر ! ) .

شعرت بالأسى ، جلست على حافة الشرفة ، كان حولى ناس  
كثيرون ، نظروا الى ، وساروا كل الى حجرته ، لم يسألنى  
أحدهم لماذا أجلس على سور شرفة فى الطابق العشرين  
( أو ربما كان الطابق الثامن عشر ) !

صممت على التأكد من طول قطر الدائرة السفلى . ركبت  
المصعد وهبطت . وعند الأرض مددت يادى لأخرج المقياس من  
جيبى ، لكنى لم أعثر عليه ، كيف ذلك ؟ ! .. وتذكرت أن راكبى  
المصعد احتكوا بى وأنا غارق فى التفكير ، ولابد أن أحدهم سرق  
مقياسى .

لم أقس البعد المطلوب . حزنت وخرجت الى الميدان  
يائسا . كان الصيف حارا ( لم يخدعنى مدرس الجغرافيا عندما  
قال ان مصر مناخها : حار جاف صيفا ، دافئ ممطر شتاء ) .  
أردت عبور الطريق ، ولكن لفت نظرى أمر غريب آخر .

فى وسط الطريق بالضبط ( قد لا يكون بالضبط ) كان فوق  
الأسفلت روث بهيمة !! يا للعجيب !! غير معقول !!  
اندفعت الى رجل المرور ، أخبرته بما رايت فلم يصدقنى،  
أخذته الى وسط الشارع وقلت له :

— ها هو روث البهيمة ، وهكذا ترى اننى لم اخدمك .  
قال فى تعجب ( وكان تعجبه رسميا لانه كان مازال فى ملابس  
العمل ) :

— أين ؟؟

ها هو امامك .

— اننى لا ارى الا الأسفلت ، ولأننى شرطى فانا افهم فى  
ذلك خير منك .

سألته ان كان ( مع عدم المؤاخذه ) ضعيف النظر . فقال  
فى هدوء :

— نظرى سليم ، واستطيع ان اقرأ رقم السيارة التى  
تسير هناك فى نهاية الميدان واحرق لها مخالفة .

وليؤكد لى قوله كتب رقما فى دفتر المخالفات ( ولم اكن  
وقتها فى حالة تسمح لى بالتأكد ان كان الرقم صحيحا أم انه  
وضع رقما عشوائيا ) .

ثم شرح لى أن البهائم ( وقد أسماها : البطيء ) ممنوع  
مرورها من هنا .

أخذنى الى نهاية الشارع ، وكانت هناك لافتة مكتوب  
عليها : « ممنوع مرور البطيء » .

ثم سار حتى الطرف الآخر للشارع فرأيت لافتة مكتوب  
عليها أيضا : « ممنوع مرور البطيء » . وعندئذ نظر الى معابا :

— من الطرفين ممنوع مرور البهائم ، فمن أين اذن جاء  
الروث فى وسط الطريق ؟ !

ثم سألتني أن كان من الممكن وجود بهيمة بجناح طائر ؟ ! . .  
ففكرت قليلا ، وترددت ، ولم أرد على هذا السؤال . فقال  
ساخرا :

— أم أن ذلك روث عصفورة أو حداة ؟ !

وحتى هذا السؤال ترددت في الإجابة عنه ، ولم أقل نعم  
أو لا ( على الانسان أن يكون حريصا في هذه الأيام ) . عدت الى  
وسط الطريق فرأيت روث البهيمة مازال موجودا .

تجمع الناس ، اطالوا النظر الى الأرض ، تلفتوا في كل  
اتجاه ، وفكروا طويلا ، لكنهم بعد برهة هتفوا ( وكانت نظراتهم  
جميعا مركزة على الروث ) :

— حقا انه موجود ، يستطيع الأعمى أن يراه !

وبعد برهة أخرى قالوا ( جميعهم أيضا ) وفي حنق :

— كلا غير موجود ، ولا يوجد الا اسفلت الطريق !

وبعد برهة ثالثة تركتهم وهم يمعنون في تدقيق النظر  
ولا يستطيعون الثبات على رؤية معينة .

جلست في وسط الميدان الكبير ، وقلت : « ان هناك شيئا  
غامضا ، هناك سؤال يحتاج الى جواب » . وكانت الشمس  
ساخنة ملتهبة . وتعبت : « الا من حل أو جواب ؟ ! »

نصحت نفسي « انس التفكير ، لا تفكر » . . ثم وبخت  
نفسى : « لا تقف هكذا — أو ربما قلت لا تجلس هكذا — اشغل  
نفسك بشيء ، فكر في أمر آخر » . وفكرت : « فندق عمر الخيام

لصاحبه عمر الخيام ، خطباً ، فندق عمر الخيام ليس صاحبه  
عمر الخيام ؟ » . عذبنى ذلك فكففت عنه وسرت .

عند شريط السكة الحديدية استوقفت رجلا وسألته :

— من أية جهة سيأتى القطار السريع ومتى ؟

أشار الى الجهة وقال : « بعد ثلاث دقائق » شكرته ،  
وجلست فوق أجد القضيبين ( لم يكن بمقدورى أن أجلس على  
القضيبين معا ) نظر الى الرجل ولم يسألنى عن سر جلوسى هكذا  
أو عن سر اهتمامى بموعد وصول القطار السريع واتجاهه ،  
ومضى فى طريقه . ( وقد تنبته الى أن أنفه كبير ) .

نظرت الى جيث سياتى القطار : القضيبان يلمعان تحت  
أشعة الشمس لمعة سيف . ولفت نظرى أمر غريب : فهما يلتقيان  
على بعد حوالى ثلاثة كيلو مترات ( !! ) .. ضاقت المسافة  
بينهما شيئاً فشيئاً حتى التقيا هناك .

( خدعونى فى المدرسة وأنا صغير ، ففى كتاب المطالعة قرأت  
أن القطار يسير على شريطين متوازيين ، وقال مدرس الحساب  
أن الخطين المتوازيين لا يلتقيان أبدا مهما امتدا ) .. لكنهما  
هنا التقيا على مرمى الشوف !!

حزنت : فما دام الشريطان قد التقيا هناك فى نقطة واحدة ،  
فكيف سيأتى القطار من هذا الاتجاه ؟ ! . نهضت وأنا أشعر  
بخيبة أمل . سرت مهموما .. وبعد أن ابتعدت سمعت صوت  
القطار يعبر ( لم أتعب نفسى بالنظر وقلت ان ذلك من فعل  
الوهم ) .

عدت ثانية الى الميدان ، ذهبت الى وسط الشارع . رايت  
ان روث البهيمة مازال موجودا ويكفية اكبر ، وخيل الى انه  
حديث !!

احسست بالعرق يغمرنى ( قال مدرس الجغرافيا ان  
الشمس تكون اقرب ما يمكن من الأرض في فصل الصيف ) .  
وخطرت لى فكرة رائعة ( ربما تكون غريبة ) . . فقامت واحضرت  
كوبا كبيرا ، اخذت اجمع عرقى فيه ، ولدهشتى امتلا الكوب  
حتى آخره وكان مازال هناك عرق فوق جسدى . قلت لأذق  
طعمه ، اخذت رشفة ، كان مالح الطعم !! وفكرت طويلا حتى  
تذكرت ان ماء البحر ايضا مالح ( وان مدرس الجغرافيا قال ان  
البحار تشغل مساحة قدر اليابسة عدة مرات لا اذكرها  
بالضبط ) . رفعت عيني الى قرص الشمس الملتهب ، أعشت  
عيني فأغمضتها !

ركعت ، ويبدو اننى فعلت ذلك بقصد الصلاة والتضرع  
الى الشمس ان تكون رحيمة بى ، وان تنادى على سحابة . ما من  
اى مكان فى السماء وتختفى خلفها ( ولو من حين لآخر حتى  
يعمل فكرى فى صفاء .

غير انى فتحت عيني ( لأننى سبق أن أغمضتها ) على شيء  
غريب حقا : زوج احذية اسود ضخم كان يسير . اخرجت  
منظارى وتفردت فيه فزاد عجبى ، واذا بهذا الشيء تخرج منه  
ساقان قصيرتان فوقهما انسان فى حجم عقلة الأصبغ ، نظر الى  
فى استغراب !

وقال : لماذا أنت فى استغراب هكذا ؟ وانا واحد اسير  
فى خطوات منتظمة ككل الناس !

سأله :

– ليست ضالة حجمك التي تدهشنى ، ولكن حذاءك ،  
أذلك هو الحذاء ذو سبع الخطوات ؟ !

– وماذا يكون ؟

– انه حذاء الخطوة منه بسبع من خطواتى ، يصل بك  
الى غايتك فى سبع الوقت العادى .

– ذلك فى الأساطير ، ولكن هذا الحذاء لا يناسبنى .

قلت غاضبا :

– قد تكون أنت الذى لا يناسب الحذاء

وضعت المنظار فى جيبى فلم أجد أرى الا الحذاء ، لذلك  
لم أسمع بقية كلامه ، وسار بخطوات منتظمة .

كان الميدان مليئا بالحركة ، والبنات فى ملابس زاهية ،  
وبعض الرجال يتحادثون بأصوات غير مسموعة ! والغموض يلف  
المشكلة ( فكلما بحثت عن أصلها تشعبت منى الأمور وتعقدت ) .  
وعندما نظرت للجالس الى جوارى – ويبدو انه كان يبتسم –  
تنبهت الى أنفه الكبير ، فقلت متذكرا :

– الست أنت الذى قابلته عند شريط السكة الحديدية ؟ !

– جائز .

– لكن انفك الآن أكبر من المرة السابقة !!

– اذن فلا بد أن أنفى يكبر ، ولا بد أن هذا يدهشك .

دارت خوفاً وذعري . فكرت عدة ساعات وقلت بعد برهه :

– اتركنى الآن . أريد أن أصلى .



ابتسم ابتسامة كبيرة جدا ( كان عرضها يقرب من المتر لأن  
فمه كان في هذا الاتساع ) .. ثم تلفت حوله وقال :

— اين؟؟ لأى الهه؟؟

— رع ، اله الشمس .

— كان ذلك منذ آلاف السنين ، الآن لم تعد الشمس الها .

كان صوته خافتا جدا ( ذلك بسبب ضآلة رثيته ) .. ثم  
كشر وقال :

— لم تعد الشمس الها .

— ولكنها تحرقنى بلهيبها !!

— لم تعد الها !

— لكنها عالية ، شاهقة ، فوق من فوق القمة !

تركته وسرت ( لا أذكر بالضبط ، فربما يكون هو الذى  
تركنى وسار ) .

وسرعان ما جاء المساء وكان باردا .

قلت أعود الآن الى وسط الطريق للبحث فى سر روث  
البهيمة . لكن الظلام كان شديدا ، والأضواء كانت مطفأة  
جميعها . كان ذلك من سوء طالعى . غير انى فكرت أن أستعين  
بضوء النجوم ، فأخرجت منظارى ونظرت الى السماء باحثا عن  
نجم مضىء ، فوجدت واحدا ، فرحت به ، وكان يلمع ، وقلت  
أبحث على ضوءه ، لولا ان الرجل ذا الأنف الكبير جاءنى فجأة  
( يبدو انه كان يتتبع خطاى ) .. وسألنى :

– الى أى شىء تنظر؟؟

– الى ذلك النجم .

– أى نجم؟؟

– ذلك الذى هناك . لا يوجد فى السماء غيره .

– ولكن ذلك ليس نجما !!

– ولكننى آراه !

– ليس نجما . فى هذا المكان كان هناك نجم ، ولكنه الآن

لم يعد هناك .

وفى برهة واحدة فكرت عدة ساعات ، وبانت الحيرة على وجهى ، فضحك ضحكة قصد أن تكون عالية ، ولكنها كانت خافتة ( بسبب ضالة رثتيه ) .. بالكاد سمعتها . أطرقت السمع وكان يقول :

– لبعد المسافة ، فحتى يصل الضوء اليك يكون النجم

نفسه قد قطع آلاف الأميال .

قلت حزينا ( ولا أذكر أن كنت قد بكيت أم لا ) :

– ما دام ذلك ليس نجما ، إذن فذلك ليس ضوءا ، وعلى

أن أبحث عن مصدر جديد .

– اسألنى وأنا أساعدك .

نظرت اليه ، خيل الى انه سينفجر .

– اسألنى وأنا أساعدك .

أحسست بالخوف . تذكرت أمى . جريت اليها على الفور . طلبت منها المصباح حتى أعود فأبحث عن ذلك السر ، ولأنها تحببني أحضرته الى ، ونفضت عنه التراب ، ثم سعلت وتشاءبت ونصحتنى بالنوم لأن الجو بارد .

هزرت المصباح ، اكتشفت انه فارغ ليس به وقود !

- أين الزيت يا أمى ؟؟

- جف .

- منذ متى ؟؟

- من قديم .

- الا تذكرين بالضبط .

- لا أذكر يا ولدى ، دعنى إنم ، لماذا لا تنام ؟؟

سألته ان كان قد جف منذ مائة يوم أو عدة سنوات .. أو الف عام أو مليون !! لكنها كانت قد نامت . تأملتها فشعرت بالمعطف عليها ( فهى أمى ) .

أخذت المصباح ، لم يكن به زيت ، ولم يكن معى ثقاب ، ولم أكن أملك حجرين أشعل منهما شرارة النار والنور ، رغم ذلك ذهبت أبحث . كان الظلام دامسا . حركت المصباح يمينا ويسارا . لم أكن أرى شيئا ، حلقة شديدة .

تذكرت الرجل الأنف . ولبرهة واحدة فكرت مليون ساعة، غير انى أحسست بهم يقتربون منى . لم أكن أراهم ، ولكنى كنت متاكدا ( ولا أدرى كيف ) .. شعرت بهم يتهامسون . تنفسهم المكتوم سمته . أحسست به يطوق عنقى ويضغط على

العروق بها ، كان رطباً باردا . دمرت : كيف يخرج التنفس باردا  
من داخلهم ؟ !

أقشعر بدنى . ارتجفت . تهامسوا في خفوت ، وكان  
عددهم كبيرا ، فتجمعت الهمسات وخرجت حفيفا عاليا ( أغلب  
الظن انه أصبح صاخبا ، وأنهم كانوا يقولون ) :

— هذا مجنون آخر !

## حكايات الزوايا

قصة في اربع حكايات منفصلة

---

### الحكاية الاولى : الزاوية الواحدة :

- يقف على باب المنزل ، لا تلتقط اذناه اية ذبذبات صوتية .
- الصمت مطبق ، والسكون شامل .

يرسل بنظره الى الجانب الآخر ، في محطة الأتوبيس : عدد كبير من الناس ، دائما هذا العدد الكبير ، في اية ساعة من ساعات اليوم ، ينبتون في الصباح ، ويقتلون مع موعد آخر اتوبيس . وذلك الشاب الطويل ، لا يركب الا العربة التي تركبها تلك الفتاة ذات المعطف الرخيص الأزرق اللون ، لكنها اليوم تبدو مكتئبة ، وظلال من القلق في عينيها .

ينظر الى الطريق امامه الملىء بالحركة . صمت . يمد يده  
يثبت السماعه فى اذنه .. يتحسس جهاز تقوية السمع الصغير  
فى جيبه العلوى . يدير مفتاح الصوت . يبدأ يسمع ضجيج  
الشارع : سيارات تزعق فراملها من حين لآخر ، وتنطلق منبهات  
صوتها كل حين ، باعة سريجة ينادون على بضائعهم بكل ما ملكوا  
من صوت عال ، اولاد يتصايحون خارجين من مدارسهم ،  
راديوها تصرخ ..

ترسم على وجهه علامات الخنجر ، وتطل من عينيه نظرات  
الاستنكار :

— اللعنة !

يتلفت الى السيارات المتدفقة فى الطريق ، ويخطوات  
مترددة يبدأ فى عبور الطريق ، يلقي نظرة الى الرصيف الآخر ،  
ها هى تانى ، المتصايبه ، لا تخدع مساحيقك أحدا ولو مراهقا ،  
الفسطان مبتور الذراعين ، واسع الفتحة عند الصدر والظهر ،  
البقعة الحمراء على شفتيك مفرطحة ، داعرة .. داعرة تعمل  
ظهرا !

سيارة صغيرة تكاد تصدمه . يركض خوفا ، السماعه فى  
اذنه تهتز ، توشك ان تسقط ، يسندها بأصبعه . يصل الى  
محطة الأنوبيس لاهتا ، رامقا فى غضب العربات العابرة . ينظر  
الى موطنه قدميه :

— اللعنة !

يتراجع الى الخلف عدة خطوات . يتأمل الناس من حوله . .  
آثار التعب بادية على عيونهم جميعا ، الولد الصغير يقف ناعسا  
يفتح عينيه بصعوبة ، الرجل المتجهم زادت شعيراته البيضاء  
في رأسه ، وهذا الكهل الذي لا يضحك أبدا ، يا لروعة زوانته !  
وهؤلاء العابثون الضاحكون ، عيال صفار ، وتلك داعرة تعمل  
ظهرا وزميلاتها يعملن ليلا :

— اللعنة !

يأتي الأتوبيس مزدحما عن آخره . تحدث حركة بين  
الوافيين ولا ينقص عددهم ، يلفت نظره ثلاثة رجال متشابهون ،  
يهبطون بعد معاناة مع زاحمي الباب ، يتجهون الى الدكان خلفه ،  
وهم يشتمون ويلعنون كل شيء .

تقلص عضلات وجهه ، وتفيظه السيارات المنطلقة في صخب  
والناس المسرعون . . يمد يده الى مفتاح الصوت ويخفضه .

من الدكان خلفه تنبعث أصوات غاضبة محمومة ، أربعة  
أصوات نائرة انفجرت مرة واحدة . يقترب من باب الدكان ،  
يرى داخله أربعة رجال ، منهم الثلاثة المتشابهون — وقد هاجوا  
في بعضهم البعض .

يرفع رأسه ويقرا لافتة الدكان : اخوان الصفا .

— اخوان الصفا وبشاجرون ؟ اللعنة .

يأتي الأتوبيس المتجه الى حلوان ، يراه مزدحما . لا يتحرك .  
الفتاة ذات المعطف الرخيص الأزرق تركب ، ومن خلفها الشاب  
الطويل كظلالها .

يتحرك الأتوبيس نافثا دخانه في وجهه ، يشهق في حرقه ،  
يتراجع عدة خطوات ، يجد شابا صغيرا يحوم حول ذات الفستان  
الواسع عند الصدر والظهر ، يهم بأن يلعننا ويلعن بقعتها  
الحمراء على شفتيها ، لكنه يشعر بشيء يسقط على كتفه .  
يلتفت مذعورا ، يرى كرة من المطاط تتقاذف على الأرض ،  
وبسرعة تدب الحياة والنشاط في الولد الناعس فيجري ناحية  
الكرة ، يمسكها ، ينظر الى صاحبها في الشرفة أعلاه ويعقد معه  
اتفاقا : أن يرميها له ويعيدها اليه ، يرضى صاحب الكرة .

تزداد اصوات اخوان الصفا هيجانا . تفيظه الكرة الهابطة  
والصاعدة بين الولدين . تفيظه الابتسامة المتبادلة بين الشاب  
الصغير وذات الفستان الواسع . تصطك أسنانه :

- يا خالق الناس ، كلما تأملت حال الدنيا هتفت : اما ان  
تقوم ، واما ان يهبط ..

ينظر جهة منزله ، يخفض رأسه ويمضى عابرا الطريق ،  
ناظرا الى موطيء قدميه ، وهو يشوط في طريقه روث بهيمة  
عبرت قبله وتركت أثرها على الأرض ، ويكمل :

- .. تقوم القيامة أو يهبط الطوفان ...

يصل الى باب منزله . يلتفت خلفا الى الشارع وحركته ،  
ويحركه غاضبة حانقة تمتد يده تجذب السماعاة من أذنه ،  
فتنتطح الأصوات عن الوصول الى عقله .

. الصمت المطبق ، والسكون الشامل .

. يدخل منزله ، ويفلق الباب بالزلاخ .



## الحكاية الثانية - البقعة الحمراء على الشفاه :

الأحمر على الشفاه فاقع ، والثوب واسع الفتحة عند  
الصدر والظهر ، مندا يخطيء مهنتى ؟

تتشاءب ، أجهدتنى ليلة أمس ، يأتى الرزق فى آخر  
لحظة ، النهار كله خالية ، وعند اليأس يأتى الفرج ، ترى ما حال  
السوق اليوم ؟ !

تجول بناظريها فيمن حولها . الرجال مجهدون من العمل .  
ترتاح عندما تشعر بشباب صغير يحوم حولها ، السنارة تغمز .  
منظره لا بأس به ، ما حال جيبه ؟

تدير نظرها الى الرجل ذى السماعة فى أذنه ، يا ساتر ،  
يحمل الدنيا فوق رأسه ! يقترب الشاب الصغير منها ، ترمقه  
بنظرة عابرة لا تخلو من تشجيع . يقف بجوارها غير ناظر اليها .  
تتفحصه ، يبدو ان ماله ليس كثيرا ، اما الآخر ، الرجل  
ذو السماعة - فيبدو أكثر يسرا ، وله ميزة فريدة : عندما يخلع  
سماعته أستطيع ان أسبه والعن اجداده دون أن يسمعنى .

يزداد الشاب اقترابا منها ، على كل حال : خيز من انتظار  
زبائن الليل . ترى كيف سيبدأ الكلام ؟؟

يأتى الأتوبيس ويتحرك ، والشاب لم يبدأ معها حديثه ،  
لابد ان تبدأ هى ، تنفخ غيظا وتقول :

- مواصلات مقرفة ومزعجة .

عندما يتأكد أن الكلام له يرد عليها ، ويتم التعارف ،  
ويبدأ الاتفاق :

تقول :

- أجرى جنيهان .
- مبلغ كبير !
- جنيهان ، والدفع مقدما .
- اتفقنا .
- هل المنزل بعيد ؟؟
- خمس محطات بالاتوبيس .
- لا أركب الأتوبيس .
- نستقل سيارة تاكسى .
- هل تدخن ؟؟
- لا ..
- اشترى لى علبة سجائر اذن .

يتجه الى البقالة خلفه - بقالة اخوان الصفا - ليشتري  
علبة السجائر .

تقف فى توتر ، يبدو انه موظف مفلس ، سأطالبه بالأجر  
قبل أن أخطو الى منزله ، مثله من الموظفين لا أمان لهم . تبدأ  
ترقب سيارة أجرة لتوقفها فتقترب من حافة الرصيف .

تفاجأ بوقوف سيارة ملاكى بجوارها ، سيارة متوسطة  
الحجم . ينظر لها صاحبها ، فتبتسم له ابتسامة عريضة ،

يفتح لها الباب فتتركب ، وتتحرك السيارة ، في عودة الشاب الصغير بعلبة السجائر في يده .

يظل يرمق السيارة وهي تتباعد حتى تختفى تماما وهو مصعوق ، يتلفت حوله باحثا عن امرأة غيرها ، لا يجد .. ينظر لعلبة السجائر ويتحسر على ثمنها ، ويتحسر على الوقت المتع الذي ود لو قضاه مع المرأة ذات البقعة الحمراء على الشفاه .

يهز كتفيه بلا مبالاة ، ويقول لنفسه ، على كل حال النوم ساعة القيلولة يفيد الجسم ، وراتبي صغير لا يكاد يكفيني ، اعمل كالحمار وأجازي بأجر حمار .

يأتي الأتوبيس ، ويحشر نفسه بين راكبيه ...

### الحكاية الثالثة - اخوان الصفا :

يا فطة الدكان مكتوب عليها : « بقالة اخوان الصفا » .

ومن داخل الدكان انبعثت أصوات غاضبة محمومة ، أربعة أصوات نائرة ، انفجرت مرة واحدة في بعضها البعض ، اخوان الصفا ويتشاجرون !!

هب الأخ الأصغر في الأكبر يتهمه بأنه يعامله كطفل ، وزعق الثاني في الثالث مطالبًا بزيادة نصيبه في الربح ، فصاح الأخ الثالث يشكو وينوح بأن المحل قائم على جهده ، يعمل فيه طول اليوم ، ويأخذ ربحا مساويا لأي واحد منهم .

يحتد النقاش .

يفقد الأخ الثالث أعصابه ، ويكاد يتهجم على أخيه الأكبر ، لولا أن الأصغر يمنعه ، ويندفع الثاني جهة الأصغر بقصد لثشه

صفعتين ، لكن الأكبر يمسك به ، ثم يقبض على سيخ باب الدكان  
الحديدي ، ويلوح به صارخا :

— كل واحد يلزم حدود أدبه ، كل واحد يقف مكانه !

تقف الأرجل الثمانية مكانها ، وتكف الحركات المتهورة عن  
الصدر . لكن الألسنة تظل منطلقة ، فيستم الأخ الثاني كلام من  
الثالث والرابع ، ويسب الأخ الثالث الأخ الثاني ، ويقذف الأكبر  
بأذع الكلام الى أخويه الثاني والثالث ، ويلعن الأصغر أخوته  
الثلاثة جميعهم .

تزداد الأصوات فورانا ، وتملو مطالبة بفك الشركة ، وكل  
حى يذهب لحاله .

لا يسكتون الا على دخول فتاة صغيرة ، تحمل في يدها  
اليمنى « حلة » معقودة حولها فوطة بيضاء ، وتحت ابطها عدد من  
الأرففة الملقوفة في فوطة اخرى .

تنقل البنت بصرها بينهم وتحتار ، تنظر الى وجوههم  
المحمره ، ثم تسأل والدهشة تملكها ان كانوا يريدون شيئا ،  
ازاء نظراتها يلقي الأخ الأكبر بسيخ الحديد من يده في شيء من  
الخجل .

تنصرف الفتاة . يفك الفوطة من حول الحلة ، يرفع غطاءها  
فتنفرج أسارير وجهه ، ويقول :

— ملوخية !!

تبدأ الأرجل الست تتحرك .

يتجه الأصفر ويفك رباط الفوطة الثانية من حول الأربعة ،  
وبلقمة يندوق طعم الملوخية ، فتفرج تقاسيم وجهه .

في أقل من دقيقة تتكون دائرة من الاخوة الأربعة مركزها  
حطة الملوخية ، وتمتد أيديهم اليها ، ثم تنتقل الى أفواههم ، يد  
أو يدان ، أو الأربعة مرة واحدة ، تمتد الى الحطة في نفس اللحظة  
لتنهل من نفس الوعاء .

الأخ الثالث هو أول من يشيع ، يقوم حامدا الله على  
نفسه .

يتبعه الأخ الثاني ، فينظر اليه الثالث قائلا :

— لم لا تأكل الا نصف برغيف !!

— شبعت ،

يألى شاب حنبر ليشتري غلبة سيجار ، يبيها له الثالث  
ويدعوه الى الغذاء معهم ، يشكره الشاب وينصرف بطبته .

ينهض الأصفر هاتفا :

— طعم الملوخية ولا طعم السكر !!

يقول الأكبر له :

— بالهناء والشفاء .

ويأخذ كل واحد منهم ينظر الى الآخر في خجل .

## الحكاية الرابعة - قبل آخر محطة :

في حلوان ، عندما يقترب الأتوبيس من محطته قبل الأخيرة ، كان الشاب الطويل يرمق الفتاة ذات المعطف الأزرق الرخيص قائلاً لنفسه - تبدو اليوم قلقة وظلال الغضب تلوح في نظراتها .

يقترب منها . تسيح بوجهها بعيداً . يمس في أذنها . لا ترد عليه . يقف الأتوبيس ، ويكون الشاب قد اتجه الى الباب وهم بالنزول ، ينظر إليها ، إفتتبعه وهي تضم طرفي معطفها الأزرق الرخيص ، وتكشيرة تلح على ان تكسو وجهها .

الشارع طويل ونظيف وخال ، الا من بعض العمال او العاملات سائرين في عجلة نحو مصانعهم المنتشرة في اتجاه حلوان ، او بعض التلاميذ الى مدارسهم في فترات المسائية .

يسر الشاب بجوار الفتاة . ينظر اليها والى تكشيرتها ، يقول في عطف :

- حتى تكشيرتك جميلة .

لا ترد ..

- من أجلك رقصت نوبة المساء ، لأن عمك في الفترة المسائية ، حتى التاك كل يوم .

لا ترد ..

- جميلة في بسمتك وفي غضبتك .

تمنحه نظرة لا تخلو من احتياج .. وتقول :

- من أجل هذا انزلتنى من الأتوبيس ؟؟
- أردت أن أشرح لك موقفى .
- تريد أن تلعب بى . أنت تماطل .
- يقف غاضبا ، فتسرع من خطاها ، لكنه يتمالك نفسه ويلحق بها :
- يا لك من مدرسة عنيدة !! الا تسأليننى عن السبب ؟ !
- لا ترد . .
- يسالها غاضبا :
- الا تريدين معرفة السبب ؟؟
- تقف وتواجهه فى عناد :
- تكلم . قل . اننى أصفى لك .
- بسبب انتخابات المصنع التى تانى خلال أيام ، وسادخلها وما كنت أنوى ذلك .
- أذن تزوج من مصنعك ، وانركنى فى حالى ، ستجعلنى أتأخر عن موعد مدرستى .
- اسمعينى جيدا ، الانتخابات تتطلب منى كل جهدى ووقتى ، ولولا أن حسين مسعود دخلها ما كنت رشحت نفسى !!
- ترمقه فى عناد ، فيشرح الموقف :
- حسين مسعود انسان وصولى ، مخادع ، وقد اختارنى زملائى كى أناافسه فى المعركة ، بقصد هزيمته .

– ولا وقت لى انا ؟ !

– كنت اظنك ستفهميننى !!

يسيران فى بطء ، وفى توتر ، يسود الصمت ، تنظر اليه .  
يمشى شامخا براسه ناظرا الى المدى البعيد ، لكنه متألم .

تسأله بصوت خفيض :

– ولماذا انت بالذات ؟ ! وهل أنت المسئول عن اصلاح  
المعوج فى الكون ؟ !

يقف مصدوما ، يتجه يسارا حيث مصنعه ، قائلا فى  
استياء :

– لكن امى قالت لى نفس الكلام !!



## ثقوب في الأوراق الخضراء

---

ناحت الأصوات :

— كانت لنا طيور جميلة ، في لون الضوء الوردى ، تعيش معنا ، تضيء الحياة أمامنا تنشد ، تلاغينا ...

هتف صوت :

— طائري غرد لي : في ضيعة الكرم سأعمل ، مهر جببتي ابتسام سادخر وأزوجها وأنجب منها ثلاثة من البنين ونعيش في سعادة مائة من السنين ، لكن طائري في البحر هوى ثم غرق ومن يومها سكت ولم ينطق .

هتفت الأصوات :

— كانت طيورنا الوردية ترقزق ، تتواهب من حلم الي حلم لكنها اختفت ولم تعد ترقزق .

ارتعش صوت أجش :

— طائرى انا ، يا لوعتى عليه ! علب الشدو ، اذ رآنى  
مثقلا رفر ف جناحيه ونفش ريشه وانشدنى عن ولدى وعن ابنتى ،  
الولد يدبر تجارتى والبنت تتزوج وتنجب الأحفاد فينعم بالى ،  
واجلس مستريحا أمر وانهى ويقبلون يدى ، لكن طائرى طار  
مرعوبا ، واصابته الرصاصة فسقط فى الهم ، واختلطت الألوان :  
زرقة البحر ، لون الغروب ، لون طائرى الوردى ، مع لون دمه ،  
وتكاثفت الظلمة فساد اللون الأسود .

#### علت الأصوات :

— رباه يارباه ، طيورنا الحبيبة طارت تلتقط الحب فوجدت  
مكانه الرصاص ، رباه .. طارت ترتوى ماء فوجدت مكانه دما  
ساخنا ، رباه .. فماتت أو اختفت ، لا ندرى لا ندرى .

#### لوحث أختى بريشة صغيرة :

— عصفورى صغيرى ، وشوش فى أذنى : تدرسين وتتفوقين .  
أشهر طبيبة ستصيرين ، أكبر مستوصف فى المدينة ستفتتحين ،  
طائرى الحبيب انقضت عليه من الغربان مائة ، ذبحوه نهشوه ،  
وسقطت فوق رأسى هذه الريشة .. لطيرى الحبيب .

#### تعذبت كل الأصوات :

— طائرها مات ، طائرنا مات .

تفرست فيهم . لم اصدق ، دخلت دائرتهم :

— طائرها مات ، طائرنا مات .

تحسست السننهم ، تلمست أذرعتهم . احترت .. كان  
صوتهم صاحبيا بطريقة غير عادية ، مترججا فى الهواء بطريقة غير  
مألوفة !!

— طائرهما مات ، طائرنات .

ادركت السبب ، فقد طالت السننتهم ، وتطول !! وقصرت ايديهم ، وتقصرت ! ذمعت . انصرفت .

تركتهم خلفى وسرت اضرب الأرض بقدمى ، التراب اسمر يميل الى الصفرة .. وذات مرة قص على أبى السبب فى ذلك ، قال ان الأجداد جاءوا بكميات كبيرة من الذهب ، طحنوه حتى أصبح مسحوقا ، ثم بذوره فى كل الوطن ، ومن يومها فان أرض فلسطين تنبت خير زرع ، وأصبح لونها يميل الى الاصفرار . كنت طفلا فدهشت وسألته ان كان الذهب رخيصا الى هذا الحد عند الأجداد ، لكنه لم يرد على ، بل احتضن زجاجته فى حرص وانطلق يقنى ولم يعد معى .

خففت من وقع الخطو ، شيفرت بحنين جارف لزيارة قبر أبى . وقتت حزينا . نظرت صوب الشمال : قبر أبى هناك : عندهم .. ناجيته فى رقدته ثم سكت : هل دفنوه وصنعوا له قبرا او شاهدا ؟ !

امتلات عيني بالدموع ، وعلى الفور صارت رعود وبروق ، واذا سلم منصوب على الأرض ورأسه يمس السماء ، واذا بشيخ يقف فوقه ويده تعبت بلحيته الرمادية يسألنى :

— هل تعرف ان العضو يقوى بالمراس ؟؟

اغمضت جفنى بشدة حتى اطرده الدموع من عيني ، وتذكرت اننى رأيت هذا الشيخ من قبل . فى عينيه حدة وحكمة .

فكرت في سؤاله طويلا . ابتسم فرايت الطيبة في تجاميده . اشار الى ناحيتهم وقال :

- اريدك ان تصير صيادا . الآن خذ عدتك وسلاحك واخرج الى هناك وتصيد لى صيدا .

\* \* \*

سرت صوب الشمال . اشجار ذابلة . يمامات قتلى . زهور مدهوسة ، ثم رايت حاجز الأسلاك الشائكة فانفرزت في عيني الأشواك ، ورايت غربانا سوداء تقف بينها وداخلها وفوقها ، نظرت لى ونعقت .

تشاءمت ، ولما رفعت بصرى الى المدى البعيد رايت البيوت والنخضة ، رايت الربوة العالية ، وشمنت رائحة البحر . . غامت الأشياء من حولى وعدت طفلا واقفا فوق ربوة عالية تطل على البحر مباشرة ، لكننى لم أتمكن من رؤية الماء سهمت هديره ، ورايت رعوسا كثيرة تندفع وتتراجع الى قوارب الصيد الصغيرة . عرفت بعض القوارب ، سبج من يعرف ، توالت الصرخات فصرخت أنا ايضا ، ولما انسابت دعوى ساخنة وانحدرت الى البحر فارت الأمواج وعلت نافورة ماء ، واذا بالشيخ يشد لحيته .

نعقت الغربان من فوق ومن بين الأشواك فرايت الأسلاك تانية . حملقت فيها طويلا ، ثم عدت اشم رائحة البحر . . ولما حملقت من فوق الربوة رايت الشيخ ، كانت في عينيه حدة وحكمة ، جنب لحيته واهال المياه في وجوه الهارين وزعق ان عودوا الى دياركم ، فصرخ القوم :

– لن نعود . انهم قادمون ، الغربان ، كالموت !  
– عودوا لدياركم وكونوا صيادين ، فلسطين وطنكم !  
– لن نعود . في دير ياسين ذبحوا الرجال ببقروا ببقرون  
الحوامل ، ووادوا الصيال وادوا العيال !!

ارتجفت ، كان عمرى ثمانى سنوات ، جريت صوب البحر .  
سمعت صوت أبى يفتى . تسمرت مكاني . . ساعة الغروب هي  
ساعة سكره تحت كرمه العنب .

نعقت الغربان بصوت قبيح . هزرت رأسى . أفقت الى  
نفسى : وكان بيض الغربان قد فقس وراء السور الشائك فخرجت  
غربان اخرى صغيرة ونعقت الغربان الكبيرة . تأملت وقلت :

– ما كان اطيبتها رائحة ارض الوطن . ما كان اجمل اصوات  
الأجراس والآذان وغناء أبى .

كنت أعرف ان ساعة الغروب هي ساعة سكر أبى المفضلة ،  
فجريت صوبه ، وكان يفتى محتضنا زجاجة الخمر ، وعندما  
جاءوا اختبأ خلف شجرة الكروم ، وصوب فوهتها لأحيتهم  
وهدهم بها ، جمدوا فى اماكنهم ثم تراجعوا .

ءدت انظر اليهم فأدمت عينى أشواك السور . هتفت :

– أيتها الغربان القميئة ، انتظرى حتى يجيئك من يحطم  
هذه الأسوار ، ان العالم لن يسكت على هذا أبدا .

شعرت بشيء غريب يحدث فى فمى . تحسرت :

لو مازلت هناك لكنك جالسا امام باب الدار مع الأصحاب،  
تبادل النكات ، ونمسك سيرة البنات ، والأسفاه !!

تنبهت الى لسانى ، كان قد طال الى الضعف وترهل .  
ذعرت .. وكان يدي أيضا قد قصرت الى النصف ثم اضمحلت!!  
ارتجفت : حتى أنا ؟؟

\* \* \*

– طائرنا مات ، طائرنا مات .

جذب لحيته الرمادية وقال :

– العصفور يقوى بالمراس . أريدك أن تصير صيادا حتى  
يعود لكم الذى لكم .

وبحثت عنه فى كل مكان ليشرح لى معنى : « التناسب  
العكسى » . وعندما عدت الى القوم وجدتهم يجررون السنتهم  
المتورمة ، ووجدت الهواء يعبث بأكمام جلابيبهم ويطوحها ،  
وقفوا محنبي الرؤوس :

– جئنا من نسل الأنبياء ، يا رب انت على الظالم . طردنا  
من أرض الآباء ، يا رب اسحقهم . تعبنا من خيامنا السوداء  
تعبنا ..

تسجعت الألسنة فتشابكت ، وعلى حين فجأة ملأت  
الغربان السماء . نعقت ثم انقضت . ذعرنا . عجزنا عن الهرب .  
أعاقنا السنننا المتشابكة نهشت الغربان ، نعقت مطمئنة .

نحن بلا أيد . فقات مئات العيون . نعقت . ثقت مئات  
الأذان . نعقت نعقت ...

تمزقت السننتنا فتفرقنا . وجدت اختى مفقوة العينين  
مكومة على الأرض . فشهقت :

— انظري زانية يفعل بأختى !!

\* \* \*

الشمس القوية الملتهبة . الرمال . الحرارة . الجوع .  
الضوء القوي . انكأت على جارى مرهقا . فى الصباح قلنا  
يا ليته مساء ، وفى المساء قلنا يا ليته صباح ... ثم صارت  
الرعود والبروق ، فارتعدنا ، وإذا دخان يتصاعد كأنه من  
أتون ، والصخور تتفتت والرمال تتطاير ، وإذا بسلم أوله فى  
باطن الأرض وسمته الى السماء ، وإذا بالشيخ — مجهد هذه  
المرّة ، مرتعشة يداه ، مشوبة لحيته الرمادية بالبياض — يقول :

— يا أغبياء . لم تفكروا أبعد من مواقع أقدامكم فضمرت  
عقولكم . عودوا ، فلسطين وطنكم !

لجمت السننتنا . كنا مدعورين فتركناه ، وتابعنا هروبا ،  
وكانت الشمس ، وكانت الأشواك ، وكان الجفاف .. فثقلت  
رءوسنا ، ووهنت أقدامنا ، وتحركت الرمال ، ولاحظت ان  
جارى كان يفكر عندما عاد صوت الشيخ يندرنا :

— موتا تموتون . اهربوا ولن يكون فيكم الا مظلوم  
مفصوب ، يخطب امرأة ورجل آخر ينام معها ، يبنى بيتا

ولا يسكن فيه ، يفرس كرما ولا يشرب خمرًا ، هزاة في جميع الشعوب يكون .

بدا جارى مفكرا ، ثم تردد ، وفجأة قال : « انى عائد » .  
وعلى الفور حدث امر غريب جدا فقد بدأ لسانه يقصر ويدها  
تطولان . أردت ان أندهش وأن أحادثه لكنه نفذ ما قاله وعاد ،  
وعاد لسانه وعادت يدها الى الطول الطبيعى ، وتابعنا نحن  
هروبنا ، وصوت الشيخ أشد عنفا من حرارة الشمس :

— كيف يطرد واحد الفا ، ويهزم اثنان ربوة ؟ !

فتذكرت ابي الذى كان واقفا في مركز نصف دائرة في  
الفوهات البريرية عندما انهال عليه وابل الرصاص ، فتراقص  
من الألم ، وكان يحب الرقص — ثم تذكرت اختى وفكرت في جارى  
الذى عاد ، ووجدت نفسى استدير عائدا — وبعد ان انصرفت  
الفوهات وساد الصمت تسللت هابطا الى شجرة الكروم : كان  
ابى في بركة من الدماء والخمر ، نظرت الى عنبها فوجدته حصرما ،  
والى أوراقها فوجدتها مثقوبة من فعل الرصاصات الصهيونية .

— وليكن هذا آخر قولى لكم : كونوا صيادين ليعود لكم  
الذى لكم . فالعضو يقوى بالراس . اقتلوا الضبان تعد لكم  
طيوركم الوردية ...

وعندما تسللنا عائدين قصرت السننتنا ، وانتشرنا في الجبال  
والمدن والنجوع ، طالت أيدينا واستردت قوتها حتى أصبح في  
مقدورها ان تحمل القنبلة والصاروخ .



## كل الأنهار

---

... وعندئذ يرى أن خياله ينعكس مرات لا حصر لها ، يحاول عددها فيفشل ، عددها مثل عدد نجوم السماء أو مثل عدد حبات الرمال . ولكن من وضع المرآتين في حالة تواز ؟؟ لا بد أنها زوجته ، فقد كانت تنظفهما في الصباح عندما سألته :

– هل تذكرت ذلك الرجل ؟؟

رفع عينيه عن الجريدة ونظر إليها في تراخ وكسل :

– أي رجل ؟؟

– الجالس عند البحر دائما ، عند اللسان ، ذلك الذي غرق ولده .

– غرق ولده ؟؟

– اختفى ولده ، فقد في البحر منذ سنوات .

– كلا ..

ولكن الهواء اللزج يضايقني ، أزعجتني بكثرة أسئلتها  
عندما كانت صغيرة ، أما الآن فقد بدأت الأعوام ترهقها .

لكن ابنه التصق به في الصباح وسأله :

– بابا ، كم عدد السموات ؟؟

– أخرج واحسب عددها .

– جدى قال انها « شبعة » .

– تقصد سبعة ؟ !

– جدى نطقها هكذا « شبعة » قال ان عدد السموات  
« شبعة » .

– هو قال هذا الكلام ؟؟

– نعم ، ألم تكن تعلم ؟ !

– لم أكن أعلم .

ولكن هذه الدقن يجب أن انتهى من حلاقتها ، كان أجدادنا  
قوما عقلاء ، لم تكن تخجلهم لحاهم ، أما اليوم فيالها من مهمة  
ثقيلة حلاقة هذا الدقن .

يحملق في المرآة ، يقترب منها ويبتعد .

( ويتكون جسده عاريا تماما ، ولحيتته طويلة ، ويصرخ  
بصرخة ابن الفلب ، ثم يهجم على النمر ويقتله ويسلخ جلده  
ويستر به عورته ، ولو لم يقتله لبا ستر عورته ) .

ويتأمل شعره طويلا . بدأ المشيب يفزوه . وينظر الى  
عينيه السوداوين :

— آه من عينيك يا حبيبي ! ليل طويل رقيقتي أريد أن  
أكشف خباياه ..

— أما أنت يا حبيبتى فزرقه عينيك تغلب الألباب .

— بعد سنوات تمل رؤيتهما .

— لن يحدث ذلك ، ولا بعد ألف عام .

— ألف عام ؟؟

— مليون .. فزرقتهما بحر عميق لا نهاية له ولا قرار .

أكان ذلك بالأمس ، أم منذ لحظات أم منذ ملايين  
السنين ؟؟ بحر عميق بلا قرار بدأت شطآنه تتجدد ، آه من هذه  
السنين !! آه من هذه الانعكاسات !! كم خيالا ؟ ألف خيال ؟  
مائة ألف ؟ مليون ؟؟

— وكم غدد الأرضين ؟؟

— لا أعلم !

وسعلت البنت مقلدة جدما :

— جدى قال انها « شبعة » أيضا !

— حقبا !!

— وقال ان تحت الأرض السابعة صخرة مجوفة يحملها  
ملاك يقف فوق ظهر ثور ، والثور فوق ظهر حوت يسبح في  
ماء ، والماء يحمله الريح ، والريح يحمله هواء وظلمة ...

- يا سلام !! وماذا تحت هذا الهواء وهذه الظلمة ؟ !

- جدى قال : هنا ينتهى علمى ، ولكن ألم تكن تعرف كل ذلك ؟؟

- جدك أدرى منى بهذه الأمور .

يضيف مزيدا من الرغوات ، ويمسك بالماكينة لبدأ الحلاقة،  
سبع سموات وسبع أرضين والأسبوع سبعة ايام : لكل يوم  
سماء وأرض ، هذا هو ما يقصده الجد .

ثم اوضحت الزوجة قائلة :

- ذلك الرجل الذى اختفى ولده ومازال ينتظر عودته امام  
البحر ، لقد افزعنى بنظرانه !

فتهتز يده ، والشفرة جديدة ، واف من هذا الجو !!

( وتسير مركبة الفضاء فى طريقها الرسوم صوب القمر ،  
فيرى ان الأرض كرة صغيرة ويرى البحر فى أسفلها ومع ذلك  
لا تتساقط مياهه ، ويدهشه أن النيل ياتى بمياهه من أواسط  
افريقيا لتتوه فى زرفة البحر الهادر !! )

واخذوا يقلقوننى بأسئلتهم :

- بابا كيف يلتقى النيل بالبحر ؟؟

- بابا كيف تختلط مياه النيل بمياه البحر ؟؟

وعندما أخذتهم الى هناك شعروا بخيبة الأمل ، وارادوا  
العودة سريعا للفرجة على التليفزيون . وقالت الزوجة : الأولاد  
لهم عندهم : انا ايضا كنت أتوقع ان يكون اصطدام مياه النيل

بالبحر اصطداما فائرا ، ولكنه كان كالتقاء عاشقين سنم  
أحدهما الآخر !!

تحدث نقطة حمراء فوق رغوات الصابون . وبأله من  
تشبيهه !! فالنيل في نهاية رحلته يكون مجهدا لا هشا . ولكن  
ذلك لا يمنع القطرات الأخرى من أن تحاول نفس المحاولة لتدوب في  
البحر . وقالت أن عيني سوداء كليل رقيق وقلت أن عينيها  
زرقاوان كبحر بلا قرار .

( وتسير مركبة الفضاء في طريقها المرسوم صوب القمر ،  
غير أن خطأ ما في الحساب يجعلها تنحرف ناحية الشمس بسرعة  
رهيبية . وهناك يرى أن الشمس كتلة من اللهب فيحترق  
فيها .. ويسأله المراسل الصحفي :

– بصفتك أول من غزا كوكب الشمس : ما رأيك في الطقس  
هناك؟؟ ولماذا قمت برحلتك هذه؟؟ ولماذا قمت برحلتك  
هذه؟؟

فقالت الزوجة موضحة :

– ذلك الرجل الجالس عند البحر دائما ، عند اللسان ،  
لا يرفع نظره عن الموج في انتظار ولده !!  
وسأله ابنته :

– وماذا يوجد في الأرض السابعة؟؟

( فيأخذ صاروخه الذي في لون قوس قزح ويطير إلى  
سبيريا ويسأل العلماء الروس هناك :

– لماذا تريدون حفر بئر إلى مركز الأرض؟؟

فرد مندوب الحزب بصوت جهورى :

— من أجل حياة أفضل لعماسهم قوى شعبنا العامل من  
الشفاعة والفلاحين والجنود والثقفين الثوريين ، فى سبيل حزبنا  
العظيم وحكومتنا الرشيدة .

غير ان رئيس العلماء .. يهمس له جانبا :

— نحن نامل ان نجد هناك نوعا افضل من الفودكا !

فيسيل خط احمر فوق رغوة الصابون . أف من الحر  
والرطوبة واعصابى المرهقة ، وخيالى الذى مازال ينعكس بلايين  
المرات . وزوجتى التى قالت :

— ذلك الرجل الذى طال شعر راسه وذقنه وشباب  
وغزت التجاعيد وجهه ، وهو مازال ينتظر ولده امام البحر !!  
( ثم يطير فى صاروخه الذى فى لون قوس قزح الى القطب  
الشمالى حيث يجيبه المتحدث الرسمى باسم العلماء الامر بكيين  
هناك :

— نحفر بئرا حتى مركز الأرض كى نملأ الفراغ هناك ،  
ونمنع انتشار المبادئ الهدامة .

غير ان رئيس العلماء يهمس له جانبا :

— من المؤكد ان البترول فى مركز الأرض يوجد بكميات  
غزيرة ، وربما وجدنا الذهب ، فهل تريد حجز كتلة أرض هناك  
بأسعار رخيصة ، وبالتقسيم المريح طويل الأجل ؟؟ )

ولكنها لم تعد تنظر الى عيني ، ولم تعد تقول أنهما : ليل  
طويل أريد أن اكشف خباياه !! انهل كشفت خبايا عيني ؟؟

أم انها فقدت الرغبة في الاكتشاف وانشغلت عنى بالأولاد ؟؟  
أو شغلبا الأولاد بأسئلتهم ؟؟ ثم أوضحت قائلة :

( شفراتنا مصنوعة من الصلب الممتاز النقى ، تجعل الحلاقة  
ناعمة سهلة ممتعة ، وأعلنت نقابة الحلاقين أنه ما دامت الجروح  
يقل عددها عن الأربعين فليس من حق الزبون أن يطالب بأية  
تعويضات مادية ) .

ثم أوضحت قائلة :

— كيف لا تذكره ؟؟ طويل فارغ ، نظراته غريبة نفاذة ،  
صمد للحر والبرد وهو مازال ينتظر عودة ولده أمام البحر ؟؟

ويسير محاذيا النهر حتى البحر ، فيجد القنار مرسلا  
ضوءه الى ما لا نياية ، والعيال يلعبون من حوله . وكان الرجل  
يجلس بعيدا عن الناس بشعره المسترسل ولحيته الطويلة  
البيضاء ، والمصطافون لا يلحظونه ، يحضرون ويتصرفون وهو  
جالس لا يرفع بصره عن أمواج البحر .

يقول له :

— كازك تحصى الموجات ، كم عددها ؟؟

— اين الأولاد ؟؟ واين جدهم ؟؟

— وهل تذكرهم ؟؟

— جئت بهم المرة الماضية ، غير ان أهمهم جذبهم بعيدا  
عنى !!

— خافت من نظراتك اليهم وقالت انك كنت تشتبهيم !! .  
انهم الآن حول جدهم الذى أصبحت هوايته بناء أهرامات من  
الرمال ، والذى كره حرف السين فلم يعد ينطقه .

ولم يعد غير الشارب ، وان كانت الذقن قد ذبحت تماما  
وصبغت باللون الأحمر . ان كانت الشفر قديمة آلمت البشرة ،  
وان كانت جديدة ملأت الذقن بالجروح . . ولا توجد نسمة  
هواء واحدة !

– وهل حدثك الموج عن ولدك الفريق ؟؟

– ذات ليلة سيرتفع ماء البحر في ليلة قمرية ويحدثني  
همسا ان ولدى لم يفرق . . فهو لا يفرق .

الصوت مرتعش مبجوح لكنه ينفذ الى القلب ويسرى مع  
الدم الى الراس :

– . . . كانت لنا مركب لنقل المصطافين ، وكان يفرد القلع  
أو يلمه . وكنت اجلس الى الدفة ، ولم أسمح له بالاقتراب  
منها ، كنا كلما اقتربنا من رأس البر ورأى اللسان حيث يلتقى  
النيل بالبحر الكبير نظر الى يدي على الدفة وسأل : « لماذا تكون  
هنا نهاية الرحلة ؟؟ ماذا يوجد في البحر الكبير ؟ » . وقلت له  
ان البحر مخيف ، لكنه غافلني ذات يوم ، وكنت على اليابسة ،  
وفك المركب وأقلع بها ، وحول الدفة متوجها الى البحر الكبير !!  
وناديته : « عد . . عد ، المركب صغير والبحر كبير » ، لكنه  
لم يستمع لندائى . وحملته الأمواج وجلجل البحر هادرا ، ومن  
يومها لم أراه ، وأنا الآن أنتظر ليحيبني عن سؤال عجيب  
يحيرنى . ذهب ليعرف ، وأنا أريد أن أعرف ما عرفه !

– وكم تظن عدد قطرات الموج ؟؟

– كعدد نجوم السماء . .

– وكم عدد نجو السماء ؟؟



– وكم عدد نجو السماء ؟؟

وكم عدد الشعرات في رءوس الناس ؟؟ ( وكم عدد انعكاسات صورتى في مرآتين متوازييتين ؟؟ )

– مثل عدد قطرات الموج . .

– عدنا للبدء !

– نعم . ولكن السؤال الذى يحيرنى : لماذا لا يمتلىء البحر ؟؟ فمنذ بدء الخليقة والأمطار تهبط فوق الجبال لتنحدر هادره الى الأنهار ، ومنذ بدء الخليقة وهذه الأنهار تصب في البحر ، لكنه لا يمتلىء ولا يزداد حجمه ! فقط ترتفع مياهه استجابة لنداء القمر ، ويدعوه ان اقترب منى فيرتفع سطح الماء ويسبح على الشيطان ، ومتى غاب القمر عاد كما هو ، مهما كثرت الأنهار وغزرت المياه الصابة فيه !!

يجفف ذقنه فتمتلىء الفوطة بالبقع الحمراء . وعندما أشيخ وتساقط أسناني سأكره حرف السين مثل جدهم . وينظر الى انعكاسات خياله فيضحك : وايضا كل هذه الذقون مجروحة مثل ذقتى !! فكم عدد الجروح اذن ؟؟ ولكن هذا السؤال فرغت من اجابته على ما اظن ، أم ترى اننى لم أفعل !!

( سبع سموات وسبع ارضين والأسبوع سبعة ايام ، لكل يوم سماء وارض . ولو لم يقتل النور لما ستر عورته ) .

## كل الرجال .. كل النساء

---

سمعت الأصوات .. باب البثقة مفتوح - الكتاب في يدي  
اليمنى - وقفت عند المدخل : الصالة ، السفرة مزاحة جانبا ،  
سواد ، مناديل بيضاء في الأيدي ، عيون تنظر الى حواف المناديل  
سوداء ، النساء .. صورة المسيح مصلوبا ، ممصصة ، العيون  
تنظر ، والعداء تبكي تحت الصليب .

تلقت يمينا : باب حجرة أمي مغلق بالمفتاح والأكرة مكسورة  
السواد .. الباب أبيض ، أين أمي ؟ .. وجه امرأة تضغط  
جفنيها بشدة .. رأس المسيح بين الأشواك .. النظرات تأتيني  
من كل ناحية .. الباب الأبيض ، أمي .. تقدمت إليه .. لم  
تنزل دموعي .. ولكن أين أبي ؟ ألم يخبروه ؟ ! .. ممصصات :  
- شد حيلك يا حبيبي .

الكتابة فوق الباب الأبيض بالرصاص : « نبيل بطل العالم ،  
نبيل معبود الجماهير عاشت ج.ع.م. »

– يا نبيل يا مكسور الرقبة قلت لك ألف مرة : لا تكذب  
فوق الأبواب والجدران .

نقلت الكتب الى يدي اليسرى ، لمست الأكرة المكسورة  
– النظرات – أدت المفتاح – عيون ، شهقات – بدأت أزيح  
الباب . شممت رائحة كولونيا نفاذة . . شعرت بيدين تمسكاني ،  
تجذباني بعيدا . دقعت الجسد ، رأيت طرف رداء أسود وعروقا  
نافرة فوق الكفين :

– تعال يا حبيبي ، شد حيلك .

دفعتها بيدي . جذبتني . دفعتها ، دفعت الباب : الحجرة  
مضاء ؛ الدولاب – كرهت الرائحة . هدوء – المرأة المشروخة :

– كسرتها يا مكسور الرقبة . امرأة بلجيكي من أيام  
دخلتي !!

دخلت الحجرة : النافذة مغلقة بالشيش ، المصباح مضاء .  
الحائط ، مسمار ، برواز ، والمسيح يقوم منتصرا على الموت .  
السريز ، نائمة فوقه مغطاة بالكوفرتة الحمراء ، توقعتها ملءة  
بيضاء . . صوت أقدام بجوارى ، صوت ضلقة الباب المفلقة  
تهتز ، سمعتها . الكوفرتة منسابة فوقها ، اليدان فوق الصدر ،  
لابد . الرأس مغطى . الأنف بارز ، سينكتم تنفسها .

اقتربت ، المسيح فوق السحابة بين الملائكة – شهقات –  
حراس القبر مندهشون ، الشهقات . مددت يدي لأسحب  
الكوفرتة ، التصقت امرأة بطيرى وسحبنتي يداها الى الخلف .  
استدرت ، رأيت سوادا ، شممت رائحة النفثالين النفاذة ،  
احتاجت الدموع في عيني . سرت خطوتين . لابد انها مغمضة

العينين تحت الكوفرتة ( انفلت وعدت وشدت الكوفرتة فرايت  
الوجه ، كان مبتسما - سمعت بكاء - العينان مسبلتان ، كما  
توقعت .. تبسم - سمعت البكاء - ليست ابتسامة كاملة ،  
شروع بدابة ابتسامة ) . الوجه مختف ، الأنف مرتفع ، سينكتم  
تنفسها !!

استدرت . ضممت جفوني بشدة ، ابتلت رموشى ولم تنزل  
دمعتان فوق الخدين ! .. السواد . الحائط ، رسوم يابانية  
لنساء فى الحمام .. خرجت من الباب الأبيض .. « يا مكسور  
الرقبة » .

الصالة . السفارة . السواد عند الجدران ، الأهل ،  
جارتنا ، بعض قريباتنا من القرية وصلوا قبلى ، لماذا لا أبكى ؟؟

– فكل فعل رد فعل مساو له فى المقنار .

طرقات على باب الفصل :

– ومضاد له فى الاتجاه .

الباب يفتح ..

– قيام .. جلوس .

– نبيل حنا ياتى .

ناظر المدرسة بنفسه !! – قوائين نيوتن – وجهه حزين ،  
انهششت . لم ارتكب أى خطأ نقلت السطر الأخير من على  
السبورة .. « ق = ك × ج » سئل مرتين :

– احضر كتبك معك ..

يريد أن يفصلنى !! ربما بسبب هروبى من حصة الاحياء ،  
لا احب العبث فى احشاء الضفادع .

— اذهب الى البيت ، والدك يريدك .

كلمنى فى اسى فتوقعت .. نظر فى عطف فخممت وارتيكت ..  
ولما سعدت السلام سمعت ورايت السواد .

— اين أبى ؟؟

— ذهب مع أخيك الأكبر لعمل اللازم .

— وميشيل ؟؟

— قال ابوك دعوا الولد الأصغر فى مدرسته ، ولا داعى  
لازعاجه مبكرا .

كانت تحبه .

باب حجرتى .. حجرتى .. سريرى .. مكتبى الصغير ،  
القمصان ، النافذة .. النافذة المقابلة مفتوحة ، هل عادت  
« سناء » ؟؟ بالطبع لا ، ما زالت فى مدرستها .. جلست على  
حافة السرير .. أصوات النسوة — تعديد — ماذا ستفعل  
سناء عندما تعلم ؟؟ لم ترد على اشاراتى لها أبدا ، تقف تحملى  
فى ، احببها وابتسم لها لكنها لا ترد ولا تخفض عينيها عنى ،  
نظرتها ثابتة لا ترف ! .. بكاء النسوة ، صوت المعدة :

— كنت زهرة وقطفك الموت بدرى يا أختى .

خلعت البلوفر . ارتديت الجاكتة . ليست عندى كرافتة  
سوداء !! وحتى الآن لم أبك ، ضغطت جفونى بشدة .

ارفع صوت المعدة - فجأة ! - زاد صراخ النسوة .  
اندهشت ، ميزت صوت خالى فهمت : يرحبون بكبير العائلة ،  
خال امى ، كلنا نقول له خالى ، ابي يقول خالى ، وامى واخوتى  
وانا نقول خالى ، بانى مدننة الأسرة .. ضحك ابي ووالتي :  
« هذا الرجل سيدفن العائلة كلها ولن يموت .. »

سمعت خالى :

- الم يعد هنا حتى الآن ؟؟

- لا ..

- احضرت المفتاح ، مفتاح القفل الجديد ، كسر اللصوص  
القفل القديم وسرقوا ائتمان الزخوم وليم الذهبية ، فاشترت  
قفلا جديدا « بيل » انجليزى اصلى . لا ادرى ماذا كانت ستفعل  
العائلة بدونى !

- ربنا يعطيك طولة العمر .

« هذا الرجل ذفن ثلاثة من اولاده واحفنى حفيداته وعمك  
واخاه .. ومن المؤكد انه سيدفننى كذلك .. »

ثم ضحك ابي .. ابتسمت .. خطوات خالى الحادة  
تقترب ، دائما يركب حديده فى كعب حذائه حتى لا يتاكل  
بسرعة .. الباب ، وقف عناه :

- انت يا ولد قاعد هنا بدون عمل ؟ ! انزل لتقف مع عمال  
الفراشة ، ولأ تدعهم يفرشون سجاجيد جربانة او يرصون  
مقاعد قديمة .

\*\*\*

انعكاسات صفراء .. برقت آلات النفخ النحاسية تحت  
أشعة الشمس ، اقترب الأولاد في صنفين : زيمم موحد ، رمادى  
في حوافه شريط أحمر .. « ملجأ الأيتام القبطى الخيرى » .  
جلسوا تحت السرادق . ابتسمت لهم ، لم يبتسجوا ، عودهم  
على عدم الضحك فى مثل هذه الظروف . تأملتهم : زرايرهم  
نحاسية لامعة أيضا ، وضعوا الآلات فوق السجادة اسفلهم ،  
ولد أشقر وولد أحول والسادس عروقه نافرة من نفخ آلته  
الكبيرة ، والآخرون منظرهم عادى .. أيتام ! .

الفراشة حدراء ، الزخرف أبيض عربى الطراز ملء بالدوائر  
المتداخلة .. « فراشة حسن عبد السلام » . الشارع ..  
الشمس .. عمود النور .. الحائط .. « حاليا بسينما بالاس  
الكبرى .. » أفريز الحائط فى ركنه عش الزنانير الطينى ، حطمته  
فهاجرت الزنانير .. « ممنوع لصق الاعلانات » .. « حاليا  
بسينما بالاس الكبرى بالنيا » .. كيف لا أبكى ؟ !

- ابنك نبيل خرج الساعة السادسة ولم يعد الا فى  
التاسعة والنصف ، ومن المؤكد انه ذهب الى السينما .

فلما عدت سألنى :

- أين كنت ؟

- اذأكر مع صاحبى حمدي ..

- كذاب .. أين كنت ؟؟

- لست كاذبا ..

- أمك تقول أنك كنت فى السينما ..

- كنت أذاكر مع حمدي ..

- اسمع يا بنى الذى يحمل قربة مخروقة تخر عليه ..

- والله العظيم ما دخلت السينما .

- أمك تقول انك كنت فى السينما ..

- .. .. .

- اسمع يا بنى .. أنا أبوك وتهمنى مصلحتك .. ذاك وفى

الأجازة تفضى للسينما .

- الكرافة السوداء فى عنق أخى الأكبر ، علب سجائر كبيرة  
فوق المنضدة الصغيرة .

سأل عن العربية وعن أبينا القسيس ، سأل عن « مشمش » .

لم يرجع بعد .

قالت أمى :

- كن أنت عاقلا فشمش هو الأصفر واعطه القلم .

يبدو انه كان يبكى ، أخى الأكبر ، لكنى لم أبك ، حتى

الآن !!

أصبح أبى أشار الى ، فمه :

- اسمع يا نبيل ، كن متماسكا أمام مشمش عندما يأتى ،

انت الآن رجل كبير .

انفجرت صرخات محومة ، جرس الكنيسة بدق من بعيد ،

شرفة البيت وسواد النسوة .. ثلاث دقائق بطيئة ثم برهة



صمت .. المناديل بحوافها السوداء .. « مع السلامة  
غالية يا غالية » .. حركة في الشارع .. نكاء ، دقة .. صراخ ،  
دقة ثانية .. عويل ، دقة نالثة .. الأولاد في صفين .. « والله  
فراقك مر يا حبيبة » .. الرجال يقفون .. يصطفون خلف  
العربة .. خيول العربة تصهل ، أربعة ستة ثمانية ، ثمانية  
أحصنة .. والعربة مذهبة كثيرة الزجاج .. الجرس يدق .

باب البيت : صندوق خشبي فوق اكتاف رجال أربعة ..  
الصراخ يعلو ، امرأة تشد شعرها .. الصندوق ، الشرفات ،  
عيال ونساء ورجال نظروا .. الصندوق .. العيون نظرت ..  
سحبني خالي الى الامام : الصندوق يدخل العربة .. القسيس  
امامنا .. خالي ، أبى أختى الأكبر .. أنا .. والناس .. شرفة  
سنا ما زالت في المدرسة .. ترى ماذا ستفعل عندما تعرف ؟ ..  
حزنت ، حتى الآن لم أبك !

آلات العزف في الأفواه . « بساط الزحمة » يمسكه أربعة  
رجال - العربة تحركت - كل رجل في طرف .. نفخت الأفواه  
باللحن الرتيب بالايقاع المنتظم .. سرنا .. من شارع الى  
الميدان .. الدكاكين تطلق نصف غلقة ، الجالس يقف ، يحترمون  
الصندوق المثل من العربة بين الملاكين الخشبيين ، السيارات  
تأخذ جانب الطريق .. أدوت رأسي : الحشد زاد - صوت  
الجرس - بالتأكيد ما زال في المدرسة صاحبي عزت ، يا ليته  
بجوارى الآن ! . العيون .. هل سأذهب غدا الى المدرسة ؟؟ .  
أبطأت العربة لحظات ثم سارت ، نظرت الى الأرض : عجلات  
العربة ، روث الخيل فوق الأرض ساخن ، بفض بخار الماء

يتصاعد منه .. أعتقد أنني سوف لا اذهب الى المدرسة غدا ،  
لكن عزت سيذهب ، وسناء أيضا .

\*\*\*

الصندوق أمام الهيكل .. القداس .. وقفنا جميعا ..  
ظهر القسيس لنا :

— لأنه لا يبقى الا العمل الصالح .

باب الهيكل ، ستائر من القטיפه الزرقاء ، اللوحات  
الزيتية :

— .. ويذهب الانسان لكن ذكراه العطرة تدوم ..

« مايرى جرجس » ممسك بالسيف ، المسيح يقوم من  
الموت .. سعلات رجال .. الملاك ميخائيل له جناحان يطير في  
السماء .. الصندوق .. فم القسيس .. البخور يتصاعد  
متكاثفا ثم يتخلخل ..

قالت امي :

— أسرع يا نبيل ، لابد ان نذهب جميعا الى فرح ابنة عمك  
في الكنيسة ..

وكان التاج فوق رأس العريس وفوق رأس ابنة عمي ،  
وامال كل منهما رأسه فالتصقا وزفردت كل النساء ، وقال  
القسيس منبها على العروس : « أطيعي زوجك ، وكوني عونته  
في السراء والضراء » فضحك كل الرجال ، وقال : « ان ما يربطه  
الله لا يفرقه الا الموت » .

الشريط الأسود .. بكاء أخى الأكبر .. ضغطت جفونى  
بشدة ..

وفى المساء قالت أمى :

- شد حيلك يا نبيل وذاكر لتأخذ الشهادة الكبيرة من  
الجامعة وأزوجك بنت حلوة من عائلة مستورة .

( والتصق التاج فوق رأس سناء بتاجى وقال لها القسيس:  
« ما ربطه الله لا يفرقه الا الموت » .. ) فشاهدت سرير أمى وروحها  
قرب النافذة وشممت رائحة الكولونيا النفاذة .. ولما نظرت الى  
صورة اليابانيات العاريات فى الحمام ، أشار أبى اليها وقال :

- اشتريتها من قبل ان تولد أنت وكانت امك ما زالت  
شابة جميلة ..

يدورون بالبخور حول الصندوق - الجرس مستمر -  
الشريط الأسود .. المسيح مصلوب هنا وعندنا فى الصلاة  
كذلك .. حيث هلق أبى فى الحائط المقابل آية : « ان الله على  
كل شىء قدير » .

- اتعلق آية المسلمين ؟ !

- أعجبنى المعنى ، وأنا لست متعصبا .

- ولكنها آية المسلمين ؟

البخور .. الدقات النحاسية .

- ليس كل المسلمين اشرارا ، منهم من هم اكثر طيبة من  
المسيحيين ..

القسيس . المخرة تتأرجح .. الصليب في يده :  
- ... وقو يا ربنا اهلها بالصبر والسلوان ..  
حركة .. خرج الصندوق .. خرجنا .. ربتت كف  
على كتفى :  
- شد حيلك .  
لم أعرف الرد .. هزرت رأسي .. صوت الجرس  
يعلو أكثر حماسا .

\* \* \*

« محلات بشرى وفخرى » .. « جنة رضوان للملبوسات  
الفاخرة » .. « شارع التجارة » . الزحام . تعبت قدماي  
الطريق طويل ينتهي عند النيل ، عند « موردة الخنش » ..  
القسيس والموسيقى والأماكن المذهبان لم يطيرا بعد برغم أن  
جناحيهما مفرودان . الصندوق .. الدقات الرتيبة ..  
- الله أكبر .. الله أكبر ..

ما هذا ؟ ! نظرت حولى .. سمعت همهمات .. التفت :  
العدد الكبير من خلفنا .. ثم .. ثم .. نعش آخر ، مسلم  
إن مسلمة في الخشبة ، ميتة او ميتة يسرون خلفنا والشارع  
ضيق ..

- الله أكبر .. الله أكبر ..

التفت ثانية : في اعلى الخشبة طربوش - رجل -  
يرحمه الله .. يد تهزنى .. دقات الطبلبة الكبيرة تشتد .. صوت

الجنازة الخلفية ارتفع .. زعقت الآلات النحاسية بصوت اعلى  
قويت ترتيلات المسلمين .. اليد تهزنى .. طقل .. نظر :

— يا عم .. يا عم .. من مات ؟ من مات ؟

من مات ؟ .. هي .. هي التى .. غصّة فى حلقى ، بدأت  
عيناى تفوررقان .. سمعت ضوتا بشخط :

— امش يا ولد .. امش .

الفصة .. لكن ما هذا ؟ ! .. ترتيلات المسلمين تسرع  
تلتهث ثم بدعوا يشقون طريقهم من فوق الرصيف ، مسرعين جريا ،  
لاهثين ركضا .. عجيبة !! سبقونا .. سبقوا الصندوق والعربة  
والخيل .. ثم هدعوا وابتعدوا وعادت زنابة اصواتهم ..

— ما الحكاية ؟

صوت خالى :

— لا يريدون ان يسبق ميتهم ترتيل النصارى ، ولا ان  
يسر امامه صليب القسيس .

دهشت ، احسست بالدهشة . اسرع خالى واقرب من  
سائق العربة :

— بسرعة يا ريس بسرعة ، الحق بهم واسبقهم ..

تقدم أبى :

— لا داعى يا خالى ، لا داعى .

— لا يصح ان تسر بنت أختى من خلفهم حتى ولو كانت  
زوجتك ، بسرعة يا ريس بسرعة .

النيل .. « موردة الحش » .. رفاص البلدية ، دخل  
الصندوق فوق المركب .. وقفنا في صف بدأ بأبى ثم خالى  
وانتهى بعم جابر ، وانصرفت الموسيقى والقيس وبعض الناس ،  
ركب البعض مع الصندوق - دليل الاعزاز - أكثر من مائة ..  
صعدنا الرفاص .. كان المسلمون قد سبقونا وجلسوا صامتين ،  
نظرت لهم ، التفت الى البر الى المدينة .. نظرت لهم ثانية :  
أعرف فيهم حسن ، اقترب :

- البقية في حياتك .

- عشت .

مياه النيل تندفع الى الخلف ، اللنش يسير الى الأمام - لكل  
فعل ود فعل - الشمس ، الجبل هناك والمنيا في الخلف - مساو  
له في المقادير - الأحياء غرب النيل والأموات في شرقه .. صوت  
خالى - ومضاد له في الاتجاه - خالى :

- بنيت هذا المدفن منذ ٢٤ سنة .. أيام الرخص ولم  
أبخل به على عزيز من العائلة .

المنيا تبتعد .. صوت الرفاص ، الماكينة .. بكاء أخى  
الأكبر - البكر - صوت خالى :

في كل عيد أعبى النيل الى الشرق وأدخل المدفن أصلى  
على أرواح أحيائنا هناك .

تل المقطم يقترب .. يعلو ..

- في العيد الصغير منذ أربع سنوات رصصت صناديق  
الرجال في جانب وصناديق السيدات في الجانب الآخر ، وكان  
منظرهم جميلا !!

## « هذا الرجل هو دافن العائلة »

— وفي العيد الصغير منذ أسابيع وجدت أن المكان مزدحم  
فنقلت رفات كل الرجال في صندوق واحد وأخرجت الباقي ،  
كذلك فعلت مع السيدات .

النيل ، النيا صفرت بيوتها مآذنها أجراسها .. كف  
الجرس ، ربما لا أسمعه لبعده المسافة .. مقدمة اللنش تشق  
المياه نصفين . « كل رجال العائلة في صندوق واحد على جانب » .  
قرية « سودة » ظهرت في حوض الجبل — « وكل السيدات في  
صندوق آخر على الجانب الثاني » . صوت عم جابر .  
ذكرياته عن السودان وجنادل النيل والنيل الأزرق وأحيانا عن  
السودانيات الجميلات ! . ابتسمت ، لم أبتسم .. أقارب السلام  
يجهشون بالبكاء .. أبكى ، لم أبك ! . أخى الأكبر احمرت  
عيناه ، الا أنا — البر يأتي الينا — لكنى أحبها — نحن ندخل  
البر — احبت ممشى لانه آخر المنقود .. لكنى احبها ..  
خللتنى الدموع !!

دخلنا البر ، التصق بنا .. هبطوا ، هبطت .. لم يهبط  
المسلمون ، مقابرهم في الموردة التالية في « زاوية سلطان » ..  
الصندوق فوق الرجال ، الرجال يدوسون فوق التراب  
والصخور . اللنش يتابع سيره جنوبا .. التراب ..

\*\*\*

تل المقطم .. أزقة ترتفع صاعدة بين البيوت والجحور ،  
عيال يستمرون في لعبهم ، اعتادوا قنوم الغرباء بالصناديق  
وعودتهم دونها ، تبعنا بعض الشحاذين ، دخلنا حارة سد  
عبرناها ، في آخرها ممر ضيق .. صععدنا — على بعد عدة

كيلو مترات قرية تونة الجبل - تعب خالى ، وقف امام أحد  
الأكواخ لاهتا :

- سأنتظركم هنا ، تعبت .

تابعنا ، صعدا .. دخلنا في زقاق آخر - في حوض وفي  
بطن الجبل بنوا تونة الجبل للخالدين - «مقابر اسرة نجيب  
باسيلى» .. سرنا .. «مداين عائلة كامل عياد» .. تابعنا ..  
«المجد لله فى الاعالى» .. صعدا .. «مقبرة عائلة ...» :

اخيراً ها نحن .. نهاية المشوار .

اسم خالى ، وباب حديدى ، الصليب بالطلاء الأبيض فوقه ..  
الصخور .. وضعوا الصندوق على الأرض .. التعب .. المفتاح  
فى يد عم جابر ، تقدم وامسك القفل - ييل انجليزى اصلى -  
التعب ، تنحج :

- باسم الله ..

ادار المفتاح ، عاكسه ..

- صدء القفل .

تقدم رجل من اهل القرية ، اخرج المفتاح وبلله بريقه ثم  
فتح الباب الحديدى .. نظرت ، شممت رائحة غريبة ، هل  
بالداخل عظام ودود ؟ ! - «صندوق لكل النساء ، وصندوق  
لكل الرجال» - حملت فى فتحة الباب .. ظلام ظلام .

- باسم الصليب .

ثم دخل عم جابر ، وقف ثوانى حتى تتعود عيناه على  
الظلام ، دخل معه رجل آخر .. اسندار ، اقتربوا بالصندوق ،  
دفعوه اليهما فسحياه ، دخل الصندوق - الآن صندوقان



للسيدات في جانب وصندوق واحد للرجال - ظلام .. بكاء أخى يرتفع - أبى يضغط على نواجذه بشدة ، هز رأسه في عنف ، غارت تجاعيده ، الظلام : أطل عم جابر منه ، ناولوه موسى ، دخل ثانية .. الظلام مرة أخرى .. نظرت الى جارى ، زبت على كتفى .

- ليمزق الكفن الحريرى حتى لا يسرقه اللصوص .

أبى تتحرك شفتاه في تمتمة غير مسموعة .. وأنا ؟ ! .. يجب أن أقول شيئا ، هل أصلى ؟ ! . يجب أن أبكى ، لأبد .. صوت جارى :

- اللصوص هنا لا يراعون حرمة الميت ، في الشتاء يسرقون الصناديق ويستدقثون بحرق خشبها !!

فتحة الظلام .. حملقت ( رأيت الدود والعظام ، ثم رأته بمنجله يحملق نحوى ، رأسه جمجمة .. عزرائيل ) .. تراجت خطوة ، لو عزت بجانبى الآن ( المنجل بثلاثة زعوس .. تحرك تخلخلت عظامه ، اصطكت أسنانه ) .. شهقت ، لو عزت معى ، وجه سناء ( رأيت دودة كبيرة ممسكة في فمها بلسان إنسان ) .. كدت اسقط ، أمسكتى رجل ( ودودة تلتهم عين إجد أقربائى ! وعشرات الدود حول قلب صامت !! ) ترنحت .

- شد حيلك يابنى ، شد حيلك .

وجه أمى ، عزت .. الظلام : خرج منه الرجل ثم عم جابر ، أمسكا الباب الحديدى ( رأيت الملاكين ، المسيح فوق السحابة سعد ، ارتفع ) سدا باب الفتحة ، الصليب بالظلاء ، القفل .. اختنق أبى :

- مع السلامة ، مع السلامة ، مع السلامة .
- انهار اخي الأكبر .. ارتعشت ، دارت الأرض ، سدننى ،  
قامت الدنيا .
- كوب ماء من البيت الذى هناك بسرعة .
- بردت أطرافى .
- شد حيلك يا ابنى ، شدوا حيلكم ، عيب انتم رجال .
- شعرت بالفصّة .
- اشرب .
- شريت .. بدأت اتنفس .. اقترب الشحاذون ، تحفروا  
هجموا على أبى ، تمسحوا به :
- البقية فى حياتك يا بيه .
- نهرهم عم جابر .
- ربنا يطول فى اعماركم ، البركة فى الأنجال .
- اخذهم جانبا ، أخرج من جيبه نقودا صغيرة ، وزعها  
عليهم .. وسقط بعضها على التراب ..

\* \* \*

جاء الرجال :

- البقية فى حياتك .

سمعت جارى يقول لجاره انه ذاهب لعزاء الميت المسلم  
ثم يلحقه بعد ذلك على المقهى ليبارزه عشرة طاولة .

خرجوا .. جاء غيرهم :

— شد حيلك .

هززت رأسي .. جلسوا ، تمتمت بكلام غير واضح ،  
تحدث جاري مع زميله عن رحلات الفضاء وعن الترقيات  
وشكى له من رئيسه وزوجته النكدية .

دار عليهم القهوجى بالقهوة السادة ، درت عليهم بعلبة  
السجاير الكبيرة .

— شد حيلك .

أخرج احدهم قطعة حلوى وضعها في فمه وقال انه كف عن  
تدخين السجاير بعد ان نصحه الطبيب بذلك ، ثم حدثه جاره  
عن غلاء السمن البلدى وانه لا يثق في السمن الصناعى وانه تعود  
على شرب كوب من اللبن كل صباح .

جاء بعض التلاميذ ، جلسوا في نهاية السرادق مبالغين في  
حزنهم ، نصحنى جارى بان اجلس بجوارهم :

قال تلميذ :

— استاذ العربى طلب منى ان ابلغك تعزيتة .

هززت رأسي ، أصابعه تضغط على بعضها البعض ..  
ذهبت مع بعض اصحابى لعزاء زميل لنا وكانت اول مرة ،  
وكبس علينا الضحك دون سبب بفعل شيطان غريب الشأن ..  
هل يكبس عليهم الضحك الآن ؟ ! لكن عزت لم يأت معهم ! من  
المؤكد انه عرف .

مشمش يجلس منزويا ، يبدو غير مدرك للأمر ، كانت تحبه

أكثر من جميع الأسرة ، آخر العنود طبعاً .. نظرت له ، قرضت  
أظافري . لو جاء عزت ، لو بكيت !

انصرف التلاميذ .. جاء عم جابر وجلس بجوارى ربت  
فوق ركبتي :

– البركة فيكم ، كن رجلاً .

– حاضر .

انهمك مع جاره في الكلام ، ذكرياته عندما كان يعمل في  
السودان ، لا يجيد الحديث الا في هذا الموضوع .. آه ..  
ها هو عزت ، جرى الدم الى وجهي فجأة ، بدأ مبتسماً شديد  
العبوس كأنه أنا :

– البقية في حياتك .

احسست بفرحة ، جلسنا .

– كيف حدث ذلك ؟ . هل كانت مريضة ؟ لكنك لم  
تخبرني ؟ دائماً انت كتوم ؟ !

استمر عم جابر في حكاياته :

– كان كل السودانيين يحبونني ، ويكوا عندما تركت  
السودان .

نظرت الى الناس ، يتحدثون أو يفكرون أو يتشاءبون ..  
ميشيل – مشمش – كبس عليه النوم .

– وكثيراً ما خرجت الى رحلات صيد في الأدغال ، ادغال  
السودان والحبشة .

زغدني عزت ، رمقني بنظرة مأكرة .. كنت قد حدثته  
عنه كثيراً .

— ومرة خرجنا الى الغابات مع بعض الأصدقاء السودانيين .  
كنا مسلحين طبعا ، وفجأة خرج لى حيوان صغير جدا ، لا هو  
بالأسد ولا هو بالنمر ، ولم يكن ببرا أو ذئبا أو اى حيوان اعرفه ،  
استصفرت شأنه واستخسرت فيه الرصاصة ..

كتم عزت ابتسامته .

— لكن أحد السودانيين قال لى : احمد ربنا ، كتب لك  
عمر جديد ، هذا الحيوان برغم تفاهة حجمه خطير وسمه  
قاتل ، اذا عقّر انسانا فقل عليه العفاء ، ولا بد أن يموت على  
الفور ، ولا علاج له !!

هز السامعون رءوسهم . رفع عزت يده وعبث في شيمره  
ليخفى ابتسامته . فعلت مثله ، وعندما هم عزت بالإنصراف قال  
انه لن يذهب الى المدرسة فى اليوم التالى ، وانه سيقضية معى .

\*\*\*

اخيرا فوق السرير والحجرة مظلمة .. دخل ضوء الصالة  
من الباب وانعكس على السقف .. أبى وخالى وأخى الأكبر  
يتحدثون ، صوت خالى :

— الروح تبقى فى الشقة ثلاثة أيام . تظل مكانها حتى يأتى  
القسيس ويصرفها فى سلام لتصعد الى السماء .

صوت العمال يهدمون السرادق فى الشارع .. أذن فهمى  
ما زالت هنا ، فى مكان ما .. صوت أبى :

— كان المشيعون كثيرين ، جاملت الناس فجاملونى .

هل هي في حجرتها المغلقة حاليا ؟ أم معهم في الصلاة ؟ !  
ضففت جفوني بشدة .. كانت تحبني وأنا أحبها كثيرا  
دون شك .

سمعت الولد أحمد ابن جارتنا يهتف من أسفل بيته :  
- ولع النور .. ولع النوور ..

صوت أخى :

- كان أول الجنازة عند شركة بيع المصنوعات وآخرها عند  
الصهرج !!

كنت مثل الولد أحمد أخاف صعود السلم المظلم ، كانت  
أمي تقف لى من فوق وتظل تحادثنى :

- اطلع ، أنا واقفة .. لا تخف اطلع ..

واركض السلم فى ثوان .

اكمل صوت أخى :

- برغم أن النعى سينشر فى الأهرام غدا ..

ربما تكون فى حجرتى الآن ، فوق السرير أو فى أحد الأركان،  
من المؤكد انها بجوار مشمش .

سمعت صوت بائع الزبادى فى الشارع ورأيت السلة تهبط  
من الشقة العليا ثم ترتفع بعد قليل وبها الزبادى ، وصوت باب  
البقال أسفلنا يطلق .. وفى منتصف الليل سوف أسمع صوت  
« السيفون » فى الشقة المجاورة .. وفى الفجر صوت نحنة  
مسكرى الداورية فترد عليه بعض الكلاب بنباح حاد .

صوت أبى ( لأخى ) :

- هل صفت النعى جيدا ؟؟

- كتبه بفعل الماضى وقلت أن الجنازة شيعت أمس  
من « كنيسة الأمير تادرس » .

والعزاء تلغرافيا « حنا بشارع ابن خصيب » .

ماذا ستفعل سناء عندما ترانى غدا ؟ . حملت في السقف  
( فرأيتهم يضعون صندوقى في العربة المدهبة ، وبكى كل الشارع ،  
وأصرت سناء على أن تعبر خلف نعشى الى الشرق حيث وزعت  
الصدقة على روحى ) . لكنى لم أبك بعد .. « كل النساء في  
صندوق واحد . وكل الرجال في صندوق آخر » صوت خالى :

- هل كتبت بالنعى اسم صادق ابن بنت خالتك ؟

- نعم ..

صوت أبى :

- تعب الشارونية معنا هذا الصباح ، هل ذكرتهم بالنعى؟

- نعم ..

شعرت بالجوع . لم أتعش جيدا ، لم يلح أحد على بالأكل ..  
وجه أمى ، السقف ، ابتسامتها .. وجهها :

- عاوز أتعشى .

- ماذا تريد ؟

- أي شيء .
- جينه ؟
- لا ..
- غسل ؟
- لا ..
- ماذا تريد اذن ؟ !
- أريد ان أتشفى .
- هل اسأل لك بيضتين ؟؟
- لا احب البيض وأنت تعرفين ذلك .
- يا مكسور الرقبة تعبت قلبي ، ماذا تريد ؟ !
- سأل خالي :
- على الله الا تكون نسيت أيوب بالنعمي ؟
- كتبه ، هل اقرا لكم صيغة النعمي ؟
- أحسن ..

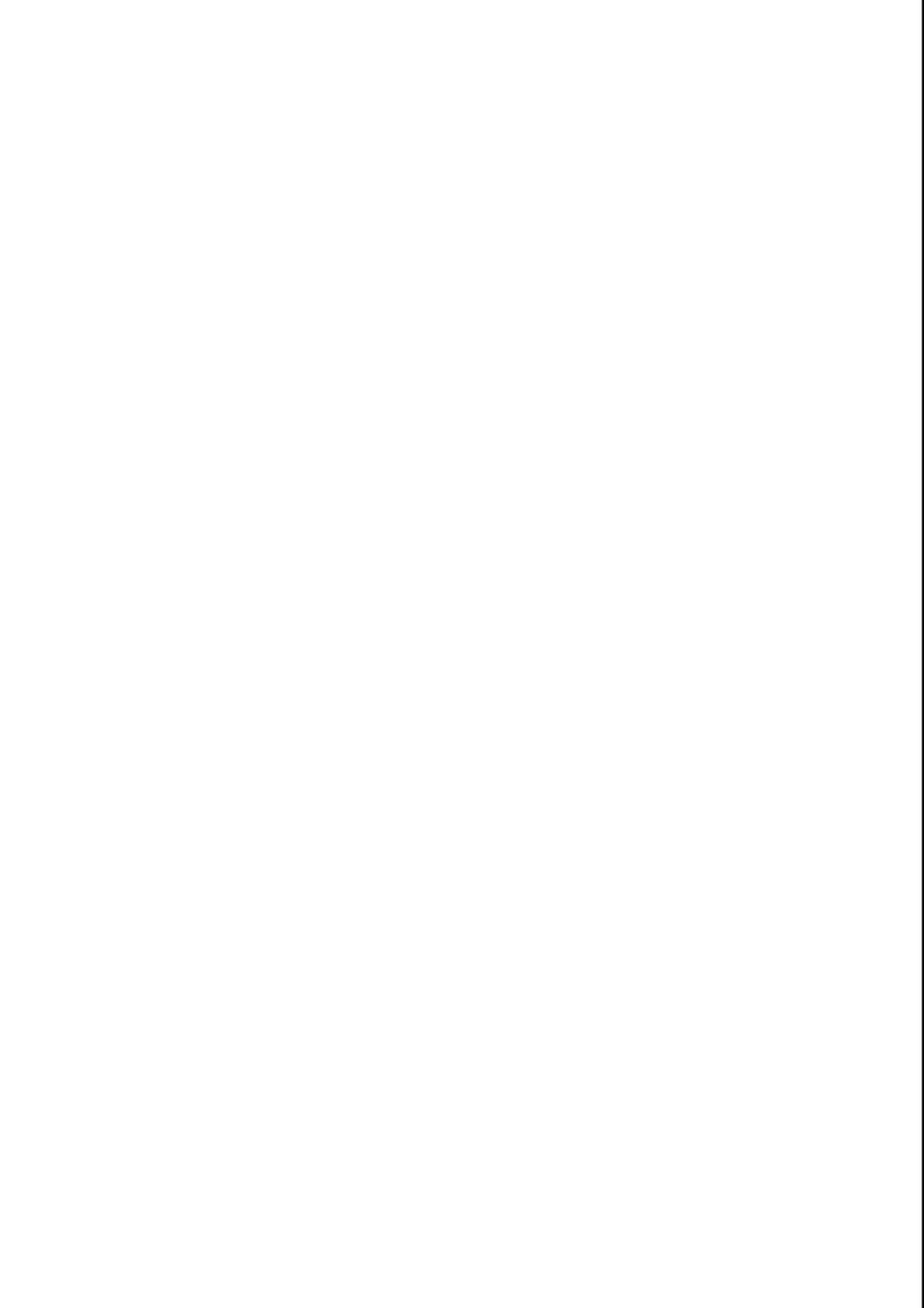
صمت .. وجه سناء .. أشباح على السقف .. لن يسألني احد : ماذا تأكل ؟؟ جينة أم عسلا أم بيضا ؟؟ استدرت فوق السرير .. اطلع ، أنا واقفة ، لا تخف ، اطلع .. قرأ صوت أخي :

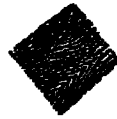


– وفاة سيدة بارة .. انتقلت أمس الى الأمجاد السماوية  
السيدة ... ..

ولكن هذا اسمها !! امى .. انتقلت .. الى الأمجاد  
السماوية .. السيدة .. السيدة امى !

انكفات على وجهى .. المخدة .. اطلع لا تخف .. ارتعشت  
يداي .. انا والخفة لك ..





---

# فوستولث يصل إلى القمر

---



## فوستوك يصل القمر

« الى القمر بالسلامة يا فوستوك »

وقف السائق يقرأها مكتوبة على مؤخرة السيارة ،  
ربما للمرة المائة في خلال اليومين الأخيرين ، ويبتسم لنفسه  
في زهو . كان صاحب السيارة يريد أن يكتب مكانها عبارة أخرى :  
« يا خفي الألفاظ نجنا مما نخاف » . ازاء تمسك السائق  
بجملته قنع بأن تنزوي عبارته على باب السيارة حيث هي مكتوبة  
الآن ، وترك المؤخرة بطولها وعرضها لسائقه يكتب عليها ما بدأ  
له . فكتب جملة السابقة ، ورسم أعلاها صاروخا صغيرا في  
طريقه الى قمر رسم على هيئة وجه انسان يطل باسماء في سعادة  
من خلال زهور جميلة زاهية تحيط به .

ويخرج من فم شرطى المرور ثعيانان يلدغان السائق في  
اذنيه :

– اطلع يا أسطى ، لا تعطل السيارات من خلفك .

وتموت ابتسامة السائق .. ويستدير .. وبسرعة تتحسس  
يده الاطار الخلفى ليطمئن الى سلامته ، ثم تمتد الى باب السيارة  
لتفتحه وهو ينظر الى أعلى حمولتها وينادى الشيال :

– نائم انت ام متيقظ ؟

ويعرف الاجابة عن سؤاله لأنه لم يسمع اى رد على ندائه .

يمد يده ليدير مفتاح البنزين ، وهو يستعيد بالله . مع  
ازدياد سرعة السيارة ومع ارتفاع أنين محركها ، بدا سائقها  
كطفل يركض وحيدا في طريق مقفر معتم ، فأخذ يردد في سره  
عبارة صاحب السيارة : « يا خفى الألفاظ نجنا مما نخاف » .  
والتي اخذ يرددتها بصوت أعلى وإيقاع أسرع .

والسيارة تزحف وهى تهز الطريق بثقلها الزائد ، مشيرة  
ضحيجا صاخبا مزعجا ، لا يضيع فى الهواء ، بل يتحول الى  
قمقم يخرج منه وحش رهيب المنظر ، وقد أمسك فى يده بمطرقة ،  
وفى اليد الأخرى بسكين حاد النصل مكشرا عن ابتسامة  
بغيضة . رآه السائق وهو يقترب منه فى اصرار وعناد ، ثم وهو  
يتسلل خلال الزجاج المكسور ليجلس بجواره . فهتف :

– يا خفى الألفاظ ، يا الهى ها هو قد عاد ليضايقنى ..

لم يكف بالسكن أمام منزلى ، بل يطاردنى فى كل سفر  
أقوم به !

ثم يلتفت الى الوحش ، وبأسخس سلام يقف أمامه طبلتى  
أذنيه :

— ها هما ، خلهما ، اطرق عليهما كما تشاء .

لكن الوحش لا يكتفى بذلك ، ويلوح له بيده المسككة بالسكين . وكانسان يقدم ذبيحة قربانا لاله رهيب يخرج السائق اعصابه من رأسه ، ويضعها امام الوحش الذى يفرح بها ويظل يعمل فيها تقطيعا ، شاربا الدم الذى ينزف منها .

ينظر السائق الى الطريق بالتم ثم يبصق . لو احضر معه قطعتين من القطن سد بهما اذنيه لكان قد اخفى طبليتهما عن هذا الوحش ، لكن الاطباء منعه من ذلك .

تخطر علي باله فكرة ، فيخرج سيجارة يشعلها وينفث غضبه مع دخانها في وجه الوحش ، ثم يحاول أن يلمسه بنارها ، لكن الوحش لا يابه بذلك ، ويتمادى في طرقة لطبتي الأذنين وتقطيعه لأعصاب الرأس ، بينما الشمس من وسط السماء تلهب العربة بنارها .

تنتهى السيجارة في يد السائق وتلسمه ، فيلقيهيا بسرعة ، لاعتنا كل شيء من حوله ، لكنه عندما يرفع بصره ويرى الحجاب المعلق امامه تنفرج أساريره ويتمتم :

— يارب عفوك ورضاك .

ينظر الى الطريق امامه ، ويجول بناظريه فيما حوله : مخلوقات كثيرة وعجيبة . وجد نفسه يتأملها كمن يراها لأول مرة ، بط يسبح في التربة الموازية للطريق ليطفىء نار انفسطس في مياهاها ، بقر لا يتوقف عن الأكل الا لياكل ، جاموس يربط الى السواقي ، كلاب تشيعه بناحها وترتد خائبة مخرجة السننها ، وخروف ساهم مجنى الرأس كرب اسرة يفكر في كساء

أولاده .. وناس ، آدميون كثيرون في صور مختلفة ، فيهم الذى يدير ساقيته وفيهم الجالس ليأكل ويأكل ، وفيهم المتناظرون من دخان العربة فيشيعونه بشتائمهم ، ومنهم الجالس حزينا يعبث بأصبعه في تراب الأرض ، ومنهم الذى خلع ملبسه ونزل الى التربة سابحا .

لم يجد السائق ما يعبر به عما يجول في خاطره الا ان هتف:

ح دنيبا :

وينظر الى الطريق .. ويبصق !

يلتفت الى جواره ، الوحش مازال رابضا ، يلعب لعبته القاسية .. يتساءل : الايباس !

امامه على الطريق يسير فلاح ، اجتمى من الشمس هو وبقرته التى يجزها وراه بالاشجار المزروعة على جانبي الطريق . وعندما عاد السائق لينظر امامه وجد ان عربته تتجه في اصرار صوب بقرة الفلاح تريد ان تفرسها ، لكنه يسارع ويضغط على الفرملة بعنف .

من خلال ذهوله يسمع شتائم صاحب البقرة له ، يلتفت الى الوحش جواره ليوبخه فلا يجده ، اختفى بعد ان اعاد اليه طبلتى اذنيه فقط . وبلعنه :

— هرب الجبان ، عاد الى كنفه بعد ان سرق اعصاب راسى !

ثم ينظر الى صاحب البقرة ويعتذر له :

— عدم المؤالفة « الدزيكسيون فوت » .



ينزل الشيال - الذى أيقظه وقوف السيارة المفاجيء  
وشتائم صاحب البقرة - ويطيب من خاطر الفلاح ، ويربت على  
ظهر بقرته ، الى أن ينصرفا .

تعود السيارة لمسيرها بعد اصلاح عطبها ويجلس الشيال  
بجوار السائق ، يصرخ وهو يحاول أن يعلو بصوته على صوت  
المحرك :

- سامع يا أسطى صوت المحرك .. ولا مكنة الحرت !!

تنفر العروق من رقبة السائق :

- صاحبها سلمها لى قديمة ، مالى أنا ، ما ذنبى أنا !

ويلتفت للشيال ، فيجد الوحش قد عاد وجلس بينهما ،  
ويعجب .. كيف لا يراه الشيال ؟ ويغتم .. وليخفى حزنه أخذ  
يتكلم محدثا نفسه ، والشيال يظن أن الكلام موجه اليه .

لشد ما يفيظه أن هذا الوحش وراءه أينما حل ، فى السيارة  
وفى المنزل . فقد جاء وسكن فى ورشة السكة الحديد المواجهة  
لمنزله ، والدائمة الضجيج سواء من أصوات المطارق أو القطارات،  
مما يجعله هو وزوجته وأولاده يتحدثون بأصوات عالية ، وكان  
المسافة بينهم مئات الأمتار ، وهم فى حجرة واحدة ، ولم يكف  
الوحش بذلك ، بل تقمص أجساد أولاده فتعودوا على الصراخ  
فى حديثهم حتى وان لم تكن هناك اية ضجة ، لدرجة أنه لم  
يكن يستطيع أن ينام الا بعد أن يثنى الوسادة على رأسه رغم  
حرارة الجو ، ليخفى طلبتى أذنيه عن هذا الوحش اللوح .

ويستهل السائق :

— يارب ، خلقت الانسان من طين ، حسنا ، لماذا خلقت  
معه الوحوش !

ثم يحدث شياله :

— هل هذا كثير على : منزل هادىء فقط ، فى اى مكان ..  
ولو فى القمر !

يضحك الشيال وقد اعتبر هذا الكلام مزحة . ثم يتساءل :

— قل لى يا اسطى ، لو عرضت لك فرصة للصعود الى  
القمر ، هل ترضى ؟

— وما المانع ؟ !

— القمر فيه وحوش !

باستنكار يصرخ السائق :

— من قال لك هذا الكلام الفارغ ؟ !

— رابته فى فيلم امريكى ، وحش نزل من القمر الى الارض  
وحطمها .

— مجنون الذى صنع هذا الفيلم .. ومخرف .

ثم يحدث نفسه :

— حتى ولو كان فى القمر مثل هذا الوحش ، فهو ارحم  
من الوحش الذى يطاردنى هنا فى الارض .

يشعر بأن الكلام الى شياله يريحه ، لكنه يلمح فى الطريق  
رجلا يشير اليه بيده ، فيبطيء من سرعة السيارة ويظاب من  
النيال أن يعود الى الخلف مرة أخرى ، ليكسب من هذا العابر

ولو ثمن الدخان ، فالحياة نار ، وهو ما يرضى بشقته المزعجة  
القابعة أمام ورشة السكة الحديد حيث يسكن الوحش الا لأن  
أيجارها منخفض .

تقف السيارة بعد أن جاوزت الرجل بعدة أمتار ، فيسرع  
من خطاه وهو يبتسم للجملة التي قراها على مؤخرة السيارة ،  
ويسأل :

— ما حكاية فوستوك هذا !

تعود العروق في رقبة السائق لتنفّر ، انه الصاروخ الذي  
سيصعد الى القمر الذي يراه دائم البسمة في سمائه ، دائم  
الصمت والسكون .

يرى الدهشة مرتسمة على وجه الراكب فيخبره بأنه  
مواظب على قراءة الجريدة اليومية . . ومضى يحدثه في السباسة  
عن أمريكا وروسيا ، ثم عن الانسان ، البنى آدم ، وصاروخه  
وطمعه ، وفقره . وعندما يتذكر مشكلته يصمت برهة ، ويرمق  
الوحش ، ثم بهز رأسه مؤكداً أمراً ما لنفسه :

— والله يا استاذ أنا يهيا لى أن القمر كله هدوء وليس به  
ضوضاء ولا ضجيج كما عندنا هنا .

يضحك الراكب ، وفي طنطا ينزل وهو يدعو للسائق بحياة  
هادئة .

تخرج السيارة من طنطا لتكمل رحلتها ، وهى تهز الطريق  
من سرعتها ، وتزعج الطيور في أشجارها بصوتها الراعد ،  
وتثير من خلفها التراب ، وتسحب وراءها شريطاً كريهاً من

الدخان الأسود الكثيف حجب القمر المرسوم على هيئة وجه  
انسان باسم ، ثم مضى يتسع ويتخلخل رأسا أشكالا عجيبة ،  
بدت وكأنها أرقام خطت في الهواء . خمسة .. أربعة .. ثلاثة ..  
اثنين .. واحد .. الصفر . ثم كان الحادث . ، وانقلب وجه  
القمر الباسم من وسط الزهور !

وعندما يفيق السائق ، ويفتح عينيه ، وقد لفت رأسه  
بالشرائط ، يرى بجواره رجلين وامرأة في ملابس بيضاء ، ويبتسم  
للهدوء والصمت الذي يشمله . كان الوحش قد اختفى . ينظر  
الى وجهي الرجلين فيها له انهما يتحدثان .

كان أحد الطبيبين يقول للآخر :

— لقد حدث له ما كنت أخشاه !

وبالرغم من أن السائق كان يرى الطبيبين جيدا ، وبرى  
بوضوح تام حركة الشفاه ، الا أنه لم يسمع أى كلمة ، ان  
ما حوله الصمت التام والهدوء الشامل .

يتساءل في حيرة وقلق ، وهو لا يرى الوحش امامه :

— هل فوستوك وصل الى القمر ؟ !

## الوجه الآخر

كان يبغى أن يتنسم بعض الهواء في  
النافذة ، لكن الضجة الناتجة عن لعبة الحرب  
التي يمارسها الأولاد في الشارع ، دفعته  
الى أن يفلق زجاج النافذة رغم حرارة  
الجو .

ينظر في ساعته ، عندما يكمل هذا العقرب النطاق خمس  
دورات كاملة ، ويقفز العقرب الكبير خمس قفزات ، يكون موعد  
عرض نشرة الأنباء المصورة في التليفزيون قد جان . يظل يرقب  
الساعة ، ويرثى لحال ذلك العقرب النطاق ، ما يقطعه في  
دورة كاملة لاهثة يقفزه العقرب الكبير في قفزة واحدة حاسمة ،  
بينما ذلك اللثيم الصغير لا يتحرك من مكانه الا قيد أنملة لا تلحظه  
العين العادية . ينظر بحسد الى ذلك العقرب الصغير العريض .  
يتنهد : والثلاثة في ساعتى !

تمتد يده تدير مفتاح الجهاز . ينتظر وهو يلوح بيده أمام وجهه ليحرك من الهواء الراكد ، لو بيدى الأمر لوجهت من التليفزيون مر العتاب الى هؤلاء الآباء الذين يهدون لأولادهم لعب الحرب . غير أن طرقات عنيفة تطرق أذنيه تجذبه من أفكاره ، وكان صوت صاحب لضجة غير متميزة قد بدأ يصدر عن الجهاز ، فيحرق بعينيه مستعجلا ظهور الصورة حتى يعرف الحقيقة ، وتظهر .. باهتة اولاً .. ثم تأخذ في الوضوح ، تهبط من أعلى الى أسفل كأن شيئاً يثقلها ، ثم تعود لتصعد من أسفل الى أعلى وكأن روحها تفيض .. فينهض عابسا ويمد يده يحرك أحد الأزرار حتى سكنت الصورة مرغمة .

ويجلس في مواجهتها .

كانت سلسلة في نهايتها ، فينظر الى بطلها وهو ينتهي من القضاء على أعدائه : كم قتلت اليوم أيها الهمام من الرجال ؟ . مائة ؟ ألف ؟ الأولاد في الشارع يقلدونك ! .. وكان البطل قد استغرق في قبلة الختام مع البطلة ، فيبتسم له : أنت تقتل كل هؤلاء من أجل هذه القبلة ! ويا له من ثمن ؟ لكنه رغم ذلك يغوص في مقعده منسجما من منظر القبلة التي تنتهي عندها المسلسلة ، فيقول مودعا بطلها : الى اللقاء غدا ، حيث تقتل مائة رجل أو ألفا آخرين لتنال قبلة ثانية ، واتركنى لنشرة الأخبار أرها واسمها .

يشده صوت عراك آت مع المطبخ ، فينهض ليجد قطنه وقد قوست ظهرها ونفرت من شعرها ، شاهرة مخالبا في وجهه كلبه الذي استولى على قطعة عظم . يضحك لكلبه ، على كل فائتمنا تتقاتلان من أجل الطعام ! . ويلقى بقطعة عظم أخرى للقطعة ،

فيبتعد أحدهما عن الآخر ويعم السلام .. ويعود هو الى  
التلفزيون حيث كانت انبأؤه قد بدأت تتوالى .

يجلس أمامه يسمع ويرى :

« الحرب تعود لتشتعل في دولة ... » .. وصورة طائرة  
تسقط محترقة .. فيسألها : كم من الرجال قتلت ؟ مائة ؟  
الف ؟ .. لكنك لن نالين قبلة !!

« صراع حتى الموت بين شطرى دولة ... » .. هابيل  
لماذا تقتل أخاك قابيل !

« احتمال نشوب حرب ذرية عالمية » .. « اعصار يجتاح  
استراليا » .. «تفجير قنبلة ذرية جديدة تحت الأرض » ..  
نجازاكي أين ذهبت أختك هيروشيما ؟ !

ينهض نائرا ، ابن الأنباء الطيبة ؟ !

وتدير يده المؤشر الى قناة أخرى ، وكان بها فيلم كرتون ،  
قط يطارد فأرا ، بينما كلب يتربص للقط في مكان خفى . يغير  
القناة مزجرا : هل يشاهد قطى وكلبى هذا البرنامج ؟ ! ..  
ويدور المؤشر الى القناة الأخيرة ، المذيع يقدم لتمثيلية « الكترا » ..  
آه .. الحقد الفظيع . انها لمؤامرة ، ان آلهة العذاب تطاردنى  
اليوم !

يغلق التلفزيون .

ويروح في الحجرة ذهابا ، سأرفع شكوى الى اولى الأمر  
ضد واضعى هذه البرامج . ثم يعود جيئة ، سأعلنها حربا شعواء  
عليهم . يدق بقدمه على الأرض ، نعم حرب .. ثم دقة ثانية  
حرب .. ثم ثلاثة ورابعة وخامسة ، حرب حرب حرب ..

أمام المرآة يقف ، وينظر لنفسه مخرجاً لسانه ، حتى  
لسانك نطق بالحرب خمس مرات ! . يبادل خياله في المرآة  
نظرات السخرية والازدراء ، ثم يعود ليشعر بالاختناق من حرارة  
الجو . فيفتح زجاج النافذة ، لكن الضجة تهب عليه آتية من  
أسفل النافذة « طاخ . طاخ . طاز » .. « بم . بم . بم » .

يفلق النافذة ثانية ، يجلس على المقعد المواجه للمرآة ،  
فيلمح خياله يجلس أيضا تخطر على باله فكرة غريبة يقولها  
لنفسه ، وهو يحرك يده أمام وجهه مستجديا نسمة خفية :

هل ينعكس داخل المرآة صوته كما انعكست صورته الآن ؟ !

هل كما يحدث للصورة لخيال يحدث للصوت صدى ،  
داخل المرآة ؟ !

ان العلم لم يفت في ذلك !! . ويهم بالنهوض ليجرب الدخول  
الى الجانب الآخر للمرآة حيث خياله ، عله يعرف الجواب ..  
كلما تقدم هو الى المرآة ، تقدم خياله ليخرج منها .. لن تكون  
معا في نفس الجهة !

يصطدم بالمرآة ، ليفيق ليجد ذهنه يكرر قولة مدرسه في  
الابتدائي « ان المرآة سطح لامع » .

وينظر امامه ليجد خياله يرمقه مدهولا ، ثم ضاحكا في  
سخرية !

يجلس .. ويعود ليرمق خياله ، مازال يتابعه بنظرات  
الازدراء ، متهما اياه بالجنون والتخريف ، فيركن برأسه الى الخلف  
مستندا الى مؤخرة المقعد ، ويقمض عينيه لثوان ، ثم يفتحهما



يبطء رامقا خياله في المرآة بحذر . ولكن .. يا للعجب !! انه ليس هناك !! .. هل تمكن من الخروج فيكون قد فعل ما فشلت فيه أنا ؟ !

يتلفت حوله في الحجرة .. هواء راكد .

يعود ويحلق اكثر في المرآة .. آه .. الحمد لله .. ها هو يعود . ولكن من هذا ؟ ! لست انا ! .. وينظر الى نفسه بالبيجامة ، بينما ذلك الذى بالداخل يرتدى سروالا طويلا من القماش الأبيض الهفاهف . يتحسس ذقنه ، انه حقيق ، اما الآخر فله لحية طويلة بيضاء مهيبة !! يدقق النظر الى وجهه ، نفس ملامح وجهي ، انه انا .. نعم هذا انا . ويتساءل : كيف استطاع الخيال ان يغير من نفسه كل ذلك بهذه السرعة ؟ ! .. ولكن قد يكون في مقدرة الخيال أن يفعل ما لا يستطيعه الانسان ، وعلى كل فهذا نصفى انا .. لو لم أكن أنا لما كان هو .

يجلس يراقب الرجل الآخر باهتمام بالغ وشغف متزايد .

لقد انحنى ليثبت لوحة فوق حامل خشبي ، يحملها ويتجه الى باب الشقة !

ينادى عليه : انتظرني ، أين تذهب ؟

لكن ذا اللحية البيضاء المتشح بالبياض يتجه في اصرار الى الخارج ، وجهته الشارع .

وفي الشارع يتوقف الاولاد عن لعبة الحرب ، ليتجمعوا حول ذلك الرجل المضحك ، الذى يحمل لافتة بيضاء كبيرة عجيبة . ويقول ولد له شعر نافر لزميل له ذى صوت أجش :

- هناك كلمة مكتوبة في ركن اللوحة ، هل تستطيع قراءتها ؟

يعجز زميله عن قراءتها ، ويقدر على تصويب مسدسه الى اللافثة ، مطلقا منه قطعة صغيرة من القلين هي قديفته .. ثم ينفجرون جميعا في هتاف واحد :

- الابله .. الابله ..

يتحرك ذو الرداء الأبيض في بطء حاملا لافنته ، خطت كلمة « السلام » في ركن منها ، وعلى وجهه روحانية الأنبياء .

يتوقف الناس من حوله تاركين اعمالهم ، مؤجلين مجالتهم ، ليكونوا زفة كبيرة من العيون الدهشة ، وموكبا ضخما من الشفاه المزمومة في شيء من الاستخفاف .. وبين أرجلهم أندست بعض الكلاب تشاركهم فرجتهم .

بمين صافية يمضى ناظرا امامه ، الى الأفق البعيد ، بين ضحكة ساخرة ، بين مصمصة شفاه متحسرة ، بين ضربة كفين متعجبة ، بين بسمة متفائلة .. تمضى قدماه .. تسبق القدم اليمنى اليسرى .. فتعود اليسرى لتسبق زميلتها .. والناس من حوله يملون فينصرفون لأعمالهم ، تاركينه لغيرهم يعيدون معه الكرة .

والعقرب النطاط في الساعة يدور دورات كثيرة ، والكبير يسرع في قفزاته ، والصفير اللثيم يدور ويدور .. وذو اللحية البيضاء المسترسلة يمضى بلافتته ، مارا بوجوه بيض مرة ، ووجوه صفراء مرة أخرى . ناظرا الى عيون زرق أو سمر ، ساخرة ، ضاحكة ، باردة ، مجعدة . يقول لنفسه : لا يهم أى

قوم هؤلاء أو أى بلد هذه ، سأطوف العالم كله ، ان رسالتى  
للناس جميعا لبنى الانسان ، احفاد نوح ، حفيد آدم .

والهلال فى السماء يكتمل بدرا ، ليعود من جديد هلالا .

وتمر به سيارة فاخرة ، يطل صاحبها اليه ويقول  
للدين حوله :

- لا تلتفتوا الى هذا الرجل المجنون ، انه المسيح الدجال .

يتأثر البعض بهذه القولة ، والبعض لا يابهون ، ويتابعون  
الرجل .. وعقرب الثوانى يدور فوق زميليه ، ويجبر الكبير على  
ان يقفز قفزة كلما دار هو دورة ، والكبير بالتالى يجبر الصغير  
العريض على الدوران خلفه .

تتغير الوجوه بوجوه سمر ، وتطل أم من شرفة منزلها  
اليه ، تنقل بصرها بين لافتته وبين أطفالها ، ثم تسرع ببسمة أمل  
اليه لتقدم له كوبا من عصير البرتقال ، يقبله شاكرا بينما  
تنهال على اذنيه طرقات ضحكة رجل ذى سيجار كبير اخفى  
دخانه الكثيف وجهه !

ويسقط نظره امامه على رجل نحيف رث الملابس يركز  
عينيه على كوب العصير فيقدمه اليه ، وبسرعة يمد البائس يده  
ويخطف الكوب ويشربه فى لهفة ، دون ان ينطق بكلمة شكر  
واحدة .

وأوراق الأشجار تجف .. ثم تخضر .

وفى بلاد بيوتها عالية ، يلقونه بالبيض فى شارع ..  
ويرحبون به فى شارع آخر .. وتنهال عليه الطماطم الفاسدة

في حى آخر . ويقول مبتسما في جلد : كل نبى مضطهد في قومه ،  
وانا قومى سكان هذه الأرض ، لأنها ارضى والى ترابها اعود ..  
لكن احزنه تلك البقعة التى علقته بلافتته . ويظل بينهم حتى  
يؤمنوا به وبرسالته .

والحب فى الأرض ينبت زرعاً ، لي طرح حبا .

وكثيرون فى كل مكان تركوا اعمالهم وتبعوه ، حاملين لافتات  
مشابهة .. ويظنون سائرين من خلفه ، حتى شعروا بالجوع ،  
وصرخوا فى وجهه :

— جعنا يا معلم !

يبكى بالدموع ثم يلتفت اليهم :

— قد اكون معلمكم ، ولكنى لست المسيح ، المسيح بخمسة  
ارغفة اطعم الألوف ، أما انا فحتى خمسة الأرغفة لا املكها .

ينفضون من حوله ، فيهدف فيهم :

— يا ضعيفى الايمان ، اعودوا الى آياتكم لتطحنكم ..

ويحزن عندما ياتيه الجواب :

— ولكن الآلة تستطيع صنع آلاف الأرغفة فى دقائق قليلة .

يبكى ، كثيرا ، ويظل يحاورهم ويناقشهم ، حتى يراهم  
من خلال دموعه يبكون ويركعون عند قدميه ، قائلين له :  
اخطانا ، اعمتنا الشهوات ، وافسدنا حب التملك . وركع معهم ،  
وطلب منهم أن يصلوا معه الى خالق آدم ، الى خالق نوح .

وتأتى لحظة الوداع .. ثم لحظة العودة .. فيقول الآن

أديت رسالتي ، الآن أعود الى البيت مطمئنا راضيا مستريح  
البال .

عندما يدخل الشارع الذي به منزله ، كانت لافتته قد  
امتلات بكلمة : « السلام » خطت بجميع لغات بنى البشر .

وكان أولاد الحى يلعبون .. أحدهم يقوم بدور طبيب ومعه  
عدة فتيات يقمن بدور المرضات ، وولد كبير يقوم بدور المدرس  
لأقرانه الصغار ، وآخرون أحضروا آلات موسيقية قاموا بعزف  
مقطوعات جميلة ..

يتعجب ذو اللحية البيضاء ، أنهم هم ! ولكن أين ذهبت  
لعبهم القديمة ؟ ينظر جهة سلة المهملات ليحدها مملوءة بلعب  
المسدسات والبنادق . ويتسمم للعبارة التقليدية التى تعلقها  
البلدية على كل سلة مهملات :

« حافظوا على نظافة مدينتكم » .

عندما يلمح الأولاد يسرعون ويحيطون به مهلين ..

ويسأل الولد ذو الشعر النافر زميله ذا الصوت الأجش :

— هل تستطيع قراءة المكتوب على اللوحة ؟

يجيبه على الفور وبلا تردد :

— انها كلمة السلام بجميع لغات العالم .

وأخيرا يدخل منزله ، وقد امتلأ الشارع بالناس ، يحملون

أفصان الزيتون ، رافعين رايات السلام ..

وعندما يدخل ذو اللحية المتشع بالبياض الشقة ، يقع  
نظره أول ما يقع على الكرسي المواجه للمرأة ، فيجد أن الرجل

مازال يجلس هناك وقد أخذته سنة نوم ، وعلى وجهه ملامح الرضا .

يبتسم مسرورا عندما يرى أسفل قدمي الرجل ، الكلب الضخم وقد نام هادئا ويجواره القطة ، وقد ركنت برأسها على ظهر الكلب . يتجه الى جهاز التليفزيون ويشغله فتهادي اليه مع النسمات اللطيفة التي تملأ جو الغرفة أغنية حب هادئة ، يدبر المؤشر الى القناة الأخرى فيجد المذيع يقدم تمثيلية بعنوان : « لغة الزهور » . . وفي القناة الأخرى يجد ندوة يشترك فيها كبار رجال الفقه والعلماء عنوانها : « الأرض دولة واحدة » .

يبتسم في دعة . . ثم يفلق الجهاز ، وهو يقول لنفسه : الآن اطمانت نفسى ويمكننى العودة الى حيث كنت .

يقدم ثابتة يتجه ذو اللحية البيضاء المتشبح في بياض هفهاف الى المرأة . . حيث يخترق حاجزها اللامع . . داخلا الى الوجه الآخر . . ثم يلتفت الى الخلف ، الى الرجل النائم على الكرسي المواجه للمرأة ، وابتسم في طيبة سائلا نفسه :

— متى يستيقظ ؟ ! متى يستيقظ ؟ !

ويستيقظ الرجل فزعا على صوت ضجة كبيرة آتية من المطبخ . وبنصت ، انه كلبه وانها قطته . ينظر أسفل قدميه ، انهما ليسا هنا ! . ينظر الى المرأة فيجد خياله .

يجرى جهة المرأة مقتربا منها ، فيقترب منه خياله . . يحرك رأسه يمينا ويسارا ، فيفعل مثله خياله . . فيهز رأسه في حيرة ، ويدمك جبهته في دهشة . . لكن صوت عراك قطته

مع كلبه يزعبه ، فينتجه الى المطبخ ليجد انهما عادا للشجار مرة ثانية ، وقد استولى الكلب على قطعة العظم من امام القطعة ..  
يضربهما ..

ويعود مسرعا الى المرآة ، ينظر داخلها . يقترب اكثر واكثر ، حتى يكاد وجهه يلامس سطحها ، فترسم انفاسه سحابة بيضاء من بخار الماء على وجه المرآة ، ويجد يده ترتفع ليخط بأصبع خلال السحابة البيضاء كلمة : « السلام » .. لكن حرارة الجو في الغرفة تسرع بازالة هذا الندى .

يقول لنفسه ، رغم هذا لن اياس ، ساكون انسانا عمليا ، ساكتب عدة مقالات وارسلها الى جميع وسائل الاعلام في كل بلاد الدنيا .

وفعلا .. يتجه الى مكتبه ، ويخرج ورقة بيضاء كبيرة ، ويمسك بقلمه ، ويبدأ في قدح زناد فكره ، ليختار الكلمات المناسبة لمقاله .

تقع عيناه على عده دوسيهات كان قد احضرها من مقر عمله ليتم عملا ناقصا مطلوبيا منه في اليوم التالي ، فتمتد يده الى اول دوسيه ويقول في نفسه : سأنهى من هذه الدوسيهات أولا ، ثم أشرع في كتابة مقالى .

عند منتصف الليل ينتهى من الدوسيهات ، ويجد نفسه مجهدا فيقول : لا بأس من تأجيل كتابة المقال الليلة ، ولكن غدا بكل تأكيد سأقوم بذلك .

في طريقه الى سريره تمتد يده لتطفئ النور ، فيعم الحجره ظلام داس .. الا من ضوء خافت لنجم في السماء ..

## الرصيد

صوت أمي يهز أذني ! « يا ولدي البرد  
قارس ، والسهر مؤذ » . انتظر الأوتوبيس .  
نسمة باردة تفتح وجهي . لا أرى أحدا في  
الطريق . أتكمش في نفسي . المنزل الذي  
أقف تحته تصدر عنه ضحكات عابثة  
متداخلة . أصدقائي الآن اكتمل شملهم ،  
قابلتهم صباح اليوم في البنك ، ذهبوا مثلي  
ليسحبوا مبلغا من المال ، رغم الزحام  
الشديد في البنك فانهم تحدثوا معي .

كنت نويت قضاء هذه الليلة نائما . أخبرت أصحابي بأنني  
لن أغادر المنزل ، إلا أنني وجدت نفسي - والساعة تجاوزت  
الحادية عشرة - أرتدى ملابسى وأهبط الى الشارع .



اشمل سيجارة . الأوتوبيس يقترب . البقى بالسيجارة ،  
اقترب من طرف الرصيف ، الأوتوبيس يمرق من أمامى ، الهواء  
البارد يضرب وجهى بعنف ، لحظة واحدة لو وقفها لركبت ..  
رغم الزحام الشديد فى البنك فانهم تحدثوا معى ، قالوا لى :

— تعال الليلة ، سنسهر معا ، نلعب ونشرب ، البرد يحب  
الشراب ، والشراب يجلب الفرفشة ، كل سنة وانت طيب ! .

اشير للأوتوبيس التالى ، يقف .. يسارع السائق بالمسير  
قبل انقضاء اللحظة ، اكاد انكفىء على وجهى ، انظر للسائق  
فى حتاب .. يقول لى :

.. لا تزعل يا استاذ ، كل سنة وانت طيب ، تماسك ..  
عيناه تتركان الطريق امامه ، تتفحصنى من شعر راسى الى  
رباط حذائى .. اصدقائى الآن يشربون ، قلت لهم :

— لا تنتظرونى ، لن اخرج الليلة .

قالوا لى :

— المجنون فقط لا يرضخ لراى المجموع ، انت كالشريك  
المخالف ، لماذا اذن تسحب هذه النقود من البنك ؟ .

يلفظنى الأوتوبيس فى شارع ٢٦ يوليو ، يعود السائق  
ليهتف :

— تماسك يا استاذ ، كل سنة وانت طيب .

لا أحب الزحام ..

— ولكن هذه ليست ككل ليلة .

هكذا حاولوا اقناعى :

— المغفل فقط يمضى هذه الليلة فى السرير !!

السائق قال لى :

— كل سنة وانت طيب .

لكنه اضاف :

— تماسك يا استاذ .

لن اتوجه لأصدقائى ، نويت ان اهيى منفردا ، وأن اتزك  
خط السير تحدده قدمائى .. اتحسس النقود فى جيبى ، كنت  
متلهفا الى معرفة : كم تبقى لى من رصيد فى البنك ؟ . كل  
عام اسحب مبلغا ، ولم اودع غيره مطلقا ، لم يكن بإمكانى ذلك !!

— مجموعة من الفتيان يسرون خلفى ، يهللون بأعلى  
صوتهم :

— العبيط ، العبيط ..

حتى اصابعهم تشير نحوى ، ان كانوا عشرة فهناك عتر  
اصابع تشير الى ظهرى . لن أعيرهم التفاتا ، ان شعروا انى  
مفتاظ فسيزيدون من صراخهم ، لن يتركونى .. تصدق  
فراستى ، يتعبون ، ينصرفون .. ألكأ امام واجهة محل مضاء  
أتلقت اليهم من جانب عينى متظاهرا بمراقبة الواجهة ، هم  
تلاميذ ولا ريب ، خائبون ، كل منهم يطالب والده بمصروف  
الصباح ، عددهم أحد عشر تلميذا ، اذن فقد كانت احدى عشرة  
أصبعاً تخترقنى من الخلف ، لا بل اثنتا عشرة ، فهذا القصير  
له أصبع يشير به ، وله لسان يخرج به أيضا !

انظر أمامى ، الواجبة مليئة بالأحذية ، من جميع الأصناف .  
رجالى وحرىمى وأولاد .. ويفط كثيرة : « أسعار فى متناول  
الجميع .. سعر موحد لآى زوج » .. وقطن أبيض على الزجاج  
يقول :

– كل سنة وأنت طيب ..

مدير البنك قال لى :

– محال أن أخبرك كم بقى من رصيدك ، الزحام شديد ،  
أستطيع أن أخبرك عن الأموال التى سحبتها فقط ، كل سنة  
وأنت طيب .

فى الزحام لا ينجو الانسان من صدمات الآخرين به . نويت  
أن أسير محاذرا ، سأعمل حسابا لذلك القادم على يسارى  
يترنج . ان ادعه يصدم يى ، فعلا أقلت ، ولكن ليصدمنى  
القادم عن يمينى ، وليقول لى :

– كل سنة وأنت طيب ..

الصدمة تؤلمنى ، وهو قد سار وابتعد عنى ، كنت أنوى  
أن أرد عليه بعدة كلمات .. فى الصباح قلت لمدير البنك :

– بحسبة بسيطة ، وبدون معونتك يا سيادة المدير ،  
أستطيع أن أحسب المبالغ التى سحبتها .. المهم كم تبقى ؟

أصدقائى الآن فى عز سهرتهم ، قلت لهم :

– أبى يشرب لينسى مضايقات أمى له ، لماذا تشربون  
أنتم ؟ ! .

– لأننا نريد أن نمرح ..

– ولكن الخمر ستسكركم ، وستنسبون انكم تمرحون ..  
والذى ينسى مضايقات أمى بالخمر ..

صرخوا فى :

– لكنها ليلة فى العام ، ليلة واحدة !

وتركونى وهم يقولون :

– شاور نفسك ، وكل سنة وانت طيب .

اجبت مدير البنك :

– المهم .. كم تبقى ؟ ! كم ؟ .

حتما هذا لا ينوى بى خيرا ، يضع على راسه طرطورا ،  
يريد أن يضعه على رأسى ، سأرفض بكل شدة ، سأجرى  
مبتعدا ان لزم الأمر .. الفم الذى تحت الطرطور يتحرك :

– الشارع ملء بالناس ، والنواصى ملغمة برجال  
الشرطة ، وان جريت سنجرى خلفك صارخين : امسك حرامى ،  
امسك حرامى .

يهددنى !

لحظة الخطر تحدث المفاضلة : ان اكون طرطورا خير من ان  
اكون حراميا .

أحدهم يهمس فى أذنى :

– ستحتاج الى جهد ووقت وعلبة سجائر ، كي تثبت  
لرجال الشرطة الذين يقفون على النواصي انك لست لصا .

لحظة الخطر يفكر العقل بسرعة : فرق كبير ان اكون انا  
نفسى طرطورا ، وبين ان يوضع فوق راسى طرطور للحظة  
عابرة .. أسلمه راسى اذن . الفم الذى تحت الطرطور يقول :

– يشترط ان يكون شعرك نظيفا حتى اقلدك اياه .

يفحص شعرى ، يهتف محببا وهو يضع الطرطور على  
راسى :

– أبشر .. أبشر .

الشارع كله يقفز راقصا :

كل سنة وانت طيب ..

الصواريخ تنطلق ، اصوات من المنازل تهلل فى صخب :

– كل سنة وانت طيب ..

الجميع يرددون :

– كل سنة وانت طيب ، كل سنة وانت طيب .

الثغرات المضيئة فى المنازل تطفأ ، بعد لحظات ستضاء ،  
الآن صديقى سعد يقبل زوجته ، صديقى أنور يقبل عشيقته ،  
امى ترقد وحيدة فى المنزل .. ومن الآن وحتى تضاء الأنوار  
مرة أخرى سأضع يدي على محفظتى ، امى تحذرني دائما من  
الزحام والنشالين ، ومن الظلام والعمارة ، العمارة صاحبة  
الأقدام المسلوخة .

ولم يكن لبس الطرطور هو السبب ، كانت الساعة الثانية  
عشرة تماما ، والجميع ينصافحون ، تنتقل اليد من يد لأخرى  
صارخة :

– كل سنة وأنت طيب ..

.. الأنوار تضاء .. أصدقائي الآن يصافح أحدهم الآخر ..

بجوار الحائط توجد لمة من عدة أشخاص ، لابد أن أعرف  
السبب ، أحدهم يمسك براديو ترانزستور ، المدياع يقول :

– وقد اتفق الطرفان المتحاربان على هدنة مدتها أربعة  
وعشرون ساعة بمناسبة العام الجديد .

أحدهم يسكت المدياع . لابد أن أعرف السبب . يضحكون .  
اندرس بينهم . يضحكون . بجانب الحائط انسان يتقياً ..  
مدير البنك قال لي :

– لا أضمن ان كان رصيدك كبيرا أو صغيرا من المؤكد انه  
يتناقص عاما بعد عام !

الشخص الذى يتقياً أصحابه يكملون ضحكاتهم .. المدير  
أكمل كلامه همسا :

– مادام ليس باستطاعتك أن تضيف اليه شيئا !

الأصوات من حولي تقول للذى يتقياً :

– بدأ عامه سعيدا حقا !

يضحكون :

- أفرغ كل ما في جوفه ..
- ... بإمكانك الآن شرب المزيد !  
يضحكون :
- أكل في العام الماضي ..
- ... وتقياً في العام الحالي ..
- يفرقون في الضحك .. أقول لنفسي :
- ما داموا يضحكون جميعاً فلا بد أن الأمر مضحك فعلاً .
- قلت لأصدقائي في الصباح :
- لا أفهم معنى لمرحكم ؟ !
- في البنك قيل لى قبيل انصرافي :
- سيأتي يوم ينفد فيه كل رصيدك ، وتبحث عن بنك  
آخر غيرنا ..
- يقولون للذى يتقياً :
- ولا يهمك ، كل سنة وأنت طيب ..
- يضحكون .... وأنا أضحك .

## بلا حكمة

عرف الجميع تفاصيل الحادث ، ومع ذلك لم ينصرفوا ، ظلوا واقوفا حول الجثة ، ينظرون اليها ، رغم الدماء المحيطة بها ، رغم التشويه الذي حدث بالجمجمة ، رغم محاولة رجال الشرطة لابسادهم .. وان انصرف احدهم وقف مكانه عشرة ..

في ميدان العتبة وقع الحادث ، فتجمع حوله هذا الجمع الكبير من الناس ، رجال كبار وشباب ، واولاد صغار ونساء ، من الصعيد او من الدلتا او من القاهرة ، بل وحتى بعض السائحين .

والجميع عرفوا التفاصيل كلها ، رجل مات بطريقة ما ، وبكيفية غير مقصودة ،



وفى حادث لم يدبره انسان ، وتحت تأثير  
ظروف لا دخل لبني آدم فيها ..

والجمع يجنب المارة ، فيدفعهم  
القُصصول الى معرفة ما الخير ؟ ما سر  
الزحام ؟

يسأل رجل معمم عن الحكاية ويعرفها ، فيضرب كفا  
بكف وهو يقول :

- لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ثم يهز راسه يؤكد حقيقة لنفسه :

- صحيح الأعمار بيد الله .

يشرح أفندي مخترم من الواقفين - توحى الشعيرات البيض  
في رأسه بالوقتار والهيئة - يشرح الأمر لسائله ، ولما بزى  
الحزن مرتسما على وجهه ، يقول له مهونا الأمر :

- نصيب !

وكانما وجد فى هذه الكلمة التفسير المطلوب والعزاء ،  
فقد خف الحزن المرتسم على وجهه ، وقال مؤمنا :

- حقا .. قدر أعمى .

أما الشيخ الذى عرف بالحادث على عجل ، أخذ يهز  
رأسه وهو يستمع الى باقى التفاصيل ، وينصرف والدماء قد  
فرت من وجهه :

- انا لله واتا اليه راجعون .

ثم يقول لنفسه وقد بعد ، مجيبا على عدد من الأسئلة التي  
هاجمته ، والتي لم يجد لها جوابا :

— قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .

ومن تحت القفة ، أراد الرجل الصعيدي أن يسأل عن  
الترام الذهاب الى ميدان السيدة ، ومن خلفه زوجته وهي  
تخفى الجزء الأكبر من وجهها عن فضول الرجال ، مما ركوا  
الأنظار على عينيها وعلى الكحل الذي في الرموش ، يعرف رقم  
الترام ، ومكان محطته ، ثم تسأله زوجته عن سبب هذه اللمة ،  
فينقل بدوره السؤال الى مجيبه السابق ، ويعود لينقل الاجابة  
الى زوجته ، رغم تأكده من أنها سمعتها معه ، ويرى أن من واجبه  
أن يعلق على الحادث فيقول :

— المقدر على الجبين لازم تشوفه العين .

وترجح زوجته أن للمأسوف على شبابه اولادا أو زوجة  
اناسا يعولهم ، وأنهم الآن في انتظاره . ويشد انتباهها تلك  
الريفية التي كانت سائرة في الجانب الآخر ، وخطخال فضي يلمع  
في قدميها . لكنها تعود الى الحادث ثانية ، وتنظر الى اليد  
اليسرى للرجل الميت : « الدبلة » في أصبعه .. متزوج اذن !

تهتز المرأة ، وتعلق على ذلك بمضمصة خزينة من شفيتها !

تعرف السيدة الأنيقة بالحادث ، ويقول محدثها معلقا :

— لو انحرف مترا واحدا عن خط سيره ، لكان الآن  
حيا يرزق .

تقيس السيدة الأنيقة مسافة المتر بنظرها ، وتدرك ان هذا  
الكلام صحيح ، فلا تجد ما تنطق به الا كلمة واحدة :

## — حفظ !

المصور الصحفي ينهمك في تصوير الحادث ، وتشغله الصور عن السؤال أو عن التعليق ، وان كان ضايقه اقتراب الناس من ول القتل حتى يظهروا في الصور التى يلتقطها .

ولا يقدر الأفندى السائر متعجلا على مقاومة فضوله ، فيعرج عن طريقه ، ويشق لنفسه طريقا وسط الزحام ، حتى يصل الى حيث الجثة على الأرض ، ويصدمه ما يرى ، انه يعرف القتل ، يجلس معه على المقهى احيانا ، لا اله الا الله .. والضابط يسأل ان كان أحد الناس يعرف « المرحوم » .. ويهم بان يدلى بما عنده ، غير انه يتذكر انه على موعد هام بعد دقائق . والتحقيق سيؤخره ، فيسكت .. لكنه يتساءل في عقله « لكن أولاده يحتاجون اليه والى خنانه ، عيال صغار بلا سند » . يهتز انفعالا ، ويقول عاجزا عن تفسير ما يرى :

## — حكمة ربنا !

كان القس يريد ان يشتري بعض الهدايا الرخيصة يعود بها الى قريته ، حيث اولاده وكنيسته فى انتظاره ، يرى الميت ، فيمسك لحيته فى اسى :

— صحيح ، كما جاء فى الكتاب ، من التراب والى التراب نعود .

- ويسمعه الرجل الواقف بجواره ، فيؤكد على كلامه .. ويجدها القس فرصته ليوضح رايه اكثر فيكمل :
- حياة الانسان بخار ماء يكبر ثم يضمحل .
- تمام ، حزنى على من ينتظره من احبائه .

يقطب القسيس وينصرف مترحما ، وفي ذهنه اولاده  
وكنيستته .

اما ابن البلد فقد كان يقص نادرته ربما للمرة المائة :  
- يا سلام يا جدعان ، كنت سائرا وراءه بيني وبينه  
مسافة لا تزيد عن المتر .

وتحمر كفاه من كثرة صفق أحدهما بالأخرى ، ويقول له  
السامعون :

- قدر ا

- كون ، ومنظمه سيدك ..

عندما لا يجيب أحد الضابط ، يمد يده في جيوب القليل  
يبحث عن بطاقته فيجدها ، ومن لونها يعرف الجميع أنها  
بطاقة عائلية ، تلوا البصمات من الدائرة الأدمية ، ويبدو الكثر  
على وجه الضابط وهو يقلب صفحات البطاقة .

له زوجة شابة ، وولده الأول اسمه عادل ، والثاني  
عباس ، والثالثة عواطف ، والرابع عزيز .. وبعد ذلك أوراقي  
بيضاء لا أسماء فيها ..

تهتف المرأة :

- مسكينة زوجته ، شابة ترملت صغيرة !!

يهتف الأفندي الذي يعرفه :

- وأولاده ، من يعولهم ومن يعوضهم حنانه ؟ !

ثم يصرخ قائلا :

- يا الهى ، لماذا هو بالذات ؟ .

يهزه جاره :

- يا أستاذ اتق الله ، حكمته يا ابنى حكمته .

- ألم يكن من الأفضل ان يموت بدلا منه انسان عاطل  
أو شرير ، أو حتى مريض يعذبه المرض !

وينصرف على عجل الى موعدة ..

شابان احدهما شغوف الى معرفة سر هذه اللمة ، والآخر  
لا يريد ان يعرف ، فيقف مكانه فى انتظار صاحبه ، الذى  
يعود حزينا يقص الخبر متأثرا ، فيقول له صاحبه :

- واحد مات ، ماذا فى ذلك ؟ وكل يوم يموت آلاف الناس؟!!

- انت لا قلب لك ..

- كيف ذلك ؟ ! ولماذا لا تحزن على المئات الذين يموتون

كل يوم فى الحروب والمجاعات ؟ !

يسكت صاحبه ، فينهال عليه :

- تكلم . قل لى لماذا يموتون ، وما ذنبهم ؟

سيدة قوية الملاحظة سمعت أسماء الأولاد ، عادل وعباس  
وعواطف وعزيز ، تقول لجارها مشيرة الى الميت :

- يبدو أنه مغرم بحرف العين ، كل اولاده تبدأ أسماءهم

بحرف العين .

يرد جارها الظريف مجاريا اياها فى قوة الملاحظة :

- ومات فى ميدان يبدأ اسمه بحرف العين أيضا ، العتبة .

يكاد أن يتسّم ، وتكاد أن تتسّم ، ولكنهما يخجلان ،  
ويرسمان على وجهيهما حزنا واضحا .

يفطى الناس الرجل بأوراق الصحف ، ويقول أحدهم  
في ألم :

— غدا يصبح حديث الصحف .

تأتى سيارة الاسعاف ، يفسح الناس لها الطريق ، رجال  
الاسعاف لا يبدو عليهم أى تأثر ، هذه مهنتهم ، نقل الموتى ..  
ينقلونه ويضعونه فى السيارة ، وتسير وهى تدق أجراسها ..  
دقات رنانة ولحوحة ..

المحقق يظل يسأل ، ويسأل ، ويدون ملاحظاته ، ويشمشم  
هنا وهناك ، ويملا الكثير من الورق الأبيض بالأسئلة والأجوبة ،  
وينتهى حيث كان فكر فى البداية ، فينتهى الصفحات البيضاء  
التي سودها الحبر :

« الحادث قضاء وقدر » .

يخو الميدان ، الا من الحركة العادية ..

بعد ساعة يمر عدد من الناس ، لا يلتفت نظرهم منظر الدم  
على الأرض .. ويمر غيرهم وبرونه ولكن منظره لا يؤثر فيهم ..  
والذى لاحظته وسأل زميله :

— ترى ما سبب هذه الدماء ؟ دماء من هذه ؟

— أكيد .. دماء دجاجة ذبحت ..

## أشجار الدخان . . و « ماتسودا » المجنون

---

- الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .
- الصمت الوحشي ، الحافل بالأسرار .
- شبت في كل الأشياء النار .
- وامتد عمودا من رعب ودخان . .
- امتد ذراع الصاعقة الجبار .

ويقولون عنى أنى مجنون !!

ويقول أهل القرية : « ماتسودا ، أنت فلاح يابانى عبيط » .

ويهمس خطيب ابنتى لها : « أئر طول العمر على عقل الأب  
ماتسودا ! »

نظرت خلفى . .

فإذا شجرة من الدخان الأبيض الكثيف ترتفع الى السماء ،  
عمودا من الرعب ، ذراع صاعقة جبار .. خلت السماء من الهواء  
المتحرك ، بدأ الدخان الأبيض يخضب بلون اللهب الأحمر ،  
بلدى العزيز يحترق ، فى غمضة عين يحترق ! . حملت ابنتى  
وأردت العودة . منعونى .. لكن : زوجى وأمى وطفلى الرضيع  
هناك ! . ولكنهم أصروا على منى من العودة .. ارتفعت شجرة  
الدخان .. وهربت الطائرة الحديدية !!

وعام ١٩٤٥ استوطنت هذه القرية - نفس عام شجرة  
الدخان الخانق - عاملنى الفلاحون بعطف ، احترموا صمتى .  
هاملوا ابنتى برقة . دفنت أحزانى فى الفلاحة . أصبحت فلاحا  
أكثر من أهل القرية الأصليين . أصبحت ماتسودا الفلاح ،  
المعجوز ماتسودا .

ابنتى الخبيبة الوحيدة تكبر بسرعة ، كزهرة جميلة ، رقيقة  
كنسمة الربيع ، أدركت ذلك عندما بدأ شبان القرية يتهافتون  
عليها . جلست الساعات الطويلة أمألمها . ملأت على الكوخ  
سعادة وهناء .

### \* الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .

- أبى ، هل ستذهب غدا الى هيروشيما ؟
- نعم يا بنيتى ، فهذا موعد زيارتى الأسبوعية .
- تزور أقاربنا هناك ؟
- أقاربنا وأصدقاءنا .
- لماذا يزوروننا ؟



- ليس بإمكانهم ذلك يا زهرتى الجميلة .
- أذن خذنى معك أزهرهم .
- يوما ما ستأتين معى .
- قلت لخطيب ابنتى :
- اخترتك خطيبا لوحدتى لأنك تقرا الصحف .
- قال بأدبه المحبب :
- سأحضر كل مساء أقرأ لك الجريدة .
- فى المساء الأول قرأ لى العنوان الرئيسى : « الطائرات الأمريكية تضرب هانوى بالقنابل » .
- صعقت . شجرة الدخان مرة أخرى !!
- فى المساء الثانى قرأ لى : « الطائرات الأمريكية تلقى قنابل النابالم الحارقة على مدن فيتنام الشمالية » .
- فى المساء الثالث خطفت منه الجريدة ، لأرى صورة طفل فيتنامى فقد عينه اليسرى ، وشوهت الحروق نصف جسده الأيسر ، وأمه المسكينة تحتضنه فى لوعة . كان النظر ليس غريبا على !
- فى المساء الرابع قلت لخطيب ابنتى :
- هل تعرف أن جسم الانسان عندما يحترق يتصاعد منه دخان ؟؟
- دهش لكنه أجاب :

– نعم ... قليلا ..

– فلو أحرقنا ربع مليون انسان ، تكونت منهم شجرة دخان هائلة ؟ !!

نظر لى بعدم فهم .

وفي المساء الخامس قرأ لى : « نبا زيارة غواصة ذرية أمريكية لموانى اليابان » .

✽ الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .

✽ الصمت الوحشى ، الحافل بالأسرار .

في المساء قبل أن انام قضيت وقتا أصلى ، وقتا قصيرا ،  
الالهة لا تطلب صلوات طويلة . الانسان يتطلب جهدا كبيرا حتى  
يفهم ، يلزمه وقتا طويلا حتى يعقل . النيران على الأرض هي  
الجدور ، الدخان المتصاعد الى السماء هو الساق ، يرداد الدخان  
تظهر الشجرة ، الشجرة الخائقة .

في اليوم التالى قلت لخطيب ابنتى :

– عام ١٩٤٥ جاءت طائرة حديدية ، أحرقت مدينتى  
الحبيبة : هيروشىما المزيوة ، أحرقت ولدى وزوجى وأمى  
وأصدقائى ، منهم جميعا تكونت شجرة الدخان ، لو كنت أنا فى  
المدينة لحظتها لكنك احدى أوراقها .

شجرة الدخان الجديدة فى فيتنام بدأت جذورها تنمو ،  
ان لم نطفىء النيران هناك سريعا فستظهر الشجرة ، فجأة  
نراها ، ونحن لاهون عنها داخل بيوتنا .

قلت لابنتى :

— غدا كعادتى الأسبوعية ، سأتوجه الى هيروشيما ،  
وستأتين معى .

فرحت الزهرة الجميلة . قلت لخطيبها :

— وانت أيضا ستأتى معى .

قبل يدى امتنانا . قلت له :

— لأن العالم صغير ، يجب أن نبذل جهدنا لاطفاء جذور  
شجرة الدخان الجديدة !!

نظر الوالد الى مصعوقا ، تبادل النظرات مع ابنتى ، ماذا  
جرى للأب ماتسودا ؟ ! يبدو أنه كبير فى العمر ؟ ! يقول كلاما  
غير مفهوم !!

✳ شبت فى كل الأشياء النار .

بهرت الزهرة الجميلة وهتفت :

— هيروشيما كم هى رائعة وجميلة يا أبى !!

قلت :

— منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وحتى عام ١٩٤٥ كانت  
هناك هيروشيما أخرى غير هذه ، فيها ولدت .

انشغلت عنى بهيروشيما الجديدة وبخطيبها . قلت :

— ألا تريدان زيارة أقاربك ؟

— حالا الآن .

✽ وشبت في كل الأشياء النار .

✽ وامتد عمود من رعب ودخان ..

.. امتد ذراع الساعة الجبار ..

دهشت الزهرة الجميلة ، وقالت محتجة :

— قلت سنور أقاربنا يا ابني ، فأذا بك محضرا الى  
هذا المكان !

— هذا هو النصب التذكارى لربع مليون يابانى قتلوا في  
٦ أغسطس ١٩٤٥ .

— واين أقاربنا ؟ !

— اخوك الرضيع وأمك وجدتك ، ثلاثة أشخاص من الربع  
مليون انسان !

اهتزت المسكينة ، استندت على ذراع خطيبها . قلت له :

— اقرأ يا ولدى المكتوب على هذا النصب .

قرا : « استريحوا في سلام قلن نسمح بتكرار هذه الغلطة  
مرة أخرى » .

قلت لهما :

— من هذا المكان صعدت شجرة الدخان الخائق الى اعلى ،  
الى السماء . حاملة ارواح ربع مليون انسان ..

عادة ينظران الى بعضهما البعض مرة اخرى طلبت من ابنتي  
ان تكرر ما قرأه خطيبها ، فقالت :

« استريحوا في سلام ، فلن نسمح بتكرار هذه الفلطة  
مرة اخرى » .

— علينا الا نسمح بتكرار هذه الفلطة مرة اخرى .

ويقولون عني اني مجنون ، عجوز مخرف ..

قلت لزهري الجميلة وخطيبها :

— لقد دبرت الأمر منذ اسابيع حتى يصلهم صوتي .

لم يفهما شيئاً اخذتهما الى مكتب جريدة امريكية ، طلعت  
انها واسعة الانتشار في بلدها . قلت لمدوبها :

— اريد ان انشر اعلانا في جريدتكم وبلغتكم .

تساءل المدوب :

— قريب لك فقد في امريكا ؟؟

— الأمر أخطر من ذلك ، سامليك الاعلان وانت تترجمه  
الى الانجليزية .

أخذت أمليه : « انا فلاح ياباني ، أحب الأرض والانسان  
والطيور ، أحب على الأخص الحمام وأكره العقارب ، وأكره في  
الناس من يصيد الحمام ... »

قاطعتني ابنتي :

— ولكن يا أبى ، من أين لك بأجر هذا الاعلان ؟ !

– من مال زفافك يا زهرتى الجميلة .

صرخ الخطيب :

– لكن ذلك سيؤجل زفافنا !!

– استطيع ان اقتصد غيره في ثلاث سنوات .

كان الاتهام هذه المرة واضحا ، نظرات الشاب قالت لى :  
« ماتسودا عجوز يابانى مخرف » .

قلت له :

– هناك فى نهاية هذا الشارع مسنشفى كبير ، تحفة فى  
الجمال المعمارى ، لكن فى داخله ذكرى قاسية ، قسوة قلوب  
زارعى اشجار الدخان ، هياكل بشرية ، عشرات المشوهين ،  
من لم يحترق ليوضع فى النصب ، يعيش هناك .. ينتظر الموت .  
فقط ينتظر الموت ، فقط ينتظر الموت ..

اكملت رسالتى وختمتها : « .... فلنكره معا زارعى  
اشجار الدخان ولنطردهم من على الأرض » .

ثم طلبت من مندوب الجريدة ان يضع لها عنوانا :  
« رسالة شخصية من مورهبو ماتسودا » مواطن من اليابان .

احتج الولد :

– الرسالة طويلة وستأخذ مالا كثيرا !!

صرخت فى وجهه :

– كم ؟ ألف ين ! مائة ألف ين ؟ ربع مليون ين ؟ . مات  
أكثر من ربع مليون انسان !!

ويقولون عنى انى مجنون !!

عدت الى القرية ..

ليقول اهلها : « ماتسودا فلاح يابانى عبيط » !!

ويهمس خطيب ابنتى : « اثر طول العمر على عقل الأب

ماتسودا » .

لم يدركوا بعد ما يقوله كهنة بوذا الأخيار : « ان حياتنا

الماضية تؤثر فى حياتنا الحاضرة » .

● الصوت يدوى ، تنفجر الأحجار .

● الصمت الوحشى ، الحافل بالأسرار .

● شبت فى كل الأشياء النار .

● وامتد عمود من رعب ودخان ..

.. امتد ذراع الصاعقة الجبار .

ثم ماذا حدث ؟ ! بنى النصب الصغير ، وكتبت الكلمات

القليلة !! ويقولون عنى « انى ماتسودا المجنون » .

## المكان والزمان

يطن السؤال في رأسها :

« ماذا كنت تريد من عمله ؟ ماذا كنت تريد من قوله ؟  
ماذا ؟ ماذا ؟ » .

واقفة وسط الفصل ، ناقرة بقلم على ذقنها ، تحاول أن  
تتذكر ، إن تطرد الركود عن ذهنها .

تتعب من طول الوقفة ؛ تجلس على المقعد في مواجهة  
التلميذات الصغيرات ، ترمقهن في عطف وحنان ، تقطط صغيرات  
لطيفات ، منهكات على كراريسهن ، تهرش تلميذة في شعرها  
مفكرة ، مسألة جمع . تعض أخرى في قلمها سارحة ، مسألة  
طرح . تضيق ثالثة من عينيها في محاولة للتذكر ، مسألة  
ضرب . تعصر رابعة ذاكرتها ، مسألة قسمة .. كل واحدة منهن  
لا تدرى لماذا تفعل ذلك .. والمدرسة تحاول أن تتذكر .



يفرقع أصبع من ركن الفصل ، يتبعه مواء للديد :

— استاذة ، انهيت الاجابة يا استاذة .

بخطوات مترددة تقترب قطعة صغيرة ، مادة يدها  
بكراستها ، مركزة عينيها في عيني مدرستها ، في وجل وخوف  
نزيله ابتسامة مشجعة .

تمسك يد المدرسة بالقلم الأحمر ، تبدأ تصصح الاجابة ،  
توتر اعصاب التلميذة في ترقب ، اللون الأحمر يخط في الكراس ،  
يتوقف بعد برهة ، الحروف تتراقص في عيني المدرسة ،  
الكلمات تتداخل في ذهنها ، خدر ثقيل يتسلل الى ذهنها ،  
جفناها يتشاقلان ..

المواء اللديد يعود ليعلو في اذنيها ، تسأل التلميذة قلقة :

— اجابة صحيحة يا استاذة ؟

تبتسم الأستاذة :

— نعم الاجابة صحيحة .

يجرى القلم فوق الورق شاهدا على ذلك . تبتسم الطفلة  
في فخر ، تعود الى مكانها ناظرة لزميلاتها في تيه .

السؤال يعود ليطن في رأس المدرسة ، تجاهد أن تتذكر .  
يخط القلم فوق « كراس تحضير الدروس » . يرسم دوائر  
كثيرة متداخلة .

ينشط ذهنها قليلا ..

المكان : نفس هذا الفصل .

الزمان : صباح اليوم السابق .

وقفت تلميذتها « نبيلة » بجانبها ، وكراستها في يدها  
لتصحح اجابتها ..

ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

الذهن مكدود ، الذاكرة مشتتة .

تطرقع اصابع التلميذات ، تدق رأسها طرقات عنيفة ،

يعلو مواء التلميذات ، تهتز طبلتا اذنيها في صخب :

— اتممت الاجابة يا استاذة .

— انا قبلها يا استاذة .

— شوفى يا استاذة .

— يا استاذة ، سهرى خطفت منى القلم ..

تهز المدرسة رأسها في عنف . لا تكف الأبواق عن ازعاجها .  
أعصابها مرهقة . أفواه البراعم الصغيرة لا تصمت ، مكبرات  
صوت ركزت على أذنيها .

تحامل على نفسها ، تمسك بكراسة تحضير الدروس  
الكبيرة ، تتجه الى السبورة ، تكتب مسائل جديدة ، تطلب من  
البنات أن يحلنها ، تعود مرهقة لتجلس ، يئن المقعد تحت ثقل  
جسدها ، تحاول أن تفرد أطراف الكراسية المثبتة ..

سكنت الضجة .. الهدوء يسود الفصل .. ذهنها يحفظ  
شيئا فشيئا ..

الزمان : اليوم السابق .

المكان : الطريق الى منزلها .

أحاطت بها بعض تلميذاتها . حبا أو تملقا . طمعا في  
إبتسامة منها ، أو طلبا لصفة « ممتازة » تكتنحها لهن في  
كراساتهن . سارت بينهن ، يدها اليمنى مشغولة بحقيبتها ،  
يدها اليسرى مشغولة بكراساتها ، فكرها مشغول بطفلها المريض  
في المنزل . أرادت أن تسرع من خطاها ، ثقل جسمها لم  
يساعدها . وصلت متعبة ، وقفت أمام باب شقتها لاهثة ، مدت  
يدها تضغط على جرس الشقة ، لعل رنينه داخل الشقة ..  
لعل ..

يلعل في الفصل مواء لحوح يجلب المدرسة من افكارها .  
يعود بها الى فصلها ..

تلميذة صغيرة تقف عند السبورة ، أصبعها يشير الى رقم  
مكتوب ، تسأل :

— ستة هذه يا استاذة أم واحد ؟

— واحد .

يعود السكون الى الفصل مرة أخرى .. ينشط فكرها  
ثانية .

الزمان : اليوم السابق .

المكان : باب شقتها .

فتحت أمها الباب ، سألتها :

— كيف حاله ؟

- نام .

- هل بكى كثيرا ؟

- بكى اليوم كله : أخيرا تعب ونام .

القت بكراستها وحقيبتها . هربت الى حجرة النوم .  
لا تريد أن توقظه ، وضعت حنائها وحبها في كفها ، تحسست  
حرارة جبهته ، مرتفعة .. احتضنته ، ظلت بجواره باقى  
النهار ، ظلت متيقظة الى جواره الليل كله .. لم يغمض لها  
جفن ، سهرت على رعايته ، أحاطته بجسدها ، خفق قلبها  
له بكل الحب ، نطقت عيناها بكل الحنان ، نظرت الى وجهه  
طويلا ، خاطبته :

- يا حبيبى يا ولدى ، تأملت كثيرا .

تعلق الجملة في ذهن المدرسة ، تظل ترددها وهي جالسة  
في الفصل ، في رأسها صورة ولدها ، في يدها القلم يرسم  
الدوائر المتداخلة .

تقطع احدى التلميذات تفكيرها :

- اسمحى لى يا أستاذة بالخروج لأشرب .

تسمح لها .. تعود لتخاطب صورة ولدها في ذهنها :

- يا حبيبى يا ولدى ، تأملت كثيرا .

تففز الى ذهنها صورة تلميذتها « نبيلة » تتداخل مع صورة  
ولدها ترفع رأسها تنظر الى الصف الثالث ، مقعد نبيلة شاعر ،  
لم تحضر اليوم ، كانت تريد أن تقول لها كلاما معينا . أن تفعل  
معها شيئا ما !

تضرب جبهتها ، ستار النسيان تتمزق عن ذهنها القلق ..

الزمان : صباح اليوم السابق .

المكان : الفصل .

وقفت تلميذتها « نبيلة » بجانبها ، اجاباتها خاطئة ، وبختها  
بقسوة شديدة ، اجهشت التلميذة بالبكاء ..

الزمان : مساء اليوم السابق .

المكان : حجرة النوم .

ولدها في حضنها ، وجهه متألم بالك ، تأملته طويلا ،  
تذكرت وجه نبيلة الباكي . هدهدت ولدها . حاولت أن ترفه  
عنه . عاهدت نفسها أن تفعل شيئا ما مع نبيلة . نظرت الى  
دموعه . عاهدت نفسها ، أن تقول كلاما معيننا لنبيلة ، أن تطيب  
من خاطرها .

تهم المدرسة أن تقول وهي تضرب جبهتها : « تذكرت » .

تسمع صوت طرقات على باب الفصل ، تظنها التلميذة التي  
خرجت لتشرب منذ برهة ، تقول لها :

— ادخلي .

من عند الباب يحادثها صوت المشغالة :

— مديرة المدرسة تطلب حضرتك .

— الآن ؟

— نعم الآن .

تتحامل على نفسها ، تمشى تهسدى ، أمام المديرية تقف  
خجلة ، تقول معتدرة :

– لم اكمل شهادات البنات ، ولدى كان مريضا جدا .  
ترمقها المديرية بنظرة شك . تعطيها مهلة اخيرة للغد .  
مطلوب شهادات التلميذات كاملة البيانات . تأمرها في جفاء  
بالعودة الى فصلها .

تعود الى مكانها أمام التلميذات ، تتأملهن في حيرة ، يعود  
قلمها يخط فوق كراسة تحضير الدروس ، يرسم الدوائر  
المتداخلة .. تتنبه لحركة القلم في يدها ، يبدأ من نقطة ليعود  
اليها ، ليته يرسم خطا مستقيما .

تتساءل لم رسمت هذه الدائرة ؟ ! لكنها تعود الى  
تسألها القديم .. نسيت ما كادت أن تتذكره !!

تسال نفسها مرة أخرى :

« ماذا كنت تريدن عمله ؟ ماذا كنت تريدن قوله ؟ ماذا ؟  
ماذا ؟ ماذا ؟ »

يطن السؤال في رأسها ...

## زفة

---

اخيرا يهبط المعلم الى الشارع ، يجد صبيه في انتظاره امام البيت ، ممسكا برباط ثور سمين قوى ، زين بقطع قماش ذات ألوان زاهية فاقعة ، وعدد من الأولاد تجمعوا حول الثور ، يقفون جميعا في حالة تأهب بمجرد رؤيتهم له ، يهلل الصبي هائفا :

— مرحبا بمعلم المعلمين ، أجدع جزار في المركز ونواحيه .

لا يفرح المعلم ، ويومئ لصبيه أن يبدأ ، فيتنحنح عدة مرات ويعتدل منها على الأولاد :

— كما قلت لكم ، كلما هتفت أنا ، ترددون خلفي قائلين بأربعين .. مفهوم ؟

تتحرك الزفة وجهتها السلخانة ..

في المقدمة المعلم بجسده الضخم القوى ، بجانبه صبيه

جاذبا الثور من خلفه ، من ورائهم يسير الأولاد . يبدأ الصبي  
يهتف بأعلى صوته :

- الثور قدامك .

- بأربعين .

- سعر الكيلو .

- بأربعين .

- .. .. .

يسير المعلم في وجوم وكدر ، يختلس النظر الى المارة وهم  
يفحصون الثور بأعينهم ، والى النساء وهن يراقبنه من  
الشرفات ..

- كيف تركتها تخرج يا أمي ؟ !

- قالت ذاهبة لأمها .

- كان يجب عليك أن تمنعها .

- بأية صفة ؟

- الست أمي ؟

- أمك ، لكنك كنت تدللها ، ولم يكن لي أمر عليها ،

أذهب واسأل أمها .

يتجه الموكب الى الشارع الرئيسي . تندس بعض الكلاب  
بين الأرجل ، والصبي يصرخ ملوحا بعصاه الصغيرة :

- عند جزارة ..

- بأربعين .



- جزارة المعلم ..

- باربعين .

- .. .. .

الموكب يخترق طريقه وسط زحام المارة ، مزاحما عربات  
الحنطور وبعض السيارات .. والعيال يتجمعون حوله ، يشاركون  
في الزفة بدون دعوة . والنسوة يتفحصن جسد الثور ويقسن  
عمره بنظرات خيرة ..

يخفض المعلم رأسه الى الأرض الطينية تحته ، يبدو محني  
الظهر رغم ضخامة جسده وقوته ، لا يكاد يشعر بما حوله ،  
لا يلحظ تحيات بعض المارة له .

- انظري ماذا اشتريت لك ! حلق وخاتم ، ذهب عيار  
٢٤ قيراطا ..

- ..... !!

- لا يبدو عليك الرضا يا عروستي الحلوة !

- الهدية لا تليق بجمالي ولا بمقام معلم المعلمين ، يد المرأة  
لا تصبح جميلة الا اذا زينها الذهب .

- غدا اشترى لك { غوايش .

- هكذا الكلام ، الليلة ارتدى لك قميص النوم الجديد ،  
الأحمر .

- تصجيبني ، قميص نوم أحمر فوق جسدك الأبيض ،  
يا صبلانة النبي !!

تلف الزفة ميدان المركز ثلاث مرات ، مزاحمين موكبا من  
خمس سيارات لزفة عروس ، ينثرون الملح على الثور مداعبين ،  
لكن المعلم لا يضحك .. تتناثر حبات الملح على وجهه فيفيق ،  
ويهب رأسه مومئا في عصبية لبعض راكبي السيارات الذين  
يحيونه .. يلتفت الى الثور ، تفيظه الكلاب المندسة بين الأرجل .  
يغيظه أن الثور يهب ذيله .

– يا امرأة ، يا امرأة ، ابنتك خرجت من المنزل واقالت  
لامى انها قادمة لزيارتك ، أين هي ؟ أين هي ؟

– يعز على هياجك يا معلم ، اجلس .

– اغدقت عليك وعليها المسال ، لماذا تغدران بي ؟ !

– بشرفك يا معلم لم ارها منذ ايام ، والا ما تركتك تلف  
هكذا امامي .

– والثور قدامك ..

– بأربعين ..

– باكر منه ..

– بأربعين ..

– غدى اولادك ..

– .. .. .

الصبي يصرخ والأولاد من ورائه ، منغمين هتافاتهم ..

والزفة تسير مشيرة سحابة ترايبية كبيرة عند الأقدام تكبر وتتسع  
كلما ارتفعت في الهواء ، تزكم الأنوف وتلوث العيون .

يلتفت المعلم الى الثور ، يجده سائرا لا يلوى على شيء ومن  
حواله زفته ! يشعر بحنق ، بهم برفع يده الى شاربه ، لكنه  
يخفئها في تخاذه .. ينظر الى الثورة ، يزداد حنقه ..

- معلم المعلمين تضحك عليه امرأة لا تزيد على العشرين  
عاما ..

- افعى ابنة افعى يا ولدى ، نصحتك الا تتزوجها !

- غدا لن استطيع ان ارفع عيني في عيون الناس ،  
سيلاحقوننى بعيون الهزء والشماتة ..

- والثور قدامك .

- بأربعين .

- .. .. .

- لم يكن لها حديث الا عن القاهرة ، وهذا الرقيق يعمل  
هناك ، كيف لم الحظ ذلك ؟ !

- .. .. !!

- ثور متعاقى ..

- بأربعين ..

- .. .. .

- في الأسبوع الماضى تحولت من امرأة مشاكسة الى  
اخرى مطيعة منكسرة ، كيف لم الحظ ذلك ؟ !

- .. !! .

- باكر منه ..

- بأربعين ..

- .. .. ..

- لم تكن تقول الا حاضر ، حالا ، امرك يا معلم ، أنا  
مخادمتك يا معلم .. اللئيمة الحرياء ، كيف لم الحظ ذلك ؟

- .. !! .

- وأنا كاية بهيمة ظننت ان حالها انصلح وانها اصبحت  
مولعة في رجولتي وفحولتي !

في الشارع الرئيسي يندس اولاد آخرون ، يشاركون في  
التهاتف متطوعين ، يسير خلف الموكب ثلاثة من المجناذيب  
يتضحكون في بله ، وكلما اقترب الموكب من المقهى الذى يجلس  
اليه معظم جزارى المركز كلما علا صوت الصبى .

لا يرفع المعلم نظراته عن الثور ، يفضبه الذيل المهتز طربا ..

- الزفة جاهزة يا معلمى .

- قلت لك غر من وجهى ، ساتبعك بعد قليل .

- نعمالها الآن ، بعد قليل ستسخن الشمس ويصبح  
الشارع ولا نار جهنم .

- محروقة الزفة ، ومعروق من اشترك فيها .

- واتفرج يا جلع ..

- بأربعين ..

- فرجة بلاش ..

- بأربعين ..

- .. .. ..

يهتف الصبي والعيال بكل نشاط وحماس ، وهم واقفون  
أمام مقهى الجزائريين . يدور الصبي بالثور حول نفسه عارضا  
سمنته وضخامته لعيونهم .

يرتفع صدر المعلم ويهبط في حشجة ، ناظرا للثور ،  
تتركز نظراته على ذيله المهتز ..

- كيف لم الحظ ذلك وأنا جزار ؟ القطة تظل تلمسكن  
حتى تقترب من قطعة اللحم فتخطفها وتفر هاربة .

- لم تعد فائدة من الكلام ، أستطيع أن أزوجك أجمل  
بنات المركز ..

- الثور قدامك ..

- .. .. ..

- فعلة أبتتك هذه جعلتني لا أستحق شاربي هذا ،  
أريدها أن تعود يوما واحدا فقط ، أطلقها أنا فيه وتصبح حرة  
بعد ذلك ..

- لو أعرف مكانها لأحضرتها لك ..

- .. اما هذا ، ولما أصير مضفة لأفواه الشامتين ، والذي  
لا يشتري يتفرج !! ..

– والفرجة بلاش ..

– بأربعين ..

– فرجة حلال ..

– بأربعين ..

– .. .. ..

– أعود من سفر يومين الى المنزل لأجدها تركته ،  
ما فائدتك في المنزل اذن ؟

– يا ولدى ، مطلع النهار يبشر بيوم اغبر ، اذهب الى  
زفتك الآن .

– تركتني وهريت ، اين اذهب مع عيون الناس ، اين  
اذهب من السنهم ؟

• مغفل مغفل مغفل .

– نور نور نور ..

يصرخ المعلم بصوت مرتعش ، وهو يسحب العصا من يد  
صبيه وينهال ضربا على الثور ..

يدهل الصبي ، يحاول ابعاد معلمه بين دهشة زبائن المقهى  
من الجزائريين . لا يسكت المعلم الا بعد ان تتكسر العصا ،  
يقف لاهثا زائغ العينين محتقن الوجه . يصرخ الصبي في العيال  
ان ينصرفوا ، ثم يقول :

– من اوله ظاهر انه يوم اغبر .

يبدأ المعلم يعود الى هدوئه ، وقد بلل العرق جسده ،  
يقول مرتبكا :

— ظننت الثور يمكن عن المسير .

يراقب الثور ، يجده يهز ذيله في عصبية ، يكتشف أنه يفعل ذلك لإبعاد الذباب ، يلاحظ قوته وخصامته ، ينظر لذيله المهتز ، يفتاظ من الذباب ، يطير الذباب تحت ضربات الذيل لكنه يعود ثانية ليضايق الجسد العملاق . يتأمل المعلم الرأس الكبير ، يتبع الرباط الملفوف حوله حتى طرفه الآخر حيث يد الصبي النحيلة وهي تجذب الثور ، الصبي يسير في حيرة وعجلة وقد مال بجسده الضئيل القصير الى الأمام ، ساحبا الثور القوى صوب السلخانة . .

يعود المعلم يراقب الذباب ، يشعر بحنق كبير ، يتأمل الذيل وهو يبعد الذباب بلا فائدة . . السلخانة على بعد خطوات .  
الثور مقود اليها . . المعلم يهز رأسه في أسى . .

معلم المعلمين سيصبح مفضة لأفواه الشامتين ، والذي  
لا يشتري يتفرج !

— لا فائدة من الكلام ، اذهب الى زحك . .

يدخل الثور خلال باب السلخانة ، فيشعر المعلم بغصة في حلقه ، ويبدو الأسى والمطف على وجهه ، تمتد يده تربت فوق ظهر الثور في حنان وشفقة .

## الفار الذى لم يمت

- عيناك محمرتان يا أحمد ؟ !  
- نعم ، فانا لم اتم ليلة الأمس .  
- اذلك بسبب خلافك مع المدير ؟  
- اتسمى هذا خلافا ؟ ! انها معركة ، ولن اتركه ، غدا  
ساكتب خطابا رسميا اطلب فيه لجنة تحقيق .  
- يا عزيزى ، اخز الشيطان ..  
- كيف ؟ ! وهو قد سبنى على الملأ ، امام زميلاتي  
وزملائي فى المكتب !  
- ومن أجل هذا لم تتم ليلة الأمس ؟ !  
- السبب شيء آخر ، ولكن الذى يفيظنى هو أنا .. نعم  
أنا ، كيف لم أرد عليه ؟ ! كيف لم أذافع عن نفسى ؟ ! كيف وقفت



صامتاً وهو يعلو بصوته في وجهي ؟ ! كيف ؟ ! كيف تركته  
يهينني دون أن أرد عليه ؟ كيف ؟ ! كيف ؟ !

— اهدأ يا أحمد ، اهدأ .

— كيف ؟ ! أنا خجل من نفسي ، لقد وقفت موقفاً  
مخزياً .

— وما فائدة الفضب ؟ !

— .. .. .

— خذ يا أحمد ، خذ هذه ، سوف تريحك .

— لا شكراً .. لكن .. هاتها سأدخنها .

— يا مسكين ، أمن أجل هذا المدير لم تنم ليلة الأمس ؟ !

— ليس ذلك المدير هو السبب .

— اذن ؟

— سأقص عليك الحكاية .. بالأمس استيقظت فجأة من  
نومي العميق .. أتسمع ؟ أقوم من نومي العميق .. استيقظت  
على صوت يتحرك في المطبخ . ظننته لصاً ، وأنا أسكن وحدي  
كما تعلم . فقمتم فزعا واتجهت إلى المطبخ في تحفز ، هناك وبعد  
أن أضأت النور لم أجد أحداً ، وعجبت .

— كانت تهيؤات طبعاً !

— ولكنني سمعت الصوت ثانية . فجلت بناظري في كل  
مكان .. هل تدري ماذا وجدت ؟ !

— شبح السيد المدير .

- كان فأرا صغيرا ينظر الى بوجل !

- وماذا فعلت معه ؟

- دون أن أشعر وجدت نفسي أمسك « بالشبشب » في محاولة لقتله .. وما حدث كان عجيبياً ، لقد قاومنى الفأر بشجاعة ، حتى أنه وثب الى كفى من فوق النضد فى احدى قفزاته اليائسة . هل تعرف ماذا فعلت أنا ؟ وثبت فرعاً ، فإزداد حنقى .

- احترس السيجارة ستلسعك .

- .. ..

- اذن فقد حنقت على الفأر لأنه قاوم ودافع عن نفسه ؟ !

- كلا ، كلا .. لقد زاد حنقى من نفسى ..

- وضيقت الخناق على الفأر ؟؟

- نعم ، حتى وقف فى احدى الأركان عاجزاً ، ينظر الى وهو يلهث . ورفعت يدي بفرض قتله ، ونظرت الى عينيه ..

- ثم ماذا ؟ تكلم .

- لا أدري بالضبط ماذا كان يدور فى داخلى لحظتها .. اذ .. اذ اننى لم أقتله .. أمسكته بورقة .. وهبطت الى الشارع حيث تركته حياً ..

## أشهر رسائل الحب

---

« سامية .. حبيبتي وخطيبتي

هذا هو يومى الأول هنا ، وهذه هى أول رسالة اكتبها  
اليك .

انا عائد الآن من جولة عابرة بهذه المدينة ، لا بأس بها من  
مدينة ، الجو هنا معقول ، محتمل قد يكون ذلك لأننا مازلنا  
في فصل الشتاء ..

- - انا مشتاق اليك والى لمسة من يديك ، تعيد لى حماستى  
وتدققى .. ومن كان يصدق أن طالبا مثلى ينال الليسانس بدرجة  
جيد جدا ؟ ! من يصدق هذا ؟ ولكنها لمسات يديك ونظرات  
عينيك ، بل وحتى وقع قدميك وانت تهلين على .. كل ذلك  
دفعنى لالتهام الدروس ، والآمال العذبة تتراقص أمامى .

لم اكن اتخيل انه سيأتى اليوم ، أتوجه فيه الى محطة  
سكة حديد القاهرة لأركب ذلك القطار الرهيب ، ولتأتى تلك

اليد القاسية تدق الناقوس ، فيمرق القطار بى على شريطين  
كثيبين ينتهيان بى الى هنا ، حيث اكتب لك الآن .

رغم ذلك - رغم الألف ميل التى تفصلنى عنك - فان قلبى  
معك . اخذته منى و انت تلوحين لى بيدك مودعة .

غدا سأوجه لاستلام عملى ، وبهذا ادخل اول يوم فى  
حياتى العملية . لكم انتظرنا معا هذا اليوم « كنا نرقبه  
ونستعجله ، وكانت المسافة بينى وبينه يوم تعرفت عليك تزيد  
على العامين ، والآن أصبحت هذه المسافة يوما واحدا وأصبح  
يومنا المنشود هو الغد .

صدقينى يا حبيبتى ، أنا مدين لك بهذا الغد « ..

\*\*\*

« لا ارى مبررا لقلقك على ، حقا ان المدينة صغيرة جدا  
لو قيست بالقاهرة ، الا انها نظيفة ، اما عن وقت الفراغ  
فأفضيه فى قراءة المجلات .

السكن ايضا ليس سيئا .. اجمل الأوقات هى التى  
امضيها مع صورتك أتأملها ، ولكنها عاجزة لا تستطيع أن تلقى  
المسافة بينى وبينك ، عاجزة عن أن تغنينى عنك .

هل تدرين ماذا أتمنى الآن ؟ ستبتسمين ، مؤكدا  
ستبتسمين .. أتمنى أن أكون رائد فضاء واصعد الى القمر ،  
قمرى أنا ، أنت حبيبتى ، حتى أمتغ نفسى ببسمة صغيرة لترسم  
على شفطيك ، بلمسة عابرة من يدي لشعرك الأسمر الناعم ،  
ارفع تلك الخصلة العابثة التى تأبى الا أن تقبل خدك الأيسر .

لم اكن ادرى ان امر تعيين ارعن سيفصانى عنك ، ويلقى  
بى على بعد ست عشرة ساعة ، نائيا عنك ، ليجلسونى على مكتب  
حقير فى العلاقات العامة . . وماذا اعمل ؟ ! اتولى الرد على رسائل  
الهيئات والنوادى والمدارس ، شغلة تافهة لا يؤديها متفوق  
ولا تعطى لانسان مثلى . .

لذلك فانى قدمت طلبا لنقلى الى القاهرة مرفا حبي . .  
ملحوظة : ارسلت خطابا الى خالى بالقاهرة ليبلل مسامحة  
فى سبيل نقلى . .

\*\*\*

« . . ان لم افتح قلبى لك فلنم اذن ؟ . البليدة اصغر  
واضيق من ان تحتملنى . الجربدا يفزو الجو . سمعت ان  
المناخ فى الصيف لا يطاق . اعتقد ان وجهى بدأ يسير ، اصبح  
قاتما ، قارب لونى ان بصير مثل لون الأهالي هنا . الأهالي  
هنا لا يصلحون لشيء ، يسير ، والعجيب انهم مغمومون بالملابس  
البيضاء . الشيء يجب تقيضه رغم انه يكشفه ويفضحه ، حتى  
أسنانهم ناصعة البياض . .

شوقى لك يزداد ، سأحاول ان احضر الى القاهرة . .

ملحوظة : الادارة امرت بنقلى الى عمل آخر ، ولكنه هنا  
وليس فى القاهرة . ارسلت خطابا ثانيا الى خالى ليزيد من  
مساعيه واتصالاته . انتظرينى قريبا ، سأحضر اليك ،  
سأحصل على الاجازة باية وسيلة . . »

\*\*\*

« .. ما امتعه من اسبوع ، اجمل اسبوع قضيته في حياتي ، ملامحك . ادق ملامحك نسخت هنا في عقلي ، حفرت في روعي . »

اننى اعجب ، كيف تطلبين منى أن احضرك الى هنا ، وهنا العذاب ولن تجدى من تصادفينه ، حتى كلامهم سريع ، سريع جدا ، يأكلون نصفه الأخير ، أسرع من أن تفهميه . لا يعرفون كلمات الجملة . ولم أندعش عندما رأيت احدى السائحات تغرس في وجه أحدهم ، ثم تخرج آلة تصوير وتسجل صورته .  
« يا عزيزتى .. »

حبي لك ينعنى من أن احضرك هنا .

عدت لأجد الوظيفة الجديدة في انتظاري ، أتعرفين ما هي ؟؟ « مرافق » . اسمها هكذا .. عندما تأتي أى رحلة لمشاهدة سير العمل هنا فانى أرافقهم لأشرح لهم ما يرونه : تصورى ذلك ؟ ! يا لضياع الجهد والوقت ! ترجمان !! نعم خطيبك يعمل ترجمانا بدرجة « جيد جدا » . اصحبهم وأقول لهم : هذه ماكينة تخريم ، هذه كراكة ، وتلك رافعة ، أما ذاك فهو القلاب ، وهذا الذى أدهشكم أسماء العمال « الجبار » .

وان كانوا من الأجانب ، فنفس الكلام ولكنه يكون بالانجليزية : حجمه مثل حجم الهرم الأكبر ست عشرة مرة ، الجرانيت يكون تسعين في المائة من مواده .. والذى أقوله اليوم أعيده غدا وأكرره بعد غد وكل يوم لدرجة اننى وجدت نفسى أقول قبل أن أنام : أما عن التورينات فهنا مكانها !! .

فكرت في احضارة شارة نحاسية ألها حول ساعدى كإى ترجمان .

ملحوظة : أرجو أن تتصلى بخالى وتذكره بوعده لى .  
ملحوظة أخرى : أرجو أن تسالى الطبيب ان كان مستعدا  
لاعطائى اجازة مرضية أخرى كالسابقة .

\* \* \*

» .. اكتشفت وجود حمام سباحة هنا ، أداوم على  
الذهاب اليه ، رغم اننى لا أجيد السباحة ( اسبح دائما في الجزء  
قير العميق وبجوار الحافة فاطمنى ) .

أول أمس رأيت حادثة عجيبة ، بينما كنت في جولة مع  
بعض الزائرين ، اذ بأحد العمال - اسمه سيد - يقع على  
الأرض مغشيا عليه . سارعت بحمله الى ركن هادىء بمساعدة  
بعض العمال ، فى انتظار قدوم رجال الاسعاف ثم حاولت بذل  
جهودى لافاقته ، وقد سرنى فعلا انى نجحت فى ذلك .. ثم  
جلست بجواره وتأملت وجهه ، وكانت اول مرة أتفرس فيها فى  
وجه واحد من الأهالى هنا ، تأملته جليا ، وأحسست بإحسان  
غريب ، كانت ملامحه تذكرنى بملامح انسان أعرفه جيدا ،  
انسان رأيت من قبل ، له ملامح دقيقة جميلة ، كأنما مثال  
عظيم دقق فى نحتها .. ثم تذكرت ، كانت ملامح سيد تشبه  
ملامح الفراعنة الى حد كبير . خوfo مثلا او رمسيس ..

ابتسم لى فى عرفان جميل . عيناه نفاذتان ، ولكن فيهما  
طيبة صادقة . قلت له ضاحكا مهونا :

- قم يا خوfo ، قم ، أنت الآن بخير ..

ضحك ، وضحك رفاقه ، وتركتهم وهم يضحكونه مكررين  
جملتى : قم يا خوfo ، أنت الآن بخير يا خوfo ..

وكانت دهشتى كبيرة في اليوم التالي - أمس - عندما  
رأته واقفا في مكانه . يُؤدى عمله كالمعتاد . هلل مرحبا بى  
عندما لمحنى شاكرا . فقلت له مداعبا : لماذا لم تسترح  
يا خوفو ؟؟

ضحكوا جميعا من قلوبهم وقال أحد العمال : لقد  
أسمينا « سيد خوفو » .

وظهر اليوم - قبل هذه اللحظة بساعتين - مررت على  
موقعه وكان يتناول غداءه . واقسم أن أكل معه - عيش  
وملح - وتذوقيت طعم الخبز - خبزهم - ليس كخبزنا في القاهرة ،  
ما الده ! كأنه خبز بالسكر !

وتجددنا كثيرا أثناء تناول إشبای ؛ واكتشفت شيئا  
مدهيلا . أن ليفهم من البسهل على الإنسان أن يفهمها ، سريعة  
بعض الشيء ؛ يخيل للبسامع أنهم يأكلون نصفها ؛ ولكنه إذا جاول  
أن يفهمها فسيجدها سهلة . حدثتهم عن القاهرة وصخبها  
وملاهيها . وهم مبهورون ( لاجظي اننى لم أجدتهم عن جبال  
نسائها ) .. وحدثوني هم عن آمالهم وأجلامهم فهزوني من  
الإعياق ، آمال صغيرة ، أجلام بسيطة ؛ ولكنها صادقة ..  
سيد - سيد خوفو - يحلم بمنزل صغير يتزوج فيه ويعيش .  
كان وجهه رائعا وهو يحدثني ببساطة عن البنت التى تنتظره في  
قريته ، والتى يضاعف جهده من أجلها .

عندما بدأ يصفها لى سرحت عيناه الى مدى البصر ، حبيبتة  
هناك ، فى نفس الاتجاه . كانت قريته هى قبلته وهو يصفها  
لى بأصفي الكلمات ، شعرها أسمر طويل ، فأرعة القوام



بفمازتين ، أهم ما يعجبني فيها طيبتها ، يجد عندها كل الحنان  
الذي يحتاج اليه ( أنظري في المرآة وستجدين أن هذه هي  
صفاتك ) .

ضحكت وقلت له : كأنك تصف خطيبتى ، اننى ان حاولت  
أن اصفها فلن أجد أبسط وأحلي مما قلت ..

غير أن الذي لا أنساه هو وجهه ، ما أروعوه وهو يصف  
حبيبته ! ما أبدع انفجالاته !! ما أعجب رنين صوته !!

حقاً يا حبيبتي ، ما أروع ذلك الذى نسميه جيا ..

ملحوظة : تصويري هذا : اسم فتاته هو « سلمي » واسم  
حبيبتي أنا « سامية » .. بيدآن بحرف السين ويشتركان في  
الميم والياء .. « .



« .. معك حق في تسمية خطايبى السابق : بخطاب سيد  
خوفو ، لقد صار سيد صديقى ، وأصبحت سهراتى المفضلة  
معه ومع أصحابه ( الجو هنا يشجع على السهر ) . وسمرهم  
من نوع جديد ، يتحدثون دائماً عن الولد ، الولد كبر ، الولد  
حقن اليوم لتفديته وتقويته ، الولد شب وعاظ الأمريكان ،  
توربينات الولد أصبحت جاهزة ، الولد سيروى المزيد من  
الأرض ، الولد ، الولد ..

فاذا سألت عنى يكون هذا الولد اجابوك في دهشة :  
الولد الذى قلب النيل وجعله يحيد عن مساره ، السنن نرقب  
نموه يوماً بعد يوم !

تضوري ؟ السيد العالى ، العملاق الضخم الشاهق :  
ولدهم !!

وأحيانا ينطلق أحدهم بالقناء ، هكذا دون دعوة من  
أحد ، فقط يشعر بالرغبة فى ذلك فيفعل ، وفى الحال يصمتون  
ويعتدلون فى جلساتهم ، وتبدل ملامحهم فتلين . وتصفو عيونهم  
إتحلم .. من يدرى ؟ ربما بالزوجة أو الحبيبة ، بالأهل ،  
بالأرض ، بمهد الطفولة .. لا ينظرون لمظربهم . يخيل إليك أنهم  
لا يستمعون إليه . منهم من يجلس سائدا ذقنه على ركبته ،  
ومنهم من يغمض عينيه ، منهم من يرسل ببصره إلى شئ ما ،  
وزميلهم يغنى ( بلا موسيقى طبعاً ) . بصوت مشروخ فيه رنة  
جزن .. لا أدرى لماذا ؟ فيه بحة شاكية ؟ !

ويوم انطلق سيد مغنيا كانت كلماته تشكو البعد وتدعو  
للقاء الحبيب ( أنا أيضا أفعل ذلك . ولكن بطريقتى الخاصة ،  
بالورق وبالقلم وبالخطابات التى أرسلها لك ، ولو كنت أعرف  
القناء لغنيت لك مثلهم ) .

الأعجب من ذلك كله اننى عندما سألت سيد عن حفظ  
عنه كلمات هذه الأغنية ، رد فى تواضع بأن : « الكلام الذى فى  
قلبه يضعه على لسانه ، بعد أن يلبسه اللحن الذى لم يعلمه له  
أحد معين » . أغانيهم تشجيني ، لم أعد أطيق سماع أغانى  
الراديو ، فقد أصبحت أفتقد فيها الصدق ..

هأنذا عدت ثانية الى الحديث عن سيد ، وهذه المرة  
ليس عنه فقط بل عنه وعن أصحابه أيضا !!

ولكن يا عزيزتى ..

ما بيدي حيلة . الناس هنا مدهشون ، يهزمون الانسان بكرمهم ، ويأسروه باقبالهم عليه . الغريب أنهم مصرون على تسميتي « نبييل المرافق » ويبدو أن هذه عادة عندهم ، سبق أن اعجبتهم طريقة عمل أحد الأجهزة فأطلقوا عليه الجبار . وأصبح هذا اسمه ، لدرجة اننى نسيت اسمه الحقيقي ، ولدرجة أن الخبراء الروس أنفسهم اعترفوا بالجبار اسما لهذا الجهاز !

حدث في بدء عملي أن سألتنى سائحة عن احدى الآلات وهل هي آلة اجنبية ؟ ويومها اجبتها بنعم . لو سألت اليوم هذا السؤال لاختلفت اجابتي .

على أنهم قد يكون بإمكانهم تغيير كل شيء - حتى مجرى النهر - إلا أن أمرا هاما لم يتغير في : هو حبى لك ، بل أصبح أقوى وأعمق ..

سيد يرسل لك تحياته . أقسمت له أن أبلغك سلامه . وقد اعجب جدا بصورتك عندما رآها معى . قلت له ان الأصل أجمل .. « .

\*\*\*

« .. حلم جميل هذا الذى سأقصه عليك في هذا الخطاب ، حلمت أمس بك وبى وبانسان ثالث ، ولدنا .. كان لطيفا جدابا ، وقد أسميناه سيد .. « .

## فاتح الكوبرى

وجدت نفسي أسير في سرداب طويل معتم ، قاتم اللون خائق الرائحة . تلفت حولي باحثا عن مكان أخرج منه ، حتى المنفذ الذى دخلت منه اختفى ، سد ، وقف عليه حارس ذو قناع رهيب ؛ ممسكا بحربة ذات رموس عديدة . سرت مدفوعا بقوة غريبة لأجد أمامى منصة قضائية عالية ، سوداء اللون . رفعت رأسى لأعلى حتى يطاول نظرى قممتها ، فوقها كان يجلس الشيخ رضوان ، ناظرا الى من أعلى بلا انفعال . رغم جمود وجهه لمحت اتهاما فى عينيه ، اتهاما واضحا .. وكان لابد أن أدافع عن نفسي :

« يا شيخ رضوان ، يا حضرة القاضي ، أرجوك ، أرسبى على بر الأمان ، اعترف بأنى فتحت الكوبرى ، وفى غير ميعاد فتحه ، أمرونى أن أفتحه ففعلت ، هذا عملى اكل عيشى .. ولكن .. « الصمولة » لم تكن مفكوكة ، وهذا هو المهم ،

الصموّلة لم تكن مفكوكة .. نعم أخذت علاوة ، ولكن ليس الذئب  
ذئبي ، أدبت واجبي وحسب .. يا حضرة القاضي . أرحمني ،  
كانوا ٥٧ تلميذا ، ماتوا ، غرقوا .. لكن مالي أنا ؟ حاكموا من  
أصدر الأمر ، أنا عبد المأمور ، ولم تكن الصموّلة مفكوكة ..  
ولم يكن قصدي أن أدوس على ذيل القطعة .. » :

من جميع أنحاء السرداب ، من جدرانه ، من سقفه ، من  
أرضه ، سمعت أصوات اناس غاضبين ، هاتفين ضدى بلا رحمة،  
صرخت بكل قوتي :

« ولكنهم تلاميذ أغبياء ، يريدون تغيير الكون واسقاط  
الملك بمظاهرات ساذجة .. » .

عادت الأصوات وثارَت ضدى ، تلفت حولى ، فى كل  
مكان .. أين هم ؟ أين هم ؟ ! : أصيبت برهب . نظرت للشيخ  
رضوان : « إلا تفعل شيئا » .. أمسك بمطرقته ، أخذ يطرق  
يعنف حتى تمكن من إنكاف هذه الأصوات .. ثم بدأ  
يحذثنى ، وُضوته صدى رهيب ، تخزج الكلمة من فمة فتدون  
فى أنحاء السرداب من اوله الى آخره ، لتعود لى الف كلمة  
غاضبة ، تطرق أذنى فى وقت واحد ، بدوى رهيب مفزع :

« يا عباس ، قتلت اولاد الناس ، حكمتنا عليك بالموت زمينا  
بالرصاص » .

رجعت على أنقابى هربا ، وجدت فى وجهى مجموعة من  
العساكر صوبوا بنادقهم الى صدرى ، نفس العساكر الذين  
سدوا الكوبرى فى وجه التلاميذ ، جدران السرداب بنفسه  
انشقت عن عيون ناقمة ، عن أفواه تريد أن تلتهمنى :

« يا ملعون من كل الناس ، يا ملعون من كل الناس ،  
يا ملعون من كل الناس .. »

— بل انت حبيب كل الناس ، حبيب كل الناس ، يا عباس  
يا ولدى ، عاد الكابوس يفرعك ثانية .

— هذه ثالث ليلة با أمى أحلم فيها نفس الحلم ، منذ ذلك  
اليوم المشؤوم .

— اللذنب ليس ذنبك ، انت نفلت الأمر فقط .

— ولكن الناس ، الناس فى الشارع تغيرت معاملتهم لى .

— عين حسود أصابتك ، ساعد لك البخور .

تخرج الأم . ويتجه عباس الى النافذة ، يلقى نظرة الى  
الشارع ، الى المقهى الصغير هناك . يقول لنفسه :

« هذا هو « حسين » المخادع الكاذب جالس على  
مقهى الشارع ، ومن حوله أبناء الحى ، يتحدث اليهم ،  
ويستمعون له فى احترام ، سرق منى الاحترام بأقاصيصه  
المزيفة ، انا متأكد انه يقص عليهم الآن حكايته المقوتة من بطولته  
المزعومة ، جاء الضابط وأمره بفتح الكوبرى ومظاهرة التلاميذ  
تسير فوقه ، ورفض هو ، وغافل الضابط وفك « صمولة  
الجهاز » خلصة ، وتحجج بأن الجهاز عطلان ، وعلى ذلك لا يمكن  
فتح الكوبرى .. وعند ذلك يهمل الناس له ، ويفرقونه فى بحر  
من الثناء ، الأسطى حسين البطل ، الأسطى حسين الشجاع ،  
حسنا فعل ، حسنا أتى ، ثم يسكتون ويقتربون منه ليشتروا  
فى دفئى .. وعباس — عباس انا — ماذا فعل ؟ .. يضحك حسين  
الخبيث ويلقى بأكذوبته الكبرى ، كان الضابط قد يشس وكاد

أن ينصرف ، عند دخول الأسطى عباس ، فماذا فعل عباس ! ؟  
ربط الصمولة ، وأدار الجهاز وفتح الكوبرى ، وغرق ٥٧ تلميذا ،  
وبذلك يضعنى فى الحفرة ويبدأ الناس فى اهالة التراب على ،  
عباس الجبان ، عباس الخائن ، عباس الذى خدعنا بطيبته  
الزيفة ، عباس القاتل ، عباس عدو الطلبة ..

- آه يا أمى .. كتموا أنفاسى ، لم أعد أطيق السير فى  
الشارع وعيونهم تطاردنى ..

- تعال يا عباس ، هداك الله ، تعال .. خط فوق البخور  
سبع مرات ، وأنا بهده الابرة سأخز سبع وخزات ، الأولى فى  
عين الشيطان حتى يبعد بوسواسه عن روحك ، والثانية فى عين  
الجان حتى يتركوا جسدك فى امان ، والثالثة فى عين الحسود ،  
حسدوك يا ولدى ، ورب الكعبة حسدوك يا ولدى .

- والوخزات الأربع الباقية ؟؟

- الرابعة فى عين من يشاركك عملك ، زميلك فى العمل  
الأسطى حسين ..

- الفشاش المخادع اللئيم الحقود ..

- كرهك منذ خطبت « فتحية » .. وكان يتمناها  
لنفسه ..

- سمعت أنها تريد أن تفسخ الخطوبة !

- لا تصدق ، أمها صديقتى ، ولن تطاوعها على فعل ذلك  
لن توافقها أبدا ..

– الذى يدهشنى ما يحدث فى الحلم ، لماذا الشيخ  
رضوان بالذات ؟؟ لماذا هو الذى يخاطمنى ؟ !

– الشيخ رضوان صديقك وانت من مرديده ، اذهب  
اليه ، استشره حتى تطمئن ..

– والناس فى الشارع ، الناس فى الشارع يا أمى ؟؟

– سيعودون الى سابق عهدهم معك ، ويعود جبهم لك .

هذه أوهاى يا أمى ، كنت بمجرد ظهورى فى الشارع يحيينى  
الجميع فى حب وود ، أما الآن .. فهنا هو محمود العجلاتى  
يدخل الى ذكاته حينما يرانى حتى لا يرد تحيتى ، وكان منذ  
أربعة أيام فقط : « أهلا بالأسطى عباس ، خبيبي وخبيبي كل  
الناس » .. وذلك الطعنى القلندر ، بالأمس رفض الرد على  
تحيتى وأهمل يدي المدودة له ، ونسى أن هذه اليد كثيرا  
ما انقلته ودفعت عنه ايجار شقته : « يا مزحبا بمن انقلنى  
من نوم الرصيف » .. ملعون أنت وملعون هؤلاء الجالسون على  
هذا المقهى ، وعلى رأسهم حسين لم أكن أعلم أن بالناس مثل  
هذه المقدره على الكره ..

وتقولين يا أمى ان الناس سرعان ما ينسون ، هذه أوهاى  
من وحى طبيبتك !!

وتلك المتشحة بالسواد ، التى تنظر لى فى حقد من نافذة  
منزلها : يا سيدتى ابنتك سقط من فوق الكوبرى لأن العساكر  
كانوا يطلقون على التلاميذ الرصاص ، كل الذى فعلته انا انى  
فتحت الكوبرى ، تنفيذاً لأمر رجل غيرى ، وجهى خفدك اليه ،



الى من اصدر الأمر .. فلم تكن الصمولة مفكوكة .. ولم  
أقصد أن ادوس على ذيل القط .

آه يا أمي ، كل الشارع أصبح يكرهني ، نوافذه أصبحت  
عيونا حاقدة تلعنني ، ابوابه أضحت أفواها مفتوحة تشيعني  
بشتائها .. وذلك الطفل الذي التقط الحجارة من على الأرض ،  
وجاء يركض خلفي .. يا ولدي ماذا تقصد ؟ .. حسنا ،  
هانت القيت بالحجر على ظهري ، الآن اجر الى خُصن امك  
لتقيلك .. يا الهى ، يعلمون اولادهم كرهى ، لم أعد أطيق ،  
يرضعونهم بغضهم الأسود ملدبا في لبنهم ، لم أعد احتمل .

– اين انت يا شيخ رضوان ؟ .. اين انت ؟

بين صفين من الرجال المتمايلين على دقات الدفوف ،  
يدكرون مكبرين اسم الله ، يسير عباس مخترقا حلقة الذكر ،  
حتى نهايتها ، حيث يجلس الشيخ رضوان بين مجموعة من  
الشيخوخ يفيض هيبة وجلالا ، يلثم عباس يده فيسحبها  
مستغفرا ربه .

– يا فضيلة الشيخ رضوان ، لثالث ليلة وأنا احلم بك .  
وفي كل مرة تحكم فيها باعدامى ، لماذا ؟

– يا عباس يا ولدي ، اهدأ ، اجلس ..

– يا شيخ رضوان أرجوك ، ارس بى على بر الأمان ،  
اعترف بأننى فتحت الكوبرى ، أمرونى أن أفتحه ففعلت ، هذا  
عملى ، أكل عيشى يا سيدى الشيخ ، ولكن الصمولة لم تكن  
مفكوكة ، وهذا هو المهم ، والقط هو الذى نام فى طريقي قدست  
على ذيله .. وفى ذلك المساء المشئوم ...

{ ٥ }

{ ٢٦٢ - الوليف }

يسكت فجأة في ضيق . يشيح بيده في ضيق منزعجا من صوت الدفوف المرتفع . يصرخ يعلو بصوته على طرقاتها :

- في مساء ذلك اليوم المشؤم .. عدت الى الشارع متوجها الى منزلى ووجدت ثلاثة منازل تنبعث منها أصوات صراخ ووعويل ونواح مؤلم ، وعلمت ان من ضحايا المظاهرة ثلاثة تلاميذ من شارعنا ، لم أتم ليلتها .. وحلمت بقطى وذيله .. وفى الصباح عندما ذهبت للسير فى الجنازة ، قالوا عنى « يقتل القتل ويسير فى جنازته » .. مع أنى نفذت الأمر فقط ، ولم تكن الصمولة كما يزعم حسين الشرير مفكوكة ..

يحاول الشيخ رضوان تهدئته ، ويفسر له الآيات التى تتحدث عن الثواب والعقاب ، وأخيرا يقول له :

- يا عباس اسأل ضميرك أولا ، المهم هى راحة الضمير  
اسأل ضميرك أولا ..

\*\*\*

- يا أمى ، يا أمى ، حتى خطيبتى تخلت عنى ؟ ..

- لماذا لم تذهب الى الشيخ رضوان ؟

- ذهبت ، ولم يكن هناك جدوى من زيارته ، عجز الشيخ أن يفتينى بشيء ، وراغ منى فى الإجابة ، وهل قصدته ليقول لى : اسأل ضميرك ضميرك ؟ .. مستريح أيها الشيخ .. ولكن الناس هم سبب عدايى ، وبالتحديد عيونهم ، خلق الله عيون الناس لتعذبنى ، لتسألنى : اضحیح انا عباس فاتح الكوبرى ؟

أصبح أن الصولة كانت مفكوكة ؟ .. أما عن ضميرى فهو  
مستريح ، اليس كذلك يا أمى ؟ .. أمرونى فنفلت الأمر ..  
لماذا لا يوجهون لعناتهم لذلك الرجل الذى أصدر الأمر ؟ ..  
لماذا لا يتوجهون بها الى رئيس البوليس السياسى والى الملك ؟

– سنبحث لنا عن مكان فى غير هذا الشارع ، ونتركهم .

– الى أين ؟ ! والناس فى كل شارع عرفوا بحكايتى ؟

– أنت هكذا دائما ، تعمل من الحبة قبة ، يوم دست  
بقدمك سهوا على ذيل التطة فاشتريت لها كوبا من اللبن حتى  
تعوضها عن المها ، وظللت أسجوعا كاملا كلما رأيتها تربت على  
ظهرها . قائلا لها : سامحيتى يا قُتى ، سامحيتى يا صغيرتى .

– وهربت القطة من المنزل فى اليوم الثامن .

– يا ولدى ، لا تياس من رحمة الله ، غدا يعود كل شىء  
الى سابق عهده ..

– يأتى صوت من الشارع ينادى عباس ، فينظر من النافذة  
ليجد الأسطى محمود العجلاتى يقول له :

– لماذا لم تعد تحضر الى المقهى كسالف عهدك يا أسطى  
عباس ؟ تعال . تعال يا رجل نتسامر مع أهل الشارع ، انهم  
جميعا فى انتظارك ..

يفرح عباس ، ويكاد يطير قلب الأم من غبطته ، ويهبط  
ويتوجه الى المقهى ، انه ملئ بأهل الشارع ، زبائنه أكثر من  
أى يوم آخر ، وجميعهم ينظرون له ، يسمع أصواتا جامدة  
ترحب بمقدمه . ويجلس فى المقعد الوحيد الخالى ، وسط

الجالسين ، أصبح مركزا لدائرة من رجال الشارع ، يقتربون  
منه رويدا رويدا ، يتسسم لهم في تزلف .. لكن مقاعدهم  
تزحج لتضييق دائرتهم ..

يقدم له أحدهم الجريدة المسائية ، ويشير الى عنوانها  
الكبير :

« اغتيال رئيس البوليس السياسى - القاتل مجهول -  
جائزة مالية كبيرة لمن يرشد عن القاتل » .

تموت ابتسامة عباس ، تميد به الأرض .. من اجل هذا  
اذن دعوتومنى ؟ .. من اجل هذا التفتتم حولى الآن .. اكثر  
من خمسين رجلا ، بما يزيد عن مائة عين شامطة تتطلع الى !

ينظر حوله ، هناك فم لا بل اثنان ، بل عشرة ، بل مائة ..  
عدد كبير من الأفواه فتحت في وقت واحد ، لتخرج منها عبارة  
واحدة : « الذى اصدر الأمر قتل ، بقى من نغذه » .

يفر الدم هاربا من وجهه ، يهب مزعورا، يزيح الناس  
من طريقه :

- لن تناولوا منى ، سأفضحكم يا كلاب، وسترون ما أنا  
فاعل . سأشكركم الى الملك .

يتوجه الى دار المحافظة . يدخلونه على الفور الى مدبر  
الامن . يستقبله بالترحاب ، ويهنئ فيه شجاعته الأدبية ..  
ثم يسأله ..

- هل حقا تعرف القاتل ؟ ..

– نعم اعرفهم ، فقط اطلب الحماية ..

– عصابة منظمة اذن ، هذا ما توقعنه ، كم عددهم ؟ ومن هم ؟ .. ثق اننا ستوفر لك الحراسة الكافية .

– الأسطى حسين ، ومحمود العجلاتي ، والطعمجي ، وصاحب المقهى ، وصبيه ، وأقارب السبعة وخمسين تلميذا وكل الناس ، حتى الأطفال حتى خطيبتى .. أرجوك ان تحمينى قتلوا الأمر ، والدور الآن على من نفذ الأمر ، على أنا ، عباس فاتح الكوبرى .. هكذا قالوا لى .. احمنى ارجوك ..

ينفجر غضب الضابط .. ويطرده .

يعود الى الشارع ، المقهى ملئ بالناس ، ويقرا على الحائط فى كل مكان : « الموت لقاتلى الطلبة » .. يقول لنفسه : يجب ان اقتنعهم ببراءتى ، يجب أن يفهموا أننى لست قاتلا ، لست خائنا ..

يتقدم الى المقهى . يواجه الجالسين . يملأ صدره بالهواء فتتسع فتحتا أنفه ، ثم يرفع صوته :

– يا ناس يا خلق الله ، افهمونى ، فتحت الكوبرى ، هذا عملى ، اكل عيشى .. ولم أؤس على ذيل القط برغبتى ، كما زعم حسين لكم ..

يلمح زبائن المقهى فى عينيه بريق جنون ، فيبدعون فى الانصراف .. ويستمر فى دفاعه عن نفسه ، وقد وقف فوق أحد المقاعد حتى ينصرف كل الزبائن ، ولم يعد أمامه الا المقاعد الخالية ، وهو مستمر فى دفاعه ، ولا يسكت الا لفترة يسترد

فيها انفاسه اللاهثة ، ثم يتابع حديثه في اصرار الى المقاعد  
الخالية :

- ألم اقل لكم ؟ ! لماذا تصدر عنكم اصوات الاستنكار ؟!  
لماذا اسمعكم تهيمون في اذني بريبة ؟ لماذا تزومون في وجهي  
انا عباس البريء ؟ الا تصدقونني ؟ لم تكن الصمولة مفكوكة .

ينكس راسه لفترة ، والحزن مرتسم على وجهه ، فجأة  
يملؤه نشاط حماسي ، فيتقدم من المقاعد ويبدأ في رصها في  
صف واحد طويل ، مكونا منها ما يشبه الكوبري ، ويتراجع عدة  
خطوات يراقب ما فعله ، يبدو عليه الرضا ، في ثوان ينقلب  
الى انسان صارم ، يصرخ وهو يشيح بيده وعيناه على  
كوبرى المقاعد :

- لا ، لا ، لا يا حضرة الضابط ، لن أفتح الكوبري والتلاميذ  
من فوقه ، لن أفتحه ، أعبروا يا اولاد ، أعبروا في سلام  
آمنين ، أعبروا بلا خوف الى بر الأمان ، هيا يا كتايت هيا ..  
قلت لك لن أفتحه ، لن أفتحه ، الا تفهم ما أقول ؟ ! الف مرة  
قلت لك : لن أفتحه والتلاميذ من فوقه ، الف مرة قلت لك  
هذا .. لن أفتحه .. انا لا أخافك ولا أخاف الملك .

يهتز جسده . يدفن راسه في كفيه . يتساقط راکمها ،  
وكل جسده يبكي :

- نعم الصمولة كانت مفكوكة .. كانت مفكوكة ..  
مفكوكة ..

## اللحظة الطويلة

---

هناك بجانب المذيع جلست فوق الأريكة ، تسند رأسها فوق كفيها ، شاردة بفكرها ، ساهمة نظراتها الى الأرض ، لم تكن تنظر الى شيء معين ، بل كانت نظراتها تائهة قلقة ، تنظر الى كل شيء دون أن تعي أى شيء ، فكل شيء فقد معناه .

مثل عينيها كان فكرها ، لم تكن تفكر في شيء معين ، بل كانت تفكر في أشياء كثيرة عجيبة ، غير مترابطة ، تربطها صفة واحدة هي القلق والحزن ..

كانت تنظر الى السجادة ، ثم تقول لنفسها غدا سأجعل الخادمة تنفضها ، ثم تتحول انظارها الى القطة النائمة في استرخاء في ركن الحجرة ، فيرسم على وجهها مشروع ابتسامة راضية ، سرعان ما تختفى .. كانت غير راغبة في الابتسام ، شعور غريب بالذنب جعلها تستكثر على نفسها أن تضحك أو أن تشعر بالسعادة .

تنهدت ملء رئتيها ، ثم تمتت :

— اللهم الحمد لك ، أنا راضية بحكمك ، وطالبة الصبر  
منك ، الصبر ياربى الصبر ..

تعود فتسهم بعينيها مرة أخرى الى أرض الحجر ، ثم  
ترتفع بنظراتها الى الحائط تمسحه بنظرات ملساء مبهمة لا معنى  
لها ، لا تتوقف عند شيء بل تنزلق على الحائط ، دون أن تهتم  
بما عليه أو بما هو موجود بجانبه ..

ولكن ما أن وصلت نظراتها الى تلك الصورة المعلقة على  
الحائط حتى تسمرت مكانها ، وكأن مغناطيسا جذبها . لم تمد  
هذه النظرات ملساء ، بل أصبحت لزجة ، لزجة جدا ،  
فالتصقت بهذه الصورة ، ولم تعد راغبة في أن تبتعد عنها ،  
وأضحت وأعية غير مبهمة ، حانية حاوية كل عطف ، كل حنان  
وكل حب ..

وضيقت « الست خديجة » من عينيها ، متمنية ان تجعل  
من نظراتها أيدى عطوفة تربت على هذه الصورة وتداعبها .

ثم تنهدت .. وشرح فكرها ، وشرذ ذهنها .

هناك يا خديجة بين هذا الاطار ، وفي هذه الصورة جزء من  
حياتك ، ونسمة من ربيحك .. هناك يا خديجة حيث تقفين  
باسمة متفائلة ، سعيدة بطرحتك وبملايسك البيضاء المسترسلة  
الطويلة ، وبيدك منسدل أبيض اللون هو الآخر كل شيء فيك  
أبيض ، وكل جزء فيك يضحك ، مثل قلبك الذى كان يرقص  
طربا على ايقاع دقاته السريعة المتتابعة ..



ثم هذه الوردة المثبتة في عروة حلته ، ليست بيضاء هي الأخرى ؟ انه « حسين » زوجك وزميل العمر كله ، يقف بجوارك ، ترتسم على وجهه جدية مصطنعة ، لم تستطع أن تخفى فرحته الطاغية ، لقد كان يحب الورد الأبيض ..

ايه يا خديجة .. انها أيام حلوة لن تعود ، أيام جميلة تعيشين على ذكراها ، تجترين سعادتها كلما قسا عليك الزمن كانت حياتكما معا حياة بسيطة غير معقدة ، مرت هادئة سهلة طبعاً لم تتزوجا عن حب .. ولكنه - الحب - جاء بمرور الوقت وبالعشرة ، حسين والحق يقال رجل ولا كل الرجال يا خديجة الله يرحمه ، كان يخاف عليك وكان رغم ما يبدو عليه من تجاههم ومن قسوة كثيراً ما يدلك ويناديك « خديجة يا روح حسونة » ..

انت أيضاً كنت تحبينه ، وكثيراً ما سهرت طوال الليل اذا تأخر خارج المنزل ، لا يهدأ لك بال ولا يغمض لك جفن حتى تسمعي صرير مفتاحه بباب المنزل ، عندئذ كنت تنهضين لتستقبليه بابتسامة حلوة طيبة تنسينه همومه وتلهينه عن متاعبه .

صحيح حدث بينكما بعض الخلاف الذي أدى الى شجار ، ولكنك .. ولكن انتظري يا خديجة . انتظري . ان الصورة منحرفة بعض الشيء في تعليقها .

دققت « الست خديجة » النظر الى الصورة لتتأكد ان كانت منحرفة في وضعها ام أن عينيها خدعتها ، ولما تأكدت من صحة ما رأت تحاملت على نفسها وقامت متجهة ناحية الحائط ، وكالعادة كلما سارت سارعت القطة لتتمسح في قدميها .. بعد

أن أصلحت من وضع الصورة ومن تنظيفها من بعض القبائل  
العالم بها ، عادت الى مكانها بجانب المذبح الذي كان مازال  
يذيع الأغانى .

لوحث بيدها دلالة على الملل . . أف ، ألا تنتهى هذه الأغاني؟  
ولماذا لا يذيعون أغنية « ياللى زرعتموا البرتمقال » . . لقد كان  
يجبها حسين ، الله يرحمه ويجعله من أهل اليمين . .

اليمين !؟ اليمين يا خديجة ، كان يقول لك دائما انك  
ذراع اليمين ، وأنت الآن من بعده أصبحت فعلا ذراع اليمين .  
ذراع بدون جسد . هذك التعب ، وهزمك المرض ، وقعبت  
أعصابك . لم تكونى هكذا أبدا فى أى يوم ، ففى كل شجار تشب  
بين حسين وبينك كنت تصبرين عليه حتى يهدأ ثم تعاتبينه  
وسلاحك فى ذلك ابتسامتك اللطيفة ، فيتقهقر سريعا ، ويعتذر  
لك قائلا وهو يقبل رأسك : « أنت ست كاملة يا خديجة ،  
حلوة وكاملة وعاقلة » .

مدت يدها بالمنديل تمسح دموع الذكريات ، وهى لم تكن  
تبكى زوجها فقط ، ولم تكن تبكى أيامها السعيدة فحسب ، شىء  
آخر هو الذى كان شغلها الشاغل فقد عادت تنظر الى زوجها  
فى الصورة ، بأسى وبألم ، وأخذت تحدثه :

— عاقلة ؟ عاقلة ؟ لست عاقلة يا حسين ، لست كذلك ،  
من بعدك لم أعد عاقلة أبدا ، هل تصدق ؟ هل تصدق هذا ؟  
ابنى يا حسين ، ابننا . . لقد تركته يسافر وهو غائب منى ،  
ترك المنزل بعد أن جلب الباب وراءه بعنف ، تماما كما كنت  
تفعل أنت كلما أثارك شىء ، ولا أدرى كيف طاوعنى نذا الملعون

قلبي في أن أدعه - ولدى حبيبي - يسافر الى اليمن ، الى  
الحرب ، وهو غاضب مني .. وأنا لست متأكدة ان كان سيعود  
لى أم سأحرم الى الأبد من لقائه ؟ :

وهنا تنبعت الى صوت المدياع .. لقد كفت الأغاني .  
المديع يتكلم : « هنا القاهرة . نستمع الآن الى أغنية .. » ..  
فما كان من « الست خديجة » الا أن قالت غيظا تحدث نفسها :  
« أغنية ؟ ! ينتهون من أغنية ليذيعوا اخرى ! » .

ثم تملمت في وضعها ، ومرة اخرى مسحت دموعها  
وبدأت تسترد أنفاسها . نظرت الى الأرض فرأت القطة نائمة :

- بس بس ..

وأسرعت القطة تثب الى الأريكة لتنام في حجر سيدتها .  
فهو دافئ لين .. والدنيا برد ، برد قايس ، جعل الست خديجة  
تفكر في ولدها مرة أخرى ..

إيه يا خديجة ، ترى ماذا يفعل ابنك الآن في هذا الشتاء  
الشديد البرودة ، وفي العراء ؟ ترى ماذا يفعل في برد يناير ؟  
هذا اذا كان ما يزال .. ولكن لا .. أنه حتى ، بإذن الله حتى ،  
قلبي يقول لى ذلك .. يارب أنت عالم بالحال احفظه لى ،  
لم تعد لى في الحياة الا أيام معدودة ، فدعنى أمت قريرة  
العين ، راضية بابنى فرحة به يارب ..

تنهض من مكانها ، وتمد يدها الى سجادة الصلاة . بعد  
أن تنتهى من صلاتها تدعو لابنها بطول البقاء وبالسلمة ، وتعود  
الى مكانها بجوار المدياع ، انه مازال يغنى ، يغنى ، يغنى . مدت

يدها لتسكته ، ولكنها عادت فسحبته ، ان هذا المطرب الذى  
يفنى يحبه ابنها ، وستسمه من أجل خاطره ، ابنها سبب  
عذابها وسر المهما .

لقد جاءها ابنها « سامى » قبل سفره يخبرها بأنه طلب من  
قائده أن يدرج اسمه مع المتطوعين ليحارب فى اليمن ، ولم  
تحاول أن تناقشه فيما فعل ، فهى تعلم أنه مثل أبيه ، ان  
اقتنع بشيء يقبله مهما كانت العاقبة ومهما كانت المشاق .  
ثم أخبرها « سامى » بأنه سيطلب يد « سعاد » بنت الجيران  
قبل أن يسافر حتى يضمنها عروسا له فهو يحبها .. ولكن  
الست خديجة أعلنت رفضها لهذه الخطوبة ، وسخطها على هذا  
الحب ، فهى ترجو لابنها بنت خالته زوجا له ، فبنت أختها  
مخطوبة له وهو طفل ، مقسومة له من زمان .. فكهدا قدرت  
الست خديجة ، وهكذا اتفقت مع أختها .

حاول سامى اقناعها بكل الطرق بأنه هو الذى سيتزوج  
وليست هى - أمه - وأنه عليه هو وحده أن يختار زوجته  
وشريكة حياته التى يحبها ، ثم حاول أن يذكرها بأن الزواج فى  
عام ١٩٦٣ ليس كالزواج على أيامها هى يوم ان تمت خطوبتها  
وتزوجت ولم تر زوجها الا ليلة الزفاف ! ..

ولما لم تقنع قال لها بأنه صمم فعلا على أن يخطب سعاد  
وهو انما أخبرها من باب الأدب ، وحتى تكون على علم بما  
سيحدث .. فما كان من الست خديجة - بعد أن سمعت هذا  
الكلام - الا أن أقسمت برحمة زوجها وهددته بأنه ان فعل هذا  
فلا هو ابنها ولا تعرفه .

وكانت هي الكلمة الفاصلة . فقد وقف سامى مأخوذاً لحظة ثم خرج ولم يعد حتى هذه اللحظة ، حيث الست خديجة جالسة بجانب المديع ، وحيدة الا من قطتها ومن شجونها واحزاتها ، تاركة نفسها للذكريات تبعث بها كما تشاء ، مستسلمة لتأنيب الضمير يحطم أعصابها ويمزق راحتها ، انها الآن تنتظر شيئاً ما .. تتوقع أن تسمع شيئاً معيناً من المديع .. شيئاً فيه ومضة من الأمل ..

الاغنية تنتهى الآن .. والمديع يتكلم « هنا القاهرة » ايها المواطنين ، اليكم الآن رسالة جنودنا في اليمن ... »

أخيراً .. أخيراً يا خديجة ، هذا ما كنت تنتظرينه .

وأصبحت كل حواسها آذاناً مصغية ، والمديع مازال يتكلم : « اليكم بعض رسائل جنودنا الأبطال الذين يحاربون مع اخوانهم اليمنيين ضد الرجعية وضد الطفلة » . ثم بدأت الرسائل تتوالى ، كل جندي يقول كلمة بصوته تذاق له في المديع حتى يسمعه اهله فيطمئنوا عليه ، والست خديجة تمنى نفسها بسماع صوت ابنها « سامى » اليوم . كل ليلة تستمع الى هذا البرنامج ، وكل ليلة يتكلم كثير من الجنود فتنام أمهاتهم قريرات العيون .. الا هي ، فحتى هذه اللحظة لم تكن قد سمعت صوت ابنها ..

وتستمع الى الراديو . ان الجنود يتكلمون واحدا وراء الآخر :

« انا نقيب محمد عمار من محافظة النوفية ، اهدى سلامى الى ... »

ليس ابنك يا خديجة ، ليس ابنك ، لابد انه التالى :  
« أنا عريف فاروق صادق من محافظة المنيا ، سلامى الى  
والدى العزيز واخوتى و ... »

ولا هذا ، ليس هذه المرة ايضا يا خديجة ، اصبرى ،  
الصبر طيب ، فربما يكون هو الجندى التالى :  
« ... مهندس عبد السلام النقيب ، الى زوجتى العزيزة  
أهدى ... »

لم تحتمل « الست خديجة » الانتظار يعذبها .. بكت ،  
بكت قائلة :

– أين أنت يا سامى ؟ أين أنت ؟ أين صوتك ؟ لماذا  
لا تتكلم أريد أن اسمع صوتك ؟ لا اطلب أكثر من هذا ..

وجاء صوت المدياع ، ولم يكن الصوت هو صوت ولدها ..  
وتوالت الأصوات ، أسماء كثيرة ، لم يكن بينها اسم « سامى  
حسين » ابنا .. حتى كادت تياس ، فمدت قدمها تنوى القيام ،  
ولكن ساقها تسمرت فى منتصف المسافة بين الأريكة والأرض ..  
هذا الصوت تعزفه جيدا ، هذا الصوت الذى تهادى الى  
أذنيها الآن خلال المدياع ، إنه الموسيقى تعزف ، البلابل تفرد ،  
الملائكة تنشد :

« أنا سامى حسين ... »

حبيبى يا ولدى ، وأخيرا ، هل أنا فى حلم ؟ تكلم يا روحى ،  
أنا أمك ، استمع اليك ، أمك التى تحبك والتى تمشى من أجلك ،  
قل أى شئ فكل كلمة منك حلوة على اذنى ، منعشة لحواسى  
مريحة لقلبى ..

ثم مدت أذنيها أكثر مقتربة ناحية المذبح ، وسمعت ..  
» .. جندي مؤهلات بفرقة الصاعقة .. أنا بخير  
والحمد لله .. « .

ومن بين انفعالات متباينة ، من بين القلق والترقب والرجاء  
والخوف ظهر انفعال واضح ارتسم على وجه الست خديجة ،  
انفعال الراحة والاطمئنان ..

نعم يا حبيبي ، الحمد لله ، الحمد لله ألف حمد وألف  
شكر ، غدا ان شاء الله ، غدا سأوقد عشر شمعات لأم هاشم  
من أجلك يا ضنايا .. ولكن ، اليس عندك أى كلام لأمك ؟ ! .  
» .. سلامي الى الأهل والأقرباء .. «

هكذا يا ولدي ، الأهل والأقرباء وتتناسي أمك ؟ ! اذن  
فأنت لم تنزل غاضبا مني ، حقك على يا ولدي ، عند عودتك  
سأقبل رأسك متأسفة لتسامحني ..

» .. وأرسل أحر أشواقى الى ... «

الى من يا سامي ؟ ! الى من ؟ ! قل .. لماذا تسبكت ؟ !  
قل الى من ؟ ! لي أنا أمك ؟ ! أم الى الأخرى بنت الجيران ؟ !  
قل ..

وحبست أنفاسها حتى تلاحظ النبرات .. وجاءها صوت  
ابنها وكان مخنوقا بالعبرات :  
» ... أمي الحبيبة ... «

تراخت أعصابها .. الحمد لله ، ألف سلام لك يا روحى  
انت يا ضنايا .. يا عقلى . ثم عادت تستمع ..

« ... وأرجو يا أمى أن تسامحينى والا تكونى غاضبة  
منى ... »

بكت ارتياحا وكان كابوسا ثقيلا انزاح من فوق صدرها ،  
بكت لكنها تذكرت أن ولدها لم ينته فعاتت تحبس أنفاسها  
قائلة : مسامحك يا حبيبي ، مسامحك من كل قلبي ..

« ... كما أهدى سلامى الى ... »

وهنا جمدت ملامحها ، اذن فلا فائدة ، لا فائدة من كلامها  
معه ، لقد قال ابنها : « ... الى خطيبتى سعاد ...  
وأهدى ... »

وصمت برهة ، ثم بدأت تحدث نفسها مرة أخرى ، موجهة  
الكلام لصورة ابنها في خيالها : اذن فانت مصمم يا سامى على  
خطوبتك لسعاد بنت الجيران ؟ مبروك ، مبروك يا حبيبي ..

وفي لحظة كانت شعلة من المرح والسعادة حتى انها  
نسيت امراضها ، واخذت تمسح بيدها في رفق وحنان فوق  
ظهر القطة ، بابتسامة عريضة على الشفتين وفرحة عارمة في  
القلب :

— خلاص يا بس بس .. غدا باذن الله اذهب الى والد  
سعاد ، اخطب ابنته سعاد لابنى سامى ، وان شاء الله يعيشان  
في تبات ربات ويظفان « صبيان وبنات » ..

تذكرت بنت أختها ، فتنهدت قائلة :

— كل شيء قسمة ونصيب ، كبدى يا بنتى !!



## كتب المؤلف

- ١ - فوستنوك يصل الى القبر - قصص ١٩٦٧
- ٢ - خمس جرائد لم تقرأ - قصص ١٩٧٠
- ٣ - الأيام التالية - قصص ١٩٧٢
- ٤ - دوائر عدم الامكان - رواية - طبعة اولى ١٩٧٢  
طبعة ثانية ١٩٧٥  
طبعة ثالثة ١٩٨٦
- ٥ - ابناء الصمت - رواية - طبعة اولى ١٩٧٤  
طبعة ثانية ١٩٨٤
- ٦ - غرائب الملوك وديسائس البنوك ( حكايات  
حول قناة السويس ) ١٩٧٦
- ٧ - الهؤلاء - رواية - طبعة اولى ١٩٧٦  
طبعة ثانية ١٩٨٣
- ٨ - الوليف - قصص ١٩٧٨

٤١٧

( م ٢٧ - الوليف )

- ٩ - غرفة المصادفة الأرضية - رواية ١٩٧٨
- ١٠ - مغامرات عجيبة - رواية للأولاد والبنات ١٩٨٠
- ١١ - كشك الموسيقى - رواية للأولاد والبنات ١٩٨٠
- ١٢ - حنان - رواية ١٩٨١
- ١٣ - ريم تصبغ شعرها - رواية ١٩٨٣
- ١٤ - علماء الغروب - رواية ١٩٨٦
- ١٥ - الحادثة التي جرت - قصص ١٩٨٧
- ١٦ - تغريبة بنى حتوت الى بلاد الشمال -  
رواية ١٩٨٨
- ١٧ - حكاية ريم الجميلة - رواية ١٩٩١
- ١٨ - الأعمال الكاملة ( ١ ) تشمل المجموعات  
رقم ٨ ، ٣ ، ٢ ، ١ من هذا الفهرس ١٩٩٢

## الفهرس

### ● الوليف :

- ١ - الوليف ... .. ٥
- ٢ - اغماض العين ... .. ١٤
- ٣ - بعض المنحنيات ... .. ٣٥
- ٤ - جميلة مثلها ... .. ٤٩
- ٥ - للذكرى ... .. ٥٩
- ٦ - شكاوى ملاك الموت الفصيح ... .. ٦٣
- ٧ - دمبوع ... .. ٧١
- ٨ - رحيل ... .. ٧٦

٨٤ ٩ - النظرة فالابتسامة .. والعمر قصير ...

● الأيام التالية :

- ٩٥ ١٠ - لا يذكر البداية ... ..  
١٠٥ ١١ - الوباء الرمدي ... ..  
١١٧ ١٢ - غمزة العين ... ..  
١٢٦ ١٣ - المناخ ... ..  
١٣٤ ١٤ - المدول والقلوب ... ..  
١٦٢ ١٥ - نبض الجناح ... ..  
١٧١ ١٦ - راسها فوق صدرى ... ..  
١٨١ ١٧ - اننا توجل ... ..  
١٨٧ ١٨ - الأيام التالية ... ..  
١٩٧ ١٩ - هجرة الضحاك ... ..

● خمس جرائد لم تقرا :

- ٢٢٣ ٢٠ - خمس جرائد لم تقرا ... ..  
٢٣١ ٢١ - الجاحظون ... ..  
٢٤٠ ٢٢ - الفشاء ... ..

|     |        |                               |
|-----|--------|-------------------------------|
| ٢٤٨ | ... .. | ٢٣ - مطارحة غرامية            |
| ٢٥٥ | ... .. | ٢٤ - أزمنة                    |
| ٢٥٨ | ... .. | ٢٥ - مائة مليون نخلة في الرأس |
| ٢٦٩ | ... .. | ٢٦ - حكايات الزوايا           |
| ٢٨١ | ... .. | ٢٧ - ثقب في الأوراق الخضراء   |
| ٢٨٩ | ... .. | ٢٨ - كل الأنهار               |
| ٢٩٨ | ... .. | ٢٩ - كل الرجال .. كل النساء   |

● فوستوك يصل الى القمر :

|     |        |                                    |
|-----|--------|------------------------------------|
| ٣٢٥ | ... .. | ٣٠ - فوستوك يصل القمر              |
| ٣٣٣ | ... .. | ٣١ - الوجه الآخر                   |
| ٣٤٤ | ... .. | ٣٢ - الرصيد                        |
| ٣٥٢ | ... .. | ٣٣ - بلا حكمة                      |
|     |        | ٣٤ - أشجار الدخان .. و « ماتسودا » |
| ٣٥٩ | ... .. | المجنون                            |
| ٣٦٨ | ... .. | ٣٥ - المكان والزمان                |
| ٣٧٥ | ... .. | ٣٦ - زفة                           |

|     |     |     |     |     |     |                        |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|------------------------|
| ٢٨٤ | ... | ... | ... | ... | ... | ٣٧ - الفأر الذي لم يمت |
| ٢٨٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ٣٨ - أشهر رسائل الحب   |
| ٢٩٦ | ... | ... | ... | ... | ... | ٣٩ - فاتح الكوبرى      |
| ٤٠٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ٤٠ - اللحظة الطويلة    |
| ٤١٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ● كتب للمؤلف ...       |

يشتمل المجلد الأول من الأعمال الكاملة للكتاب على  
طوبيا على أربعين قصة مصرية كالتالي: من  
١٩٦٠-١٩٧٨ م ، وهي فترة حافلة بتطورات اجتماعية  
وسياسية هائلة وشهدت الاهتمام بحقوق الإنسان  
الفضاء .

ولقد انعكست هذه التطورات على قصص  
خلال نسيج قصصى يحفل بالمرحمة للمجتمع  
وترائهم الصالحين كما يتميز بتقاطعه مع إيقاع العصر  
وتدفقه في تيار يسبح مثل نهر النيل حيث ولد المؤلف على  
ضفافه بعربة المنية نسيجاً مصرى